

حَقَائِدُ الْبُوصَيْرِي

شَرَفَ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ

٦٠٨ - ٦٩٦ هـ

شَرَحَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
الْأُسْتَاذُ أَحْمَدُ حَسَنُ بَسُجْ

طَبْعَةُ مَطْبَعَةِ مَنَاقِبِ

مَنْشُورَاتُ مَحْتَدِ عَالَمِيَّةِ بَيْرُوتِ
دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ
بِكُرُوتِ
بُشَايَا

منشورات محمد باي دون بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة

لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الثانية

٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد باي دون بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الطريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor

هاتف وفاكس: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٦١٣٥ (٩٦١ ١)

فرع عرمون، القبّة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

ص.ب. ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩١

هاتف: ٨٠٠٨١٣ / ١١ / ٨١٣٠٨١٣

فاكس: ٨٠٠٨١٣ / ١١ / ٨١٣٠٨١٣

<http://www.al-ilmiyah.com>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

ISBN 2-7451-0814-X



9 00000 >



9 782745 108142

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين وبعد.

إن لهذا الديوان، ديوان البوصيري من الأهمية ما دفعني إلى التفكير بإعادة نشره، وقد اكتسب أهميته انطلاقاً من الخلفية التي ينتمي إليها الشاعر نفسه، فضلاً عن قصيدتين عظيمتين، هما البردة والهمزية في مدح النبي ﷺ وما كان لهما قديماً وحالياً من أثر عاطفي في نفوس قراء العربية سواء لجهة مضمون كل منهما تغنياً بالشمائل النبوية، أو لجهة المستوى الفني فيهما. ولا يعني ذلك أنني أقلل من شأن القصائد الأخرى في الديوان، فهي على العموم تحلى بسمات فنية بارزة، في حسن الصياغة، وقوة السبك، وجزالة الألفاظ، كل ذلك جعل من الديوان محور اهتمامي، لأضعه بين يدي قارئتي الكريم، بحلة جديدة، بعد أن أصلحت ما في الديوان من أخطاء، ووضعت ما في الملحق كلاً في المكان المناسب له ضمن الديوان وفي إطار الترتيب الألفبائي للقوافي، وقد نظرت في الأوزان، فقليل من القصائد ما حُدد بحرهِ العروضي والأكثر ما صنعه بنفسي، وقد أغنيت الهامش بشرح ما رأيته غريباً أو مستغلقاً من المفردات أو الصور، مع ترجمة موجزة لبعض الأعلام الذين ذكروا في السياق، فضلاً عن ترجمة للبوصيري صدرت بها هذا الديوان.

وبعد، أرجو أن ينال عملي هذا رضى قرائنا الكرام وتبولهم، والله من وراء القصد.

أحمد حسن بسج

شتورة في: غرة ذي القعدة ١٤١٥ هجرية

الموافق: ١ نيسان إبريل ١٩٩٥ رومية

البوصيري^(١)

٦٠٨ هـ ٦٩٦ هـ

اسمه: هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبدالله بن صنهاج بن ملال الصنهاجي، شرف الدين، أبو عبد الله. كان أحد أبويه^(٢) من أبو صير والآخر من دلاص، فركبت له نسبة منهما وقيل الدلاصيري، لكنه اشتهر بالبوصيري.

ولد في بهشيم من أعمال البهنساوية. وكانت وفاته في الإسكندرية سنة ٦٩٦ هـ.

أما أصله فمغربي^(٣)، ينتمي إلى بني حبنون من قبيلة صنهاجة من قلعة حماد.

ثقافته: تتقف بثقافة العصر، فدرس القرآن الكريم، والتحق بجامعة الشيخ عبد الظاهر كما أشار إلى ذلك في ديوانه، فدرس العلوم الدينية وما تيسر له من علوم اللغة كالنحو والصرف والعروض، والأدب والتاريخ والسيرة النبوية. ثم اطلع على أسرار التصوف وآدابه وطرقه، وأخذ ذلك عن أبي العباس المرسي الذي خلف أبا الحسن الشاذلي في طريقته.

ومما نلاحظه في ديوانه أنه مطلع على كتب اليهود والنصارى وخصوصاً في معرض تعليقه على قصيدته اللامية التي سماها: المخرج والمردود على النصارى واليهود، وهذه الثقافة استدعتها مواقف اليهود والنصارى من الإسلام وإنكارهم لنبوة محمد ﷺ، فرأى أن يرد عليهم بطريقة جدلية بقصد إقناعهم بطلان ما ذهبوا إليه.

وقد أخذ عن البوصيري جماعة منهم أبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٢٥ هـ،

(١) انظر ترجمته في: فوات الوفيات: ٣/ ٣٦٢. الوافي بالوفيات: ٣/ ١٠٥. شذرات الذهب: ٥/ ٤٣٢. الأعلام: ٦/ ١٣٩.

(٢) قال: الزركلي في الأعلام ٦/ ١٣٩: نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر وأمه منها.

(٣) وقد ذكر أصله في شعره بقوله:

زاد به حبي ووسواسي

في صحبة الأجناس من باس

فقل لنا من ذا الأديب الذي

إن مثلي مغريباً فما

وأبو الفتح بن سيد الناس اليعمري المتوفى سنة ٧٣٤ هـ، وعز الدين بن جماعة المتوفى سنة ٧٣٥ هـ، وما أخذوه عنه قد لا يتجاوز شعره ونوادره، لا سيما وأنه كان يجلس في جامع الظاهر وينشد مدائحه هناك.. وليس بين أيدينا ما يدل على أن البوصيري قد جلس للتدريس، وعلى ذلك فليس عنده تلاميذ بالمعنى الدقيق المعروف، ولو أنه كان قد فتح كتاباً لتحفيظ القرآن الكريم، ولا يُعد ذلك في المدارس التي نقصدها.

شخصيته: مما يروى عنه أنه كان قصيراً نحيفاً، مما دعا بعض الناس أن يسخروا منه، وهو إزاء ذلك كان يضيق بهم ذرعاً، ويظهر مقتته وكرهه لمن يسخر منه أو ينتقد شعره، فيهجوه أو يسخر منه. وقد ذهب بعض المؤرخين^(١) إلى أن البوصيري كان ممقوتاً يمتته كل الناس حتى زوجته، أما الناس فكرهوه لأنه كان سليط اللسان، مُلحاً في السؤال شأنه في ذلك شأن الصوفية في ذلك الزمان.

عمله: نشأ البوصيري في أسرة فقيرة، مما دفعه إلى السعي الحثيث طلباً للرزق منذ صغره، فعمل في كتابة الألواح التي توضع شواهد على القبور، ثم تقرب إلى أهل الحكم من أمراء ووزراء بقصد نيل إعطياتهم. فمدح سنجر الشجاعي، وغيره من أمراء المماليك، وقد ناله من ذلك حظ، إلا أنه كما يقول عنه المقرئزي كان كريماً، وهذا ما يفسر حاجته الدائمة، خصوصاً وأنه كان مسؤولاً عن أسرة كبيرة العدد.

ومن الوظائف التي تقلدها، وظيفة كتابية في بلبس، تعتمد على العلم بالحساب، ويبدو أنه كان قليل المعرفة بهذا الفن فكثرت فيه الأخطاء، فرماه بعض النصارى ممن عرفوه بالجهل، فهجاهم هجاء مُراً.

وقد ذكر^(٢) الكتبي في ترجمته أنه «كان يعاني صناعة الكتابة والتصريف، وباشر الشرقية بلبس»، وليس يعني أنه كان من المتفنيين في الكتابة، إذ ليس بين أيدينا من آثاره ما يدل على براعته في الإنشاء، وأقل ما يُقال هنا إن وظيفته في الشرقية كانت حسابية وليست إنشائية ترسلية.

ولم تطل إقامته في وظيفته، فتوجه إلى المحلة، ومدح ناظرها ونال منه رزقاً إعانة شهرية، فلقى هناك من الكتاب النصارى ما لم يُرضه إذ أخروا عنه ماله فهجاهم أيضاً.

(١) مقدمة ديوانه: ٨.

(٢) فوات الوفيات: ٣/٣٦٢.

ويعود بعد جهد إلى القاهرة ليعيد فتح كتابه، واستقر بها إلى حين وفاته سنة ٦٩٦ هـ.

مذهبه وتصوفه: وقف من المذاهب الدينية موقفاً وسطاً فلم ير بأساً في أن ينظم القضاء في مصر بأن يكون أربعة قضاة للشافعية، وللحنفية وللمالكية وللحنابلة، ونظر إلى الأمر أنه من باب التوسعة، والتيسير على الناس. أما بنو أمية فوقف منهم موقف العداء واتهمهم باضطهاد بني هاشم وآل البيت، وفي الوقت ذاته رفض موقف غلاة الشيعة في سبهم للصحابية، وقد عبر عن حبه لأصحاب النبي ﷺ. أما موقفه من الصوفية، فمؤيد لهم بل كان ينافح عنهم ويرد على خصومهم، ويرى أن الشاذلي قطب الزمان وغوثه وإمامه، ومدح أبا العباس المرسي وهو تلميذ الشاذلي، ولكنه مع ذلك لم يبلغ مرتبة عالية في التصوف، ولو أن أثرها واضح في شعره.

شعره: تغلب العاطفة الدينية على شعره، خصوصاً في مدائحه النبوية، لا سيما البردة والهمزية فضلاً عن قصائده الأخرى، وأخص بالذكر تلك التي يهجو فيها النصارى واليهود. وتمتاز تلك القصائد بقوة الأسلوب، وحسن الصياغة، وجمال الصورة. كما تمتاز مدائحه بحسن اختياره للألفاظ، مع تلاعب واضح على سبيل التورية في بعض الأحيان.

أما الأغراض الأخرى فلا نجد لها أثراً، سوى بعض مقطوعات فيها مداعبات عابرة، أو حديث عن الطبيعة ضمن إطار المدح.

وجاء في فوات الوفيات^(١) أن البوصيري كان قد أصيب بفالج أبطل نصفه، ففكر في عمل قصيدته البردة وتوسل بها إلى الله تعالى، ثم نام فرأى النبي ﷺ فمسح على وجهه وألقى عليه بردة، فانتبه ووجد في نفسه نهضة فقام وخرج من البيت ولم يخبر أحداً، فالتقاء بعض الفقراء فقال له: «أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ». ثم قال الفقير. بعد أن ذكر أول القصيدة: «والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ، فرأيت يتمايل وأعجبت وألقى على من أنشدتها بردة». فأعطاه البوصيري القصيدة فشاع الخبر إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين بن حنا فبعث فأخذ القصيدة وحلف لا يسمعا إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس ومما يروى أيضاً أن سعد الدين الفارقي الموقّع أصابه رَمَدٌ فرأى في المنام من يقول له: «اذهب إلى

الصاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك فتعافى بإذن الله عز وجل، فأنى الصاحب وأخبره بما رأى ولم يعرف أن البردة هي القصيدة، ثم تذكرها فأخرج القصيدة المذكورة وأخذها سعد الدين فوضعها على عينيه فعوفي، ومنذ ذلك الوقت سميت البردة.

ومما قاله^(١) أحمد شوقي في البوصيري:

المادحون وأرباب الهوى تبغ	لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم
الله يشهد أني لأعارضه	من ذا يعارض صوب العارض العرم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن	يغبط وليك لا يذمم ولا يلّم
مديحه فيك خب خالض وهوى	وصادق الحب يملّي صادق الكلم

(١) ديوانه: ١/ ١٥٠. من قصيدة شوقي «نهج البردة».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة، الرُّحلة الفهامة، تاج الأدباء، وواحد الفضلاء، مفيد الطالبين، وعمدة المحققين، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حَيَّانِي بن صُنْهَاج بن مَلَاك الصُّنْهَاجِي الحَبْثُونِي البُونِصِيرِي أو الأبوصيرِي أو البوصيرِي، ثم الدَّلَاصِي رحمه الله، يمدح سيد الكونين، نبي الساعة، وصاحب الشفاعة، المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، محمد بن عبد الله عليه السلام: [الخفيف]

قافية الهمزة

يا سماء

يا سماء ما طاولتها سماء	كيف ترقى رُقيِّك الأنبياء
لَ سناء منك دوتهم وِسناء ^(١)	لَمْ يُساووك في علاك وقد حا
س كما مثل النجوم الماء ^(٢)	إنما مثلوا صفاتك لنا
ذُرْ إلا عن ضوئك الأضواء	أنت مصباح كل فضل ف اتض
ب ومنها لآدم الأسماء	لك ذات العلوم من عالم الغي
رُ لك الأمهات والآباء	لم تزل في ضمائر الكون تختا
بُشِّرَتْ قومها بك الأنبياء	ما مضت فترة من الرُّشْلِ إلا
بك علياء بعدها علياء	تنبأني بك العصور وتسمو
من كريم أبائهم كرماء	ويُدا للوجود منك كريم
قلدتها نجومها الجوزاء ^(٣)	نسب تخيبُ الغلا بخلاء

(١) السناء: الضوء. السناء: الرفعة.

(٢) مثل: صور.

(٣) الجوزاء: برج في السماء.

حبذا عَقْدُ سُؤْدِدٍ وَفَخَارٍ
 وَمُحْيَا كَالشَّمْسِ مِنْكَ مُضِيءٌ
 لَيْلَةُ الْمَوْلِدِ الَّذِي كَانَ لِلدَّيْ
 وَتَوَالَتْ بُشْرَى الْهَوَاتِفِ أَنْ قَدْ
 وَتَدَاعَى إِيوَانُ كِسْرَى وَلَوْلَا
 وَغَدَا كُلُّ بَيْتٍ نَارٍ وَفِيهِ
 وَعِيُونَ لِلْفُرْسِ غَارَتْ فَهَلْ كَا
 مَوْلِدُ كَانَ مِنْهُ فِي طَالِعِ الْكُفْ
 فَهَنِيئاً بِهِ لَأَمِنَّةَ الْفَضْ
 مَنْ لِحَوَاءِ أَنَّهَا حَمَلَتْ أَخْ
 يَوْمَ نَالَتْ بِوَضْعِهِ ابْنَةً وَهَبِ
 وَأَنْتَ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ مِمَّا
 شَمَّتَتْهُ الْأَمْلاكُ إِذْ وَضَعَتْهُ
 رَافِعاً رَأْسَهُ وَفِي ذَلِكَ الرَّفْ
 رَامِقاً طَرْفَهُ السَّمَاءِ وَمَرْمَى
 وَتَدَلَّتْ زُهْرُ النُّجُومِ إِلَيْهِ
 وَتَرَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ بِالرُّو
 وَبَدَتْ فِي رَضَاعِهِ مُعْجَزَاتُ

أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَضْمَاءُ^(١)
 أَسْفَرَتْ عَنْهُ لَيْلَةُ غَرَاءِ^(٢)
 فِي مَرُورٍ بِبُيُوتِهِ وَازْدِهَاءِ^(٣)
 وَلَيْلَةُ الْمَصْطَفَى أَوْ حُقِّ الْهَنَاءِ
 آيَةٌ مِنْكَ مَا تَدَاعَى الْبِنَاءِ^(٤)
 كُزْبَةٌ مِنْ خُمُودِهَا وَبِلَاءِ^(٥)
 نَ لِنِيرَانِهِمْ بِهَا إِنْطِفَاءِ
 بِرٍ وَبِالٍ عَلَيْهِمْ وَوَبَاءِ^(٦)
 لَ الَّذِي شَرَّقَتْ بِهِ حَوَاءِ^(٧)
 حَمْدٌ أَوْ أَنَّهَا بِهِ نُفَسَاءِ
 مِنْ فَخَارٍ مَا لَمْ تَنْتَلِهِ النَّسَاءِ
 حَمَلَتْ قَبْلَ مَرْيَمَ الْعَذَاءِ^(٨)
 وَشَفَّتْنَا بِقَوْلِهَا الشُّفَاءِ^(٩)
 حَ إِلَى كُلِّ سُؤْدِدٍ إِيْمَاءِ^(١٠)
 عَيْنٍ مَنْ شَأْنُهُ الْعُلُوُّ الْعَلَاءِ^(١١)
 فَأَضَاءَتْ بِضُوءِهَا الْأَرْجَاءِ
 مَ يَرَاهَا مَنْ دَارُهُ الْبَطْحَاءِ^(١٢)
 لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْعِيُونِ خَفَاءِ

(١) السُّودِد: السيادة. العَضْمَاء: يريد البيضاء.

(٢) لَيْلَةُ غَرَاء: يعني مضية. أسفرت: أضاءت، ويريد ليلة مولده صلى الله عليه وسلم.

(٣) الازدهاء: الاستخفاف والطرب.

(٤) تداعى الإيوان: انقضى

(٥) يشير إلى انطفاء نيران المجوس ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

(٦) الويال: الشدة والثقل.

(٧) أَمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ هِيَ وَالِدَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٨) يُفَضِّلُ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٩) التَّشْمِيتُ لِلْعَاطِسِ إِذَا حَمَدَ اللَّهَ، أَنْ يُقَالَ لَهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ. وَالشُّفَاءُ: قَابِلَةُ النَّبِيِّ، أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ.

(١٠) السُّودِد: السيادة. إِيْمَاءُ: إشارة.

(١١) الرَّامِقُ: الْفَاعِلُ مِنْ رَمَقَ أَيَّ لَحْظٍ لِحَظًا خَفِيفًا.

(١٢) الْبَطْحَاءُ: مَسِيرٌ وَاسِعٌ فِيهِ دَقَاقُ الْحَصَى، وَيُرِيدُ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ، وَمَا حَوْلَهَا.

إِذْ أَبْنَتْهُ لِیُسْمِیَهُ مُرْضِعَاتٍ
 فَأَنْتَهُ مِنْ آلِ سَعْدِ فَتَأَهُ
 أَرْضَعْنَهُ لِבَنَاتِهَا فَسَقَّتْهَا
 أَضْبَحَتْ شَوْلاً عِجَافاً وَأَمْسَتْ
 أَخْضَبَ الْعَیْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَخْلِ
 بِأَلِهَا مِنْهُ لَقَدْ ضُوعِفَ الْأَجْرُ
 وَإِذَا سَخَّرَ إِلَهُ أَنْاساً
 حَبَّةً أَنْبَتَتْ سَنَابِلَ وَالْعَصْفُ
 وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَضَّلَتْهُ
 إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ
 وَرَأَى وَجَدَهَا بِهِ وَمِنْ الْوَجْدِ
 فَارَقَتْهُ كُرْهاً وَكَانَ لَدَيْهَا
 شَوْقٌ عَنْ قَلْبِهِ وَأَخْرَجَ مِنْهُ
 خَتَمَتُهُ يُنْمِئِي الْأَمِينِ وَقَدْ أَوْ
 صَانَ أَسْرَارَهُ الْخِتَامُ فَلَا الْقَضِ
 أَلِفَ التُّسْكُ وَالْعِبَادَةُ وَالْخَلْدُ
 وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْباً
 بَعَثَ اللَّهُ عِنْدَ مَبْعَثِ الشُّهْبِ

قُلْنَ مَا فِي الْيَتِيمِ عَنَّا عَنَاءٌ^(١)
 قَدْ أَبْنَتْهَا لِفَقْرِمَا الرُّضْعَاءِ^(٢)
 وَبَنِيهَا أَلْبَانُهُنَّ الشَّاءُ
 مَا بِهَا شَائِلٌ وَلَا عَجْفَاءُ^(٣)
 إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ
 رُ عَلَيْهَا مِنْ جَنَسِهَا وَالْجَزَاءُ
 لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سَعْدَاءُ
 لَدَيْهِ يَسْتَشْرِفُ الضَّعْفَاءُ^(٤)
 وَبِهَا مِنْ فِصَالِهِ الْبُرَحَاءُ^(٥)
 فَظَنَّتْ بِأَنَّهُمْ قُرَنَاءُ^(٦)
 لَهَيْبٍ تَضَلَّى بِهِ الْأَخْشَاءُ^(٧)
 ثَاوِيّاً لَا يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ^(٨)
 مُضْغَةً عِنْدَ غَسْلِهِ سَوْدَاءُ
 دِغٌ مَا لَمْ تُدْعَ لَهُ أَنْبَاءُ^(٩)
 ضُ مِلِّمٌ بِهِ وَلَا الْإِفْضَاءُ^(١٠)
 وَةٌ طِفْلاً وَهَكَذَا التُّجْبَاءُ^(١١)
 تَشِطَّتْ فِي الْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ
 جِرَاساً وَضَاقَ عَنْهَا الْفَضَاءُ

- (١) أبنته: لم تقبله، أي لم تقبل بإرضاعه لأنه يتيم لا يستفاد منه.
- (٢) الفتاة هي حليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم.
- (٣) يقال: شَوَّلَ لبن الناقة إذا نقص. العجفاء: الأرض لا خير فيها. والعجفاء: القليلة السمن وجمعه عجاف، وهذا ما أراده.
- (٤) العصف من الزرع: حُطَامُ التبن ودُقاقه. استشرف الشيء: رفع رأسه ينظر إليه.
- (٥) البرحاء: الأذى الشديد، والمشقة. جده: يعني عبد المطلب بن هاشم.
- (٦) قرناء: جمع قرين وهو المثل، وأراد الشياطين المرافقين.
- (٧) تَضَلَّى به: تحترق.
- (٨) الثواء: الإقامة.
- (٩) الأمين: يعني جبريل عليه السلام.
- (١٠) الفَضُّ: الكسر. الإفضاء: الإشاعة.
- (١١) التُّجْبَاءُ: جمع النجيب أي الكريم.

تَطْرُدُ الْجِنَّ عَنْ مَقَاعِدَ لِلْسِّنْعِ
فَمَحَتْ آيَةَ الْكَهَانَةِ آيَا
وَرَأَتْهُ خَدِيجَةً وَالثُّقَى وَالزَّ
وَأَتَاهَا أَنَّ الْقُمَامَةَ وَالسَّر
وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَغَدَ رَسُولِ اللَّهِ
فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوْجِ وَمَا أَخْرَجَ
وَأَتَاهُ فِي بَيْتِهَا جَبْرَائِيلُ
فَأَمَاطَتْ عَنْهَا الْخِمَارَ لِتُذَرِّيَ
فَاخْتَفَى عِنْدَ كَشْفِهَا الرَّأْسِ جُبْرَائِيلُ
فَاسْتَبَانَ خَدِيجَةً أَنَّهُ الْكَنَدُ
ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ
أَمَّا أُشْرِبَتْ قُلُوبُهُمُ الْكُفْرَ
وَرَأَيْنَا آيَاتِهِ فَاهْتَدَيْنَا
رَبُّ إِنَّ الْهُدَى هُدَاكَ وَآيَا
كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَغْفُلُ قَدْ أَلْ
إِذْ أَبَى الْفِيلُ مَا أَتَى صَاحِبُ الْفِيلِ
وَالْجَمَادَاتُ أَفْصَحَتْ بِالَّذِي أُخْرِ
وَنَحْ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضِ

كَمَا تَطْرُدُ الذُّنَابَ الرُّعَاءَ
ثُمَّ مِنَ الْوَحْيِ مَا لَهْنُ أَمْحَاءَ
هَذَا فِيهِ سَجِيَّةٌ وَالْحَيَاءُ^(١)
حَ أَظْلَلْتُهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ^(٢)
بِالسَّبْعِ حَانَ مِنْهُ الْوَفَاءُ
سَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الْأَذْكِيَاءُ
وَلِذِي اللَّبِّ فِي الْأُمُورِ ازْتِيَاءُ^(٣)
أَمْوَرُ الْوَحْيِ أَمْ هُوَ الْإِغْمَاءُ^(٤)
فَمَا عَادَ أَوْ أَعِيدَ الْغِطَاءُ
رُ الَّذِي حَاوَلْتُهُ وَالْكِيمِيَاءُ^(٥)
وَفِي الْكُفْرِ نَجْدَةٌ وَإِيَاءُ^(٦)
رَقْدَاءُ الضَّلَالِ فِيهِمْ عِيَاءُ
وَإِذَا الْحَقُّ جَاءَ زَالَ الْإِمْرَاءُ^(٧)
تُكَ نَوْرٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ
هُمْ مَا لَيْسَ يُلْهَمُ الْعُقْلَاءُ
وَلَمْ يَنْفَعِ الْحِجَا وَالذِّكَا^(٨)
مَنْ عَنْهُ لِأَحْمَدَ الْفُضْحَاءُ
أَلْفَتْهُ ضَبَابُهَا وَالظُّبَاءُ^(٩)

(١) خديجة هي بنت خويلد، التي تزوجها صلى الله عليه وسلم وهو في الخامسة والعشرين. والسجية: الطبيعة.

(٢) الشرح: الشجر الكبير: أفياء: جمع فيء. ظل. وفي البيت إشارة إلى الغمامة التي أظلت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى الشام.

(٣) ارتياء: نظر، تفكر.

(٤) أماطت الخمار: أزاحت الغطاء.

(٥) الكيمياء: الإكسير.

(٦) النجدة: الشدة.

(٧) الإمراء: الشك.

(٨) صاحب الفيل: أبرهة الحبشي، الذي هاجم الكعبة بالفيلة، وأراد تهديمها، فامتنع الفيل «محمود» عن التقدم نحو الكعبة، الجحجا: القفل.

(٩) الضباب: جمع الضب، وهو حيوان صحراوي صغير الحجم.

وَسَلَوُهُ وَحَنَ جِذْعُ إِلَيْهِ
أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وَأَوَاهُ غَارُ
وَكَفَفَتْهُ بِنَسْجِهَا عَنكَبُوتُ
وَاخْتَفَى مِنْهُمْ عَلَى قُرْبٍ مَرَأَ
وَنَحَا المصطفى المدينةَ وَاشْتَا
وَتَغَنَّتْ بِمَدْحِهِ الْجِنُّ حَتَّى
وَاقْتَفَى إِثْرَهُ سُرَاقَةٌ فَاسْتَهَدَ
ثُمَّ زَدَاهُ بَعْدَ مَا سَيِمَتِ الخُصَفُ
فَطَوَى الأَرْضَ سَائِرًا وَالسَّمَاءَ
فَصِيفَ اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَ لِلْمُخْ
وَتَرَقَى بِهِ إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ
رُتِبَ تَسْقُطُ الأَمَانِيُّ حَسْرَى
ثُمَّ وَاقَى يَحْدُثُ النَّاسَ شُكْرًا
وَتَخَذَى فَارْتَابَ كُلُّ مَرِيْبٍ
وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الإِلَهِ وَإِنْ شَاءَ
وَيَذُلُّ الْوَرَى عَلَى اللَّهِ بِالتُّؤْ
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَأَنْتَ

وَقَلَّوُهُ وَوَدَّهُ الْغُرَبَاءُ^(١)
وَحَمَمَتْهُ خَمَامَةٌ وَرَقَاءُ
مَا كَفَفَتْهُ الْحَمَامَةُ الْخَصْدَاءُ^(٢)
هُ وَمِنْ شِدَّةِ الظُّهُورِ الْخَفَاءُ
قَتَّ إِلَيْهِ مِنْ مَكَّةَ الْأَنْحَاءُ
أَطْرَبَ الْإِنْسَ مِنْهُ ذَاكَ الْغِنَاءُ
وَوَثَّ فِي الْأَرْضِ صَافِقُ جَزْدَاءُ^(٣)
فَ وَقَدْ يُنْجِدُ الْغَرِيقُ النُّدَاءُ^(٤)
بِ الْعُلَا فَوْقَهَا لَهُ إِسْرَاءُ^(٥)
تَارٍ فِيهَا عَلَى الْبُرَاقِ اسْتِوَاءُ^(٦)
بِ وَتِلْكَ السِّيَادَةُ الْقَفْعَاءُ^(٧)
دُونَهَا مَا وَرَاءَهُنَّ وَرَاءُ
إِذْ أَتَتْهُ مِنْ رَبِّهِ النَّفْمَاءُ
أَوْ يَبْقَى مَعَ السُّيُولِ الْغُثَاءُ^(٨)
قَى عَلَيْهِ كَفَرٌ بِهِ وَازْدِرَاءُ
حَيْدٍ وَهُوَ الدَّجَجُ جَعَّةُ الْبَيْضَاءُ^(٩)
صَخْرَةٌ مِنْ إِبَائِهِمْ صَمَاءُ

- (١) قَلَّوُهُ: كَرِهُوهُ. وَحَنِينَ الْجَذْعُ: إِحْدَى مَعْجَزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَلِكَ حِينَ صَنَعَ لَهُ مَنِيرًا، وَكَانَ يَقِفُ عَلَى الْجَذْعِ يَخْطُبُ، فَلَمَّا تَرَكَهُ وَصَعِدَ الْمَنِيرَ سَمِعَ لَهُ حَنِينَ شَوْقًا إِلَى النَّبِيِّ، فَالْتَمَسَهُ حَتَّى هَدَا. وَأَرَادَ بِالْغُرَبَاءِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ.
- (٢) الْحَمَامَةُ الْحَصْدَاءُ: الْحَمَامَةُ الْكَثِيرَةُ الرِّيشِ.
- (٣) سُرَاقَةٌ هُوَ ابْنُ مَالِكِ بْنِ جَعْشَمٍ الْمَدَلْجِيُّ الْكِنَانِيُّ، أَخْرَجَهُ أَبُو سَفْيَانَ فِي إِثْرِ النَّبِيِّ فَكَبَا بِهِ جَوَادُهُ. أَسْلَمَ سَنَةَ ٨هـ. وَمَاتَ سَنَةَ ٢٤هـ، وَالصَّافِقُ: الْجَوَادُ الَّذِي يَقُومُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ وَطَرَفٍ حَافِرٍ الرَّابِعَةِ، وَيُرِيدُ الْجَوَادُ الْكَرِيمَ. الْفَرَسُ الْجَزْدَاءُ: أَيِ الْقَلِيلَةِ الشَّعْرِ وَيُرِيدُ الْكَرِيمَةَ أَيْضًا.
- (٤) سَيِمَتِ الْخُصَفُ: أَوْشَكَتْ أَنْ يُخَسَفَ بِهَا وَتَغُوصَ فِي الرَّمَالِ لِتَبْتَلِعَهَا الْأَرْضُ.
- (٥) الْإِسْرَاءُ: السَّيْرُ لِيَلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.
- (٦) الْبُرَاقُ: دَابَّةٌ حَمَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِسْرَائِهِ. اسْتِوَاءُ: اسْتَقْرَارُ.
- (٧) الْقَفْعَاءُ: الثَّابِتَةُ، قَوْلُهُ: إِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ يُرِيدُ الْقُرْبَ. وَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ مَدْنَا فَتَلَّى فَكَانَ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَالْمُرَادُ هُنَا جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- (٨) غُثَاءُ السَّيْلِ: مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِنْ قَشٍ وَغَيْرِهِ يَطْفُو عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ.
- (٩) الْوَرَى: الْخَلْقُ: الْمَحْجَّةُ: الطَّرِيقَةُ.

وَاسْتَجَابَتْ لَهُ بِنَصْرِ وَقَتَح
وَاطَاعَتْ. لِأَمْرِهِ الْعَرَبُ الْقَرْ
وَتَوَالَتْ لِلْمُصْطَفَى الْآيَةُ الْكُبْرَى
فَلَمَّا مَا تَلَا كِتَاباً مِنَ الدِّ
وَكَفَاهُ الْمُسْتَهْزِئِينَ وَكَمْ سَا
وَرَمَاهُمْ بِدَعْوَةٍ مِنْ فَنَاءِ الـ
خَمْسَةِ كُلِّهِمْ أَصِيبُوا بِدَاءِ
فَدَمَى الْأَسْوَدُ بْنُ مُطَلِّبٍ أَيْ
وَدَمَى الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ
وَأَصَابَ الْوَلِيدَ خَذَشَةٌ سَهُمٌ
وَقَضَّتْ شَوْكَةً عَلَى مُهْجَةِ الْعَا
وَعَلَا الْحَارِثُ الْقُيُوحُ وَقَدْ سَا
خَمْسَةٌ طَهَّرَتْ بِقَطْعِهِمُ الْأَرْ
فَدِيتْ خَمْسَةُ الصُّحُفَةِ بِالْخَمِ
فَثِيَّةٌ بَيَّتُوا عَلَى فِعْلِ خَيْرٍ
يَا لِأَمْرِ أَتَاهُ بَعْدَ هِشَامٍ
وَزُهَيْرٍ وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ
نَقَضُوا مُبْرَمَ الصُّحُفَةِ إِذْ شَـ

بَعْدَ ذَلِكَ الْخَضِرَاءُ وَالْغُبَرَاءُ^(١)
بَاءٌ وَالْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ
رَى عَلَيْهِمُ وَالْفَارَةُ الشُّغْوَاءُ
يَ تَلَشُّهُ كَتِيبَةٌ خَضِرَاءُ^(٢)
نَبِيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتَهْزَأَ
بَيْتٍ فِيهَا لِلظَّالِمِينَ قَنَاءُ
وَالرَّذَى مِنْ جَنُودِهِ الْأَدْوَاءُ
عَمَّى مَيِّتٌ بِهِ الْأَحْيَاءُ
أَنْ سَقَاهُ كَأْسَ الرَّذَى اسْتِنْقَاءُ^(٣)
قَصُرَتْ عَنْهَا الْحَيَّةُ الرُّقْطَاءُ^(٤)
صِي قَلِيلُهُ النُّفْعَةُ الشُّوْكَاءُ^(٥)
لَ بِهَا رَأْسُهُ وَسَاءَ الْوَعَاءُ
ضُ فَكَفُّ الْأَذَى بِهِمْ شَلَاءُ
سَةِ إِنْ كَانَ بِالْكَرَامِ فِدَاءُ
حَمِدَ الصَّبْحُ أَمْرَهُمُ وَالْمَسَاءُ
زَمْعَةٌ إِنَّهُ الْفَتَى الْأَتَاءُ
وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاءُوا
لَذَتْ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعِدَا الْأَنْدَاءُ^(٦)

(١) الخضراء والغبراء: أي السماء والأرض.

(٢) الكتيبة الخضراء: المذججة بالسلاح.

(٣) والخبر أن خمسة من قريش اجتمعوا وهم أبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، ورجل اسمه المطلب، فتوجه القوم في نفر من مشيخة قريش إلى أبي طالب وسألوه أن يكلم النبي في أمر دعوته، فأجابهم النبي حينها: «لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها».

(٤) الوليد: هو الوليد بن المغيرة.

(٥) النُّفْعَةُ: الموت؛ المَهْجَةُ: الروح، أو بقية الدم في القلب.

(٦) الذين نقضوا صحيفة قريش هم: هشام بن عمرو بن الحارث العامري، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، والبختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، وكانت قريش قد عقدت العزم بموجب تلك الصحيفة على مقاطعة النبي ومن معه من آل هاشم وغيرهم.

أَذْكُرْتُنَا بِأَكْلِهَا أَكَلَ مِنْهَا
وَبِهَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ وَكَمْ أَخَذَ
لَا تَخْلُ جَانِبَ النَّبِيِّ مُضَاماً
كُلُّ أَمْرٍ تَابَ النَّبِيُّينَ فَالْشُّدَّ
لَوْ يَمَسُّ النَّضَارَ هُونٌ مِنَ النَّاسِ
كَمْ يَدٍ عَنْ نَبِيِّهِ كَفَّهَا اللَّهُ
إِذْ دَعَا وَخَذَهُ الْعِبَادَ وَأَمْسَتْ
هَمُّ قَوْمٍ بِقَتْلِهِ فَأَبَى السَّيِّدُ
وَأَبُو جَهْلٍ إِذْ رَأَى عُتُقَ الْفَخْرِ
وَأَقْتَضَاهُ النَّبِيُّ ذِينَ الْإِرَاشِيِّ
وَرَأَى الْمَصْطَفَى أَتَاهُ بِمَا لَمْ
هُوَ مَا قَدْ رَأَى مِنْ قَبْلُ لَكِنْ
وَأَعَدَّتْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ الْفِهْدُ
يَوْمَ جَاءَتْ غَضَبِي تَقُولُ أَفِي مِثْ
وَتَوَلَّيْتُ وَمَا رَأَيْتُهُ وَمِنْ أَيْنَ
ثُمَّ سَمِعْتُ لَهُ الْيَهُودِيَّةُ الشَّا
فَأَذَاعَ الذَّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ
وَبِخُلُقٍ مِنَ النَّبِيِّ رِيمٍ
مَنْ قَضَلَا عَلَى هَوَازِنَ إِذْ كَا

وَسُلَيْمَانَ الْأَرْضُ الْخَرَسَاءُ^(١)
رَجَّحَ خُبْنًا لَهُ الْغُيُوبُ خِبَاءُ^(٢)
حِينَ مَسَّنَتْهُمْ الْأَنْسَاءُ
مَدَّةٌ فِيهِ مَحْمُودَةٌ وَالرُّخَاءُ
رَ لَمَّا اخْتَبِرَ لِلنُّضَارِ الصَّلَاةُ^(٣)
وَفِي الْخُلُقِ كَثْرَةٌ وَاجْتِرَاءُ
مِنْهُ فِي كُلِّ مُقَلَّةٍ أَقْدَاءُ^(٤)
فَاءُ وَفَاءُ وَفَاءُ الصَّفْوَاءُ^(٥)
لِي إِلَيْهِ كَأَنَّهُ الْعَنْقَاءُ^(٦)
وَقَدْ سَاءَ بَيْعُهُ وَالشُّرَاءُ^(٧)
يُنَجِّ مِنْهُ دُونَ الْوَفَاءِ النَّجَاءُ
مَا عَلَى مِثْلِهِ يُعَدُّ الْخَطَاءُ
رَ وَجَاءَتْ كَأَنَّهَا الْوَرْقَاءُ^(٨)
لِي مِنْ أَحْمَدٍ يُقَالُ الْهَجَاءُ
تَرَى الشَّمْسَ مُقَلَّةً عَمِيَاءُ
وَكَمْ سَامَ الشَّقْوَةِ الْأَشْقِيَاءُ
بِئْطَاقٍ إِخْفَاؤُهُ إِسْدَاءُ
لَمْ تُقَاصِّصْ بِجَرَحِهَا الْعَجْمَاءُ^(٩)
نَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِيهِمْ رِبَاءُ^(١٠)

- (١) المنساء: العصا، وسليمان: النبي عليه السلام، فشان الصحيفة التي أكلتها الأرض كشأن عصا النبي سليمان.
(٢) الخبأ: المخبوء.
(٣) الهون: الإهانة. النضار: الذهب. الصلواة: الإلقاء على النار.
(٤) أقضاء: جمع قذى وهو ما يسقط في العين من غبار أو غيره.
(٥) فاءت: رجعت. الصفواء: جمع صفاة وهي الحجارة.
(٦) العنقاء: الداهية، وطائر خرافي ضخم.
(٧) الإراشي: رجل باع أبا جهل إبلاً فمأطله في دفع ثمنها. واقتضاه: طلب منه.
(٨) حمالة الحطب، أي: زوجة أبي لهب. الفهر: الحجر يملأ الكف. الورقاء: الحمامة.
(٩) العجماء: البهيمة.
(١٠) هوازن: قبيلة. رباء: تربية.

وَأَتَى السَّبِي فِيهِ أَخْتُ رَضَاعٍ
فَحَبَّامَا بِرًا تَوَقَّعَتِ النَّا
بَسَطَ الْمُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِداءِ
فَقَدَّتْ فِيهِ وَهِيَ سَيِّدَةُ النَّسَبِ
فَتَنَزَّزَتْ فِي ذَاتِهِ وَمَعَانِيهِ
وَامِلًا السَّمْعَ مِنْ مُحَاسِنِ يُمْلِيهِ
كُلُّ وَصْفٍ لَهُ ابْتَدَأَتْ بِهِ اسْتَوُ
سَيِّدُ ضِحْكِهِ التَّبَسُّمُ وَالْمَشْ
مَا سِوَى خُلُقِهِ النَّسِيمُ وَلَا عَدَ
رَحْمَةً كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ
لَا تَحُلُّ الْبَاسَاءُ مِنْهُ عُرَا الصُّ
كَرَّمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَخْطُرُ السُّو
عَظَمَتْ نِعْمَةُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ
جَهِلْتُ قَوْمُهُ عَلَيْهِ فَأَغْضَى
وَسِعَ الْعَالَمِينَ عِلْمًا وَحِلْمًا
مُسْتَقْبَلُ دُنْيَاكَ أَنْ يُنْسَبَ الْإِمْسَاكُ
شَمْسُ فَضْلٍ تَحَقُّقُ الظَّنُّ فِيهِ
فَإِذَا مَا ضَحَا مَا نَوَّرَهُ الظُّ
فَكَأَنَّ الْقِمَامَةَ اسْتَبَعَتْهُ
خَفِيَتْ عِنْدَهُ الْفَضَائِلُ وَانْجَا
أَمَعَ الصُّبْحُ لِلنَّجْمِ تَجَلُّ
مَعْجَزُ الْقَوْلِ وَالْفِعَالِ كَرِيمُ الْخُلْدِ
لَا يَقِينُ بِالنَّبِيِّ فِي الْفَضْلِ خُلُقًا

وَضَعَ الْكُفْرُ قَدْرَهَا وَالسُّبَاءُ^(١)
سُ بِهِ أَلَمَّا السُّبَاءُ هِدَاءُ^(٢)
أَيُّ فَضْلٍ خَوَّاهُ ذَاكَ الرُّدَاءُ
وَرَوْةُ وَالسُّبَّاءُ فِيهِ إِمَاءُ
بِهِ اسْتِمَاعًا إِنْ عَزَّ مِنْهَا اجْتِلَاءُ^(٣)
لَهَا عَلَيْكَ الْإِنْشَادُ وَالْإِنْشَاءُ
عَبَّ أَخْبَارَ الْفَضْلِ مِنْهُ ابْتِدَاءُ
بِ الْهُوَيْنَا وَنَوْمُهُ الْإِغْفَاءُ
بِزْمُ حَيَّاهُ الرُّوضَةُ الْغَنَاءُ
وَوَقَارٌ وَعِظْمَةٌ وَحَيَاءُ
بِزْرٍ وَلَا تَسْتَخِفُّهُ السُّرَاءُ
عَلَى قَلْبِهِ وَلَا الْفَحْشَاءُ
فَاسْتَقْبَلَتْ لِذِكْرِهِ الْعُظْمَاءُ
وَأَخُو الْجِلْمِ دَائِبُهُ الْإِغْضَاءُ
فَهُوَ بِحَرٍّ لَمْ تُغَيِّهِ الْأَعْبَاءُ
مِنْهَا إِلَيْهِ وَالْإِعْطَاءُ
أَنَّهُ الشَّمْسُ رَفَعَتْهُ وَالضُّيَاءُ
لَمْ وَقَدْ أَثَبَّتَ الظَّلَالُ الضُّحَاءُ^(٤)
مَنْ أَظْلَلَتْ مِنْ ظِلِّهِ الدُّقْفَاءُ^(٥)
بَثَّ بِهِ عَنْ عَقُولِنَا الْأَهْوَاءُ
أَمْ مَعَ الشَّمْسِ لِلظَّلَامِ بَقَاءُ
بِ وَالْخُلُقِ مُقْسِطٌ مِغْطَاءُ
فَهُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنَامُ إِضَاءُ^(٦)

(١) أخت الرضاع، هي أخت النبي بالرضاعة واسمها الشيماء: السُّبَاءُ: الأسر.

(٢) الهداء: تقديم العروس إلى زوجها.

(٣) الاجتلاء: النظر.

(٤) الضحاه: قرب انتصاف النهار.

(٥) الدُفَيْف: السير اللين، والدُقْفَاء: الذين يسرون ذلك السير، ويريد: مرافقيه.

(٦) الأنام: الناس. إضاء: جمع أضياء: المستنقع من سيل وغيره.

كُلُّ فَضْلٍ فِي الْعَالَمِينَ فَمَنْ قَضَى
شَقٌّ عَنْ صَدْرِهِ وَشَقٌّ لَهُ الْبَدَنُ
وَرَمَى بِالْحَصَى فَأَقْصَدَ جَيْشًا
وَدَعَا لِلْأَنْامِ إِذْ دَهَمَتْهُمْ
فَاسْتَهَلَّتْ بِالْعَيْنِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ
تَتَحَرَّى مَوَاضِعَ الرُّغْيِ وَالسَّقْدِ
وَأَتَى النَّاسُ يَشْتَكُونَ أَذَاهَا
فَدَعَا فَانْجَلَى الْغَمَامُ فَقُلُ فِي
ثُمَّ أَتَى الثَّرَى فَقَرَّتْ عُيُونُ
فَتَرَى الْأَرْضَ غَبَّةً كَسَمَاءِ
تُخْجِلُ الدُّرَّ وَالْيَوَاقِيتَ مِنْ نَوَى
لَيْتَهُ خَصَّنِي بِرُؤْيَا وَجْهِ
مُسْفِرٍ يَلْتَقِي الْكَثِيبَةَ بَسًا
جُعِلَتْ مَسْجِدًا لَهُ الْأَرْضُ فَاهْتَزَّتْ
مُظْهِرٍ شَجَّةَ الْجَبِينِ عَلَى الْبُرْ
سُتِرَ الْحُسْنُ مِنْهُ بِالْحَسَنِ فَاعْجَبَ
فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحٍ مِنْ سَجْفِ الْأَكْ
كَادَ أَنْ يُغَشِّيَ الْعُيُونَ سَنًا مِثْلَ
صَانَةِ الْحُسْنِ وَالْمَكِينَةِ أَنْ تُظْ

لِي النَّبِيِّ اسْتِعَارَةَ الْفَضْلَاءِ
رُ وَمِنْ شَرْطٍ كُلِّ شَرْطٍ جَزَاءٌ^(١)
مَا الْعَصَا عِنْدَهُ وَمَا الْإِلْقَاءُ^(٢)
سَنَةً مِنْ مُحَوَّلِهَا شَهْبَاءُ^(٣)
م عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ وَظَفَاءُ^(٤)
ي وَحَيْثُ الْعِطَاشُ تُوَقَّى السَّقَاءُ^(٥)
وَرَخَاءُ يُؤْذِي الْأَنْامَ غَلَاءُ
وَضَفِ غَيْثٌ إِقْلَاعُهُ اسْتِسْقَاءُ
بِقُرَاهَا وَأَخْيَيْتُ أَحْيَاءُ^(٦)
أَشْرَقَتْ مِنْ نُجُومِهَا الظُّلُمَاءُ
رِ رِيَاهَا الْبَيْضَاءُ وَالْحَمْرَاءُ^(٧)
زَالَ عَنْ كُلِّ مَنْ رَأَى الشَّقَاءُ
مَا إِذَا أَسْهَمَ الْوُجُوهَ اللَّقَاءُ^(٨)
بِهِ لِلصَّلَاةِ فِيهَا جِرَاءُ^(٩)
كَمَا أَظْهَرَ الْهَلَالَ الْبَرَاءُ^(١٠)
لَجِبَالٍ لَهُ الْجِمَالُ وَقَاءُ
حَامٍ وَالْعُودِ شَقٌّ عَنْهُ اللَّحَاءُ^(١١)
لَهُ لَيْسَ فِيهِ حَكْنُهُ ذُكَاءُ
يَهْرَ فِيهِ آثَارُهَا الْبِأَسَاءُ

(١) شَرْطٌ: شَقٌّ. وَأَرَادَ تَوْرِيَةً.

(٢) رَمَى فَأَقْصَدَ: أَيِ رَمَى فَقَتَلَ.

(٣) سَنَةً شَهْبَاءُ: لَا خُضْرَاءَ فِيهَا أَوْ لَا مَطَرَ.

(٤) اسْتَهَلَّ الْمَطَرَ: اشْتَدَّ انْصِبَابُهُ. وَظَفَاءُ: أَيِ مُسْتَرْخِيَةٌ لِكثْرَةِ مَائِهَا، أَوْ هِيَ الدَّائِمَةُ السَّخِ.

(٥) تَتَحَرَّى: تَتَّبِعُ. السَّقَاءُ: الْقَرِيبَةُ.

(٦) الْأَحْيَاءُ: جَمْعُ الْحَيِّ وَهُوَ الْبَطْنُ مِنْ بَطُونِ الْعَرَبِ.

(٧) الثُّورُ: الزَّهْرُ الْأَبْيَضُ.

(٨) أَسْهَمَ الْوُجُوهَ: غَيَّرَ الْوُجُوهَ.

(٩) جِرَاءُ: جَبَلٌ بِمَكَّةَ كَانَ يَتَحَنَّنُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١٠) الْبَرَاءُ: أَوَّلُ لَيْلَةٍ أَوْ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ، أَوْ آخِرُهَا أَوْ آخِرُهُ.

(١١) السَّجْفُ: السَّتْرُ. الْأَكْمَامُ: جَمْعُ كَمٍّ: وَعَاءُ الزَّهْرِ. اللَّمَاءُ: قَشْرُ الشَّجَرِ.

وَتَجَالُ الوجوه إن قابلته
فإذا شمت بشره وتذاه
أو بتقبيل راحة كان لله
تتقي بأسها الملوك وتخفي
لا تسئل سئل جودها إنما يك
ذرت الشاة حين مرث عليها
نبع الماء أثمر النخل في عا
أخيت المرميلين من موت جهد
فتغذى بالصاع ألف جياغ
ووفى قدر بيضة من نضار
كان يدعى قنا فأغيت لما
أفلا تغذرون سلمان لما
وأزالت بلمسها كل داء
وعيون مرث بها وهي رمد
وأعادت على قنادة عيناً
أو بلسم الثراب من قدم لا
موطيء الأخمص الذي منه للقد
حظي المسجد الحرام بممشا
ورمت إذ رمى بها ظلم اللي
دميت في الوغى لتكيب طبيباً

ألبستها ألوانها الجزية
أذهلتك الأنوار والأنواء
وبالله أخذها والمطاة
بالغنى من نوالها الفقراء
فيك من وكف سخبها الأنداء^(١)
فلها ثروة بها ونماء
م بها سبحت بها الحصاة^(٢)
أغور القوم فيه زاد وماء^(٣)
وتروى بالصاع ألف ظماء
دين سلمان حين حان الوفاء^(٤)
أبتعت من تخيله الأثناء^(٥)
أن عرته من ذكره العرواء^(٦)
أكبرته أطبئة وإماء
فأرثها ما لم تر الرزقاء
فهى حتى مماته النجلاء^(٧)
نت حياء من مشيها الصفواء^(٨)
ب إذا مضجعي أقض وطاء^(٩)
ها ولم ينس حظه إيلياء^(١٠)
لي إلى الله خوفه والرجاء
ما أراقت من الدّم الشهداء

(١) الوركف: المطر الشديد. أنداء: جمع ندى.

(٢) الحصاة: الحصى.

(٣) المرميل: الذي افتقر وافتقد زاده.

(٤) النضار: الذهب، سلمان: هو سلمان الفارسي.

(٥) الأثناء: جمع القنو وهو عذق النخلة، القن: العبد الرقيق.

(٦) العرواء: رعدة الحمى.

(٧) النجلاء: الراصة.

(٨) الصفواء: الصفاة أو الحجارة.

(٩) الأخمص: أسفل القدم.

(١٠) إيلياء: بيت المقدس.

فَهِيَ قُطْبُ الْمَحْرَابِ وَالْحَرْبِ كَمْ دَا
وَأَرَاهُ لَوْ لَمْ يُسْكَنْ بِهَا قَبْ
عَجَباً لِلْكَفَّارِ زَادُوا ضَلَالاً
وَالَّذِي يَسْأَلُونَ مِنْهُ بِكِتَابٍ
أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذِكْرُ
أَعْجَزَ الْإِنْسِ آيَةٌ مِنْهُ وَالْجِنُّ
كُلَّ يَوْمٍ تُهْدِي إِلَى سَامِعِيهِ
تَتَخَلَّى بِهِ الْمَسَامِعُ وَالْأَفْوَاهُ
رَقٌّ لَفْظاً وَرَاقٌ مَعْنَى فَجَاءَتْ
وَأَزْتَنَّا فِيهِ غَوَامِضُ فَضْلِ
إِنَّمَا تُجْتَلَى الْوُجُوهُ إِذَا مَا
سُورَ مِنْهُ أَشْبَهَتْ صُورًا مِثْلًا
وَالْأَقَاوِيلُ عِنْدَهُمْ كَالْتِمَائِيلِ
كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عِلُومٍ
فَهِيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الزُّرُّ
فَأَطَالُوا فِيهِ التَّرْدُّدَ وَالرَّيْبَ
وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً
وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عِلْمٍ
قَوْمَ عِيسَى عَامَلْتُمْ قَوْمَ وَسَى
صَدَقُوا كُتِبَ كُمْ وَكَذَّبْتُمْ كُتِبَهُمْ

رَتْ عَلَيْهَا فِي طَاعَةِ أَرْحَاءِ^(١)
لُ جِرَاءِ مَا جِثَّ بِهِ الدَّأْمَاءُ^(٢)
بِالَّذِي فِيهِ لِلْعُقُولِ اهْتِدَاءُ
مُنْزَلٌ قَدْ أَتَاهُمْ وَارْتِقَاءُ
فِيهِ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وَشِفَاءُ
فَهَلَّا يَأْتِي بِهَا الْبُلْغَاءُ
مُعْجَزَاتٍ مِنْ لَفْظِهِ الْقُرَاءُ
فَهُوَ الْخُلِيِّ وَالْحَلَوَاءُ^(٣)
فِي خُلَاهَا وَخَلِيهَا الْخَنْسَاءُ^(٤)
رِقَّةٌ مِنْ زُلَالِهَا وَصَفَاءُ
جَلِيَّتٍ عَنْ مِرَاتِيهَا الْأَضْدَاءُ
وَمِثْلُ النُّظَائِرِ النُّظَرَاءُ
فَلَا يُؤْهِمُكَ الْخُطْبَاءُ
عَنْ حُرُوفِ أَبَانَ عَنْهَا الْهَجَاءُ^(٥)
أَغَ مِنْهُ سَنَابِلُ وَزَكَاءُ^(٦)
بَ فَقَالُوا سِخْرٍ وَقَالُوا افْتِرَاءُ
فَالْتَمَسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ
فَمَاذَا تَقُولُهُ الْقُصَّحَاءُ
بِالَّذِي عَامَلْتُمْ الْخُنَفَاءُ^(٧)
إِنْ ذَا لَيْسَ الْبَوَاءُ^(٨)

(١) أَرْحَاءُ: جمع رَحَى: طاحونة. والمحراب: صدر البيت، أو مكان وقوف الإمام في الصلاة.

(٢) الدَّأْمَاءُ: البحر.

(٣) الْخُلِيِّ: جمع الْخَلِي وهو ما يُزَيَّن به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة. والحلواء من الحلو.

(٤) الْخَنْسَاءُ: من الْخَنَس، وهو تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة. وهي خنساء وهو أخنس.

(٥) الْهَجَاءُ: التهجي.

(٦) الزَكَاءُ: النماء.

(٧) عِيسَى: أي النبي المسيح ابن مريم. وموسى النبي أيضاً. والحنفاء: يعني المسلمين.

(٨) الْبَوَاءُ: السوء والكفء، والإقرار.

لو جحدنا جُحودكم لاستوينا
 مآلكم إخوة الكتاب أناساً
 يَحْسُدُ الأولُ الآخرَ وما زَا
 قد عَلِمْتُمْ بِظَلَمِ قَابِيلَ هَابِيلَ
 وسَمِعْتُمْ بِكَيْدِ أَبْنَاءِ يَعْقُو
 حِينَ الْقَوَّةِ فِي غِيَابَةِ جُوبِ
 فَتَأْسُوا بِمَنْ مَضَى إِذْ ظَلَمْتُمْ
 أَثْرَاكُمْ وَقُنَيْتُمْ حِينَ خَانُوا
 بَلْ تَمَادَتْ عَلَى التَّجَاهُلِ آبَا
 بَيِّنَتُهُ تَوْرَاتُهُمْ وَالْأَنَاجِي
 إِنَّ تَقُولُوا مَا بَيِّنَتُهُ فَمَا زَا
 أَوْ تَقُولُوا قَدْ بَيِّنَتُهُ فَمَا لِأُ
 عَرَفُوهُ وَأَنْكَرُوهُ وَظَلَمُوا
 أَوْ نُورُ الْإِلَهِ تُظْفِئُهُ الْأَفْ
 أَوْ لَا يُنْكِرُونَ مَنْ طَحَنَتْهُمْ
 وَكَسَاهُمْ ثَوْبَ الصُّغَارِ وَقَدْ
 كَيْفَ يَهْدِي الْإِلَهُ مِنْهُمْ قُلُوباً
 خَبَرُونَا أَهْلَ الْكِتَابِينَ مِنْ أَيِّ
 مَا أَتَى بِالْعَقِيدَتَيْنِ كَاب

أَوْ لِلْحَقِّ بِالضُّلَالِ اسْتَوَاءُ^(١)
 لَيْسَ يُزْعَى لِلْحَقِّ مِنْكُمْ إِخَاءُ
 لَ كَذَا الْمُخَدِّثُونَ وَالْقُدَمَاءُ
 وَمَظْلُومُ الْإِخْوَةِ الْأَتَقِيَاءِ
 بَ أَخَاهُمْ وَكُلُّهُمْ ضُلَحَاءُ^(٢)
 وَرَمَوْهُ بِالْإِفْكِ وَهُوَ بَرَاءُ^(٣)
 فَالْتَأْسِي لِنَفْسٍ فِيهِ عَزَاءُ^(٤)
 أَمْ تُرَاكِمُ أَخْسَنْتُمْ إِذْ أَسَاءُوا
 ءَ تَقَفْتُ آثَارَهَا الْأَبْنَاءُ^(٥)
 لَ وَهُمْ فِي جُحُودِهِ شُرَكَاءُ^(٦)
 لَتَ بِهَا عَنْ عَيُونِهِمْ غَشَوَاءُ^(٧)
 ذُنْ عَمَّا تَقُولُهُ صَمَاءُ
 كَتَمْتُهُ الشَّهَادَةَ الشُّهَدَاءُ
 وَاهُ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُسْتَضَاءُ
 بِرَحَاهَا عَنْ أَمْرِ الْهَيْجَاءِ^(٨)
 طَلَّتْ دَمًا مِنْهُمْ وَصِيَّتْ دِمَاءُ^(٩)
 حَشَوَهَا مِنْ حَبِيبِهِ الْبَغْضَاءُ^(١٠)
 نَ أَنْتَاكُمُ تَثْلِيثُكُمْ وَالْبِدَاءُ^(١١)
 وَاعْتَقَادَ لَانْصَ فِيهِ ادْعَاءُ

(١) الجحد: الإنكار.

(٢) إشارة إلى قتل قابيل لأخيه هابيل.

(٣) إشارة إلى ما فعله ابنا يعقوب عليه السلام حين رموا أخاهم يوسف عليه السلام في الجب حسداً.

(٤) الإفك: الكذب والافتراء.

(٥) تأسوا: اقتدوا.

(٦) قوله تَقَفْتُ آثَارَهَا الْأَبْنَاءُ يَعْنِي أَنَّ الْأَبْنَاءَ سَارُوا عَلَى الْأَثَرِ.

(٧) قوله بَيِّنَتُهُ أَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَشَّرَتْ بِهِ كَتَبَهُمْ فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ.

(٨) غَشَوَاءُ: ظلمة.

(٩) الرحي: الطاحونة. الهيجاء: الحرب.

(١٠) الصُّغَارُ: الهوان. طَلَّتْ: أَصَابَهَا الطَّلُّ أَيِ الْمَطَرِ الْخَفِيفِ. وَالطَّلُّ: الدَّمُ.

(١١) الْبِدَاءُ مَصْدَرٌ بَدَأَ لَهُ فِي الْأَمْرِ بَدْءاً وَبِدَاءً: نَشَأَ لَهُ فِيهِ رَأْيٌ.

والدُعَاوَى مَا لَمْ تَقْبَلُوا عَلَيْهَا
لَيْتَ شِعْرِي ذَكَرُ الثَّلَاثَةِ وَالْوَا
كَيْفَ وَخَذْتُمْ إِلَيْهَا نَفْسَ الثَّو
إِلَهُ مُرَكَّبٌ مَا سَمِعْنَا
أَكُلُ مِنْهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ
أَمْ هُمْ خَلَلُوا بِهَا شِرْكََةَ الْأَبِ
أَنْرَاهُمْ لِحَاجَةٍ وَاضْطِرَارٍ
أَمْوَ الرَّاكِبِ الْحِمَارِ فَيَا عَجْزَ
أَمْ جَمِيعٌ عَلَى الْحِمَارِ لَقَدْ جَلُ
أَمْ سِوَاهُمْ هُوَ الْإِلَهُ فَمَا نِسْبَةُ
أَمْ أَرَدْتُمْ بِهَا الصِّفَاتِ فَلَمْ خُصِّتْ
أَمْ هُوَ ابْنُ اللَّهِ مَا شَارَكَتَهُ
قَتَلْتُهُ الْيَهُودُ فِيمَا زَعَمْتُمْ
إِنْ قَوْلًا أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللَّهِ
مِثْلَ مَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَكُلُّ
إِذْ هُمْ اسْتَفَرَّوْا الْبِدَاءَ وَكَمْ سَا
وَأَرَاهُمْ لَمْ يَجْعَلُوا الْوَاحِدَ الـ
جَوُزُوا النُّسْخَ مِثْلَمَا جَوُزُوا الْمَنْسُخَ
هُوَ إِلَّا أَنْ يُزْفَعَ الْحُكْمُ بِالْحُكْمِ
وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ اسْتِهَاءَ
فَسَلُّوهُمْ أَكَانَ فِي مَسْخِهِمْ نُسْخُ
وَبِدَاءَ فِي قَوْلِهِمْ نَسِيمُ اللَّهِ
أَمْ مَحَا اللَّهُ آيَةَ اللَّيْلِ ذِكْرًا
أَمْ بَدَا لِلْإِلَهِ فِي ذَبْحِ إِسْحَا

بَيِّنَاتٍ ابْنَاؤُهَا أَذْعِيَاءُ^(١)
جِدِ نَفْصٌ فِي غَدُكُم أَمْ نَمَاءُ
جِيدٌ عَنْهُ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ
بِإِلَهِ لِسَاتِهِ أَجْزَاءُ
لِكِ فَهَلَا تَمَيِّزُ الْأَنْصِبَاءُ
لَذَانِ أَمْ هُمْ لِبَعْضِهِمْ كُفْلَاءُ
خَلَطُوهَا وَمَا بَنَى الْخُلَطَاءُ^(٢)
إِلَهُ يَمَسُّهُ الْإِعْيَاءُ
جِمَارٌ بِجَمْعِهِمْ مَشَاءُ
عَيْسَى إِلَيْهِ وَالْأَنْتِمَاءُ
ثَلَاثٌ بِوَصْفِهِ وَثْنَاءُ
فِي مَعَانِي الثُّبُوءِ الْأَنْبِيَاءُ
وَلَأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ
تَعَالَى ذِكْرًا لِقَوْلِ هُرَاءُ
لَزِمْتُهُ مَقَالَةَ شَنْعَاءُ
قِ وَيَالَا إِلَيْهِمْ اسْتَفَرَّاءُ^(٣)
قَهَّارٌ فِي الْخَلْقِ فَاعْلَا مَا يَشَاءُ
عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ^(٤)
وَخَلَقٌ فِيهِ وَأَمْرٌ مَوَاءُ
وَلِحُكْمٍ مِنَ الزَّمَانِ ابْتِدَاءُ
لَايَسَاتِ اللَّهِ أَمْ إِنْشَاءُ
عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَاءُ
بَعْدَ سَهْوٍ لِيُوجَدَ الْإِنْسَاءُ
قِ وَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ فِيهِ مَضَاءُ

(١) يقول: إن هذه الدعاوى باطلة ولا شيء من الأدلة يشبها.

(٢) الخُلَطَاء: الشركاء.

(٣) يرد في هذه الأبيات وما يليها على اليهود والنصارى الذين زعموا أن الله يغير ويبدل في مشيئته وأحكامه.

(٤) جَوُزُوا: أجازوا. الْمَنْسُخ: تبديل الصورة. وَالنُّسْخ: تبديل الحكم.

أَوْ مَا حَرَّمَ إِلَهُ يَكَاخِ الْأَخْ
لَا تُكْذِبُ إِنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ زَا
جَحَدُوا الْمُصْطَفَى وَأَمَنَ بِالطَّا
قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعِجَجَ
وَسَفِيَةً مِنْ سَاءِ الْمَنِّ وَالسُّلُوى
مُلِثَتْ بِالْخَبِيثِ مِنْهُمْ يُطَوِّنَ
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالِ مَنَبَتٍ بِخَيْرٍ
هُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصَدَّقُوا
فَيُظْلَمَ مِنْهُمْ وَكُفِّرَ عَذَّتُهُمْ
خُدِعُوا بِالْمُنَافِقِينَ وَهَلْ يَثُ
وَاطْمَأْنَوْا بِقَوْلِ الْأَحْزَابِ إِخْوَا
حَالَفُوهُمْ وَخَالَفُوهُمْ وَلَمْ أَذْ
أَسْلَمُوهُمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ لَامِي
سَكَنَ الرُّغْبُ وَالْخَرَابُ قُلُوبَا
وَيَسِيومُ الْأَحْزَابِ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْ
وَتَعَدَّوْا إِلَى النَّبِيِّ حَدُودًا
وَنَهَنَتْهُمْ وَمَا انْتَهَتْ عَنْهُ قَوْمُ
وَتَعَاظَمُوا فِي أَحْمَدٍ مُنْكَرَ الْقَوُ
كُلُّ رَجَسٍ يَزِيدُهُ الْخُلُوسُ السُّو
فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْقَوُ
وَجَدَ السَّبَّ فِيهِ سُمًّا وَلَمْ يَذْ

تِ بَعْدَ التَّحْلِيلِ فَهُوَ الزُّنَاءُ
غَوَا عَنْ الْحَقِّ مَغْشَرُ لُؤْمَاءِ
غُوتِ قَوْمٍ هُمْ عَنْهُمْ شُرَفَاءُ^(١)
لَ الْأَإْنَهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ
وَأَرْضَاءُ الْقَوْمِ وَالْقِثَاءُ^(٢)
فَهِيَ تَارٌ طِبَاقُهَا الْأَمْعَاءُ
كَانَ مَبْنًى لَدَيْهِمْ الْأَرْبَعَاءُ^(٣)
رَيْفٍ فِيهِ مِنَ الْيَهُودِ اعْتَدَاءُ
طَيِّبَاتٍ فِي تَرْكِهِنَّ ابْتِلَاءُ^(٤)
مُقًى إِلَّا عَلَى السَّفِيهِ الشَّقَاءُ^(٥)
نِهِمْ إِنَّنَا لَكُمْ أَوْلِيَاءُ
رِلْمَاذَا تَخَالَفَ الْحُلَفَاءُ
عَادُهُمْ صَادِقٌ وَلَا الْإِبْلَاءُ^(٦)
وَيُيُوتَا مِنْهُمْ نَعَامَا الْجَلَاءُ
صَارَ فِيهِمْ وَضَلَّتِ الْآرَاءُ
كَانَ فِيهَا عَلَيْهِمُ الْعُدَوَاءُ^(٧)
فَأَبِيدَ الْأُمَارُ وَالنُّهَاءُ
لِ وَنُطِقُ الْأَرَاذِلِ الْعَوْرَاءُ
ءِ سِفَاهَا وَالْمِلَّةُ الْعَوْجَاءُ
مِ وَمَا سَاقُ اللَّبْذِيِّ الْبَذَاءُ
رِ إِذَا الْمِيمُ فِي مُوَاضِعَ بَاءُ

(١) الطاغوت: الشيطان، وكل رأس ضلال، وكل ما عُبد من دون الله.

(٢) العن: ضرب من الحلوى أنزله الله على بني إسرائيل في التيه. والسلوى: طير السماني. القوم: الثوم.

(٣) السب: الراحة والقطع.

(٤) عذت: فانتهم.

(٥) يريد أن المنافقين من الأوس والخزرج خدعوا اليهود.

(٦) الإبلاء: القس. وفعله آلى إذا خلف.

(٧) العدا: الهلاك.

كَانَ مِنْ فِيهِ قَتْلُهُ بِيَدَيْهِ
 أَوْ هُوَ النَّحْلُ قَرَضُهَا يَجْلُبُ الْخَتَ
 صَرَغَتْ قَوْمَهُ حَبَائِلُ بَغْيِي
 فَأَتَتْهُمْ خَيْلٌ إِلَى الْحَرْبِ تَخْتًا
 قَصَدَتْ فِيهِمُ الْقَنَا فَقَوَّافِي الطُّغْنِ
 وَأَثَارَتْ بِأَرْضِ مَكَّةَ نَقْعًا
 أَخْجَمَتْ عِنْدَهُ الْحَجُّونَ وَأَكْذَى
 وَذَمَّتْ أَوْجُهَاً بِهَا وَبِيوتًا
 قَدَعُوا أَخْلَمَ الْبَرِّيَّةِ وَالْعَفْوِ
 نَاشِدُوهُ الْقُرْبَى الَّتِي مِنْ قُرَيْشٍ
 فَعَفَا عَفْوً قَادِرٍ لَمْ يُنْقَضْ
 وَإِذَا كَانَ الْقَطْعُ وَالْوَصْلُ لِلَّهِ
 وَسِوَاهُ عَلَيْهِ فِيمَا أَتَاهُ
 وَلَوْ أَنَّ انْتِقَامَهُ لِهَوَى النَّفْسِ
 قَامَ اللَّهُ فِي الْأُمُورِ فَأَرْضَى اللَّذَى
 فَعَلَهُ كُلُّهُ جَمِيلٌ وَهَلْ يَنْضَحُ
 أَطْرَبَ السَّامِعِينَ ذِكْرُ عُلاَةِ
 النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ أَعْلَمُ مَنْ أَسْنَدَ
 وَعَدْتَنِي أَزْدِيَارَهُ الْعَامَ وَجَنَّا

فَهُوَ فِي فِعْلِهِ الزُّبَاءُ^(١)
 فَ إِلَىهَا وَمَا لَهُ إِنْكَاءُ^(٢)
 مَذْهَبُ الْمَكْرُ مِنْهُمْ وَالذُّهَاءُ
 لُ وَلِلخَيْلِ فِي الْوَعْيِ خَيْلَاءُ
 مِنْهَا مَا شَأْنُهَا الْإِيطَاءُ^(٣)
 ظُنُّ أَنَّ الْقُدُوَّ مِنْهَا عِشَاءُ^(٤)
 عِنْدَ إِعْطَائِهِ الْقَلِيلَ كَذَاءُ^(٥)
 مُلٌّ مِنْهَا الْإِكْفَاءُ وَالْإِقْوَاءُ^(٦)
 جَوَابُ الْحَلِيمِ وَالْإِغْضَاءُ
 قَطَعَتْهَا الثَّرَاتُ وَالشُّخْنَاءُ^(٧)
 هُ عَلَيْهِمْ بِمَا مَضَى إِغْرَاءُ
 تَسَاوَى الثَّقَرِيبُ وَالْإِقْصَاءُ
 مِنْ سِوَاهُ الْمَلَامُ وَالْإِطْرَاءُ
 لَدَامَتْ قَطِيعَةً وَجَفَاءُ
 هُ مِنْهُ تَبَايُنٌ وَوَفَاءُ
 إِلَّا بِمَمَّا خَوَّاهُ الْإِنْيَاءُ
 بِالرَّاحِ مَالَتْ بِهَا التُّدْمَاءُ
 عَنْهُ الرُّوَاةُ وَالْحُكْمَاءُ
 هُ وَمَثَّتْ بِوَعْدِهَا الْوَجْنَاءُ^(٨)

- (١) الزُّبَاءُ: ملكة تدمر واسمها الزُّبَاءُ بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع، جاهلية قديمة اشتهرت بجمالها وذكاها.
- (٢) الحتف: الأجل. الإنكار والنكابة: القتل والجرح، ويريد الأثر العميق.
- (٣) القنا: جمع القناة: الرمح. الإبطاء: تكرير القافية في الشعر، وأراد أن لا حاجة لتكرار القتال.
- (٤) النقع: الغبار.
- (٥) الغزوة الحجون: المورى عنها بغيرها.
- (٦) الإكفاء في الشعر: المخالفة بين حروف أواخره. ويريد هاهنا انكفاء تلك الوجوه عن الناس طلباً للحماية، والإقواء في الشعر: اختلاف حركات إعراب روي القافية بين رفع وخفض. والإقواء أيضاً خلل الدار من أهلها.
- (٧) الثرات: جمع الترة، أي النار.
- (٨) الناقة الوجناء: الناقة الشديدة.

أَفَلَا أَنْطَوِي لَهَا فِي أَفْنَضَائِهِ
بِأَلُوفِ الْبَطْحَاءِ يُجْفِلُهَا النَّيْلُ
أَنْكَرَتْ مَضَرَ قَهِي تَنْفِرُ مَا
فَأَقْضَتْ عَلَى مَبَارِكِهَا بِز
فَالْقَبَابِ الَّتِي تَلِيهَا فَبَثُرُ النَّخْلِ
وَعَدَتْ أَيْلَةً وَحَقْلٌ وَقُرُ
فَعِيُونَ الْأَقْصَابِ يَتَّبِعُهَا الثُّبُكُ
حَاوَرَتْهَا الْحَوْرَاءُ شَوْقًا فَيَنْبُو
لَاخَ بِالْذَهْنَوَيْنِ بَذَرٌ لَهَا بَغْدُ
وَنَضَتْ بِزَوْءٍ فَرَابِغٍ فَالْجُحْفَةُ
وَأَرْثَهَا الْخَلَاصَ بَثُرُ عَلِيٍّ
فَنَهِيَ مِنْ مَاءِ بَثْرِ عُسْفَانَ أَوْ مِنْ
قَرَبِ الزَّاهِرِ الْمَسَاجِدُ مِنْهَا
هَذِهِ عِدَّةُ الْمَنَازِلِ لَأَمَّا
فَكَأَنِّي بِهَا أَرْحَلُ مِنْ مَكَّةَ
مَوْضِعُ الْبَيْتِ مَهَيْطُ الْوَحْيِ مَاوِي الرُّ
حَيْثُ فَرَضَ الطَّوَافُ وَالسَّغْيُ وَالْحَلَقُ

لِطَطْوِي مَا بَيْنَنَا الْأَفْلَاءُ^(١)
وَقَدْ شَفَّ جَوْفَهَا الْإِظْمَاءُ^(٢)
لَاخَ بِئَاءَ لِعَيْنَيْهَا أَوْ خَلَاءُ
كَثَّهَا فَالْبُؤْيُوبُ فَالْخَضْرَاءُ^(٣)
وَالرُّكْبُ قَائِلُونَ بِرَوَاءِ^(٤)
خَلَفَهَا فَالْمَغَازَةُ الْفَيْحَاءُ^(٥)
وَيَثْلُو كُفَّاءَةَ الْعَوْجَاءِ
عُ فَرَقَ الْيَنْثُبُوعُ وَالْحَوْرَاءُ
حُثْنِينَ وَحَثْنِ الصُّفْرَاءِ^(٦)
عَنْهَا مَا حَاكَه الْإِنْضَاءُ^(٧)
فَعِقَابُ السُّوَيْقِ فَالْخُلْصَاءُ^(٨)
بَطْنِ مَرِّ ظِمَانَةٍ خُمْصَاءُ^(٩)
بِخُطَاهَا فَالْبُطْءُ مِنْهَا وَحَاءُ^(١٠)
عُدَّ فِيهِ السُّمَّاكُ وَالْعَوَاءُ^(١١)
شَمْسًا سَمَاوُهَا الْبَيْدَاءُ
سَلِ حَيْثُ الْأَنْوَارُ حَيْثُ الْبَهَاءُ
وَرَمَى الْجَمَارِ وَالْإِهْدَاءُ^(١٢)

(١) الأفلاء: جمع الفلاة: القفار.

(٢) البطحاء: المسيل الواسع فيه ذقاق الحصى. وأراد منطقة مكة المكرمة. يُجْفِلُهَا: يزعجها.

(٣) البركة، والبؤيوب والخضراء: مواضع.

(٤) رواء: جمع رَيَّا أي مُرتوية.

(٥) الفَيْحَاءُ: الواسعة من الدور.

(٦) الصفراء: واد بين الحرمين. بَدَرٌ وَحْنِينَ: موضعان دار في كل منهما معركة بين المسلمين وأهل الكفر.

(٧) نضت: خلعت، وتجردت.

(٨) بثر علي: موضع إحرام الحجيج من جهة المدينة. الخُلْصَاءُ: بلد بالدهناء.

(٩) عُسْفَانُ: منهلة من مَنَاهِلِ الطَّرِيقِ بَيْنَ الْجُحْفَةِ وَمَكَّةَ. بَطْنُ مَرٍّ: من نواحي مكة. خُمْصَاءُ: ضامرة البطن جائعة.

(١٠) الرِّحَاءُ: السرعة.

(١١) السُّمَّاكُ وَالْعَوَاءُ: من منازل القمر.

(١٢) الطَّوَافُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَالسَّغْيُ بَيْنَ الصَّفَاءِ وَالْمَرْوَةِ، وَرَمَى الْحِجَارِ، وَالْإِهْدَاءُ: من شعائر الحج.

خَبْنًا خَبْنًا مَعَاهِدُ مِنْهَا
 حَرَمٌ آمِنٌ وَيَنْتِ حَرَامٌ
 فَقَضَيْنَا بِهَا مَنَاسِكَ لَا يُخَمَدُ
 وَرَمَيْنَا بِهَا الْفِجَاجَ إِلَى طَيْبَةٍ
 فَاصْبْنَا عَنْ قَوْسِهَا غَرَضَ الْقُرْ
 فَرَأَيْنَا أَرْضَ الْحَبِيبِ يَغْضُ الطَّرْ
 فَكَأَنَّ الْبَيْدَاءَ مِنْ حَيْثُ قَا
 وَكَأَنَّ الْبِقَاعَ زَرَّتْ عَلَيْهَا
 وَكَأَنَّ الْأَرْجَاءَ تَنْشُرُ نَشْرَ الْ
 فَإِذَا شِمْتَ أَوْ شَمَمْتَ رُبَاهَا
 أَيْ نُورٍ وَأَيْ نُورٍ شَهْدَنَا
 قَرَّ مِنْهَا دَمْعِي وَقَرَّ اضْطَبَّارِي
 فَتَرَى الرُّكْبَ طَائِرِينَ مِنَ الشُّوْ
 وَكَأَنَّ الزُّوَارَ مَا مَسَّتِ الْبَاءُ
 كُلُّ نَفْسٍ مِنْهَا ابْتِهَالٌ وَسَوْءٌ
 وَزَفِيرٌ تَظُنُّ مِنْهُ صُدُورًا
 وَيُكَاءُ يُغْرِيه بِالْعَيْنِ مَدُّ
 وَجُسُومٌ كَأَنَّهَا رَحَضَتْهَا

لَمْ يُغَيِّرْ آيَاتِهِنَّ الْبَلَاءُ
 وَمَقَامٌ فِيهِ الْمُقَامُ ثَلَاثُ^(١)
 إِلَّا فِي فِعْلِهِنَّ الْقَضَاءُ
 وَالسَّيْرُ بِالْمَطَايَا رِمَاءُ^(٢)
 بِ وَنِعَمَ الْخَبِثَةُ الْكُومَاءُ^(٣)
 فَ مِنْهَا الضُّيَاءُ وَاللَّأَلَاءُ
 بَلَّتِ الْعَيْنُ رَوْضَةً غَنَاءُ^(٤)
 طَرَقْنَاهَا مُلَاءَةً حَمْرَاءُ
 جِسْكَ فِيهَا الْجَنُوبُ وَالْجَزْيَاءُ^(٥)
 لَاحَ مِنْهَا بَرْقٌ وَفَاحَ كِبَاءُ^(٦)
 يَوْمَ أَبَدَتْ لَنَا الْقِيَابَ قُبَاءُ^(٧)
 فَدُمُوعِي سَيْلٌ وَصَبْرِي جُفَاءُ
 قِي إِلَى طَيْبَةٍ لَهُمْ ضَوْضَاءُ^(٨)
 سَاءَ مِنْهُمْ خَلْقًا وَلَا الضَّرَاءُ
 وَدُعَاءُ وَرَغْبَةً وَابْتِغَاءُ
 صَادِحَاتٍ يَعْتَادُهُنَّ رُقَاءُ^(٩)
 وَنَحِيبٌ يَحُثُّهُ اسْتِغْلَاءُ
 مِنْ عَظِيمِ الْمَهَابَةِ الرُّحْضَاءُ^(١٠)

(١) الثَّلاَثُ: الذِّمَّةُ وَالْجَوَارُ.

(٢) الرِّمَاءُ: الرَّمْيُ. طَيْبَةٌ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ.

(٣) الْغُرُضُ: مَا يُرْمَى بِالسَّهَامِ. وَالْغَرَضُ: الْمَقْصِدُ. الْخَبِثَةُ: الْمَخْبَأَةُ، وَالذَّخِيرَةُ. الْكُومَاءُ: النَّاقَةُ الْعَظِيمَةُ السَّنَامُ.

(٤) الْبَيْدَاءُ: الْغَلَاءُ.

(٥) الْجَنُوبُ: رِيحٌ تَخَالِفُ الشَّمَالَ مَهْبِأً مِنْ مَطْلَعِ سَهِيلٍ إِلَى مَطْلَعِ الثَّرِيَا: الْجَزْيَاءُ: الرِّيحُ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالضُّبَا. أَوْ الشَّمَالُ.

(٦) شِمْتَ: نَظَرْتُ. الْكِبَاءُ: عَوْدُ الْبُخُورِ.

(٧) قُبَاءُ: مَوْضِعٌ قَرِبَ الْمَدِينَةِ.

(٨) الضُّوْضَاءُ: الْجَلْبَةُ.

(٩) الرُّقَاءُ: صَوْتُ الطَّيُورِ.

(١٠) رَحَضَهُ: غَسَلَهُ. الرُّحْضَاءُ: الْغَرَقُ إِثْرَ الْحَمَى.

وَوَجُوهَ كَأَنَّمَا أَلْبَسْتَهَا
وَذُمُوعَ كَأَنَّمَا أَرْسَلْتَهَا
فَحَطَطْنَا الرِّحَالَ حَيْثُ يَحْطُ الْـ
وَقَرَأْنَا السَّلَامَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللَّهِ
وَذَهَلْنَا عِنْدَ اللَّقَاءِ وَكَمْ أَذْ
وَوَجَمْنَا مِنَ الْمَهَابَةِ حَتَّى
وَرَجَعْنَا وَلِلْقُلُوبِ التَّفَاتَا
وَسَمَخْنَا بِمَا نُحِبُّ وَقَدْ يَسْمَحُ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي ضَمِنَ إِقْسَا
بِالْعُلُومِ الَّتِي عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ
وَمَسِيرِ الصُّبَا بِنَضْرِكَ شَهْرَا
وَعَلَيَّ لَمَّا تَقَلَّتْ بِعَيْنَيْ
فَقَدْ نَظَرْتُ بِعَيْنَيْ عُقَابٍ
وَبَرِيحَاتَيْنِ طَيِّبُهُمَا مِنْ
كُنْتُ تُؤْوِيهِمَا إِلَيْكَ كَمَا آ
مِنْ شَهِيدَيْنِ لَيْسَ يُنْسِينِي الطُّفْ
مَلَزَعِي فِيهِمَا ذِمَامَكَ مَرُوءِ
أَبْدَلُوا الْوُدَّ وَالْحَفِظَةَ فِي الْقُرْ

مِنْ حَيَاءِ أَلْوَانِهَا الْجَزْبَاءُ^(١)
مِنْ جُفُونِ سَحَابَةٍ وَطَفَاءُ^(٢)
وَزُرَّ عُنَا وَتَرْفَعُ الْحَوِجَاءُ^(٣)
مِنْ حَيْثُ يُسْمَعُ الْإِفْرَاءُ
فَلَّ صَبَاً مِنَ الْحَبِيبِ لِقَاءُ^(٤)
لَا كَلَامَ مِنَّا وَلَا إِيمَاءُ
تَ إِلَيْهِ وَلِلْجُسُومِ انْتِئَاءُ
عِنْدَ الضَّرُورَةِ الْبُخْلَاءُ
مِي عَلَيْهِ مَذْخُ لَهُ وَثْنَاءُ
بَلَا كَاتِبٍ لَهَا إِمْلَاءُ
فَكَأَنَّ الصُّبَا لَدَيْكَ رُخَاءُ
بِهِ وَكَلَّتَاهُمَا مَعَا رَمْدَاءُ^(٥)
فِي غَزَاةٍ لَهَا الْعُقَابُ لَوَاءُ^(٦)
كَ الَّذِي أَوْدَعَتْهُمَا الزُّهْرَاءُ^(٧)
وَتَ مِنَ الْخَطِّ تُقَطِّعُهَا الْبَيَاءُ
مُصَابِيَهُمَا وَلَا كَرْبَلَاءُ^(٨)
مَنْ وَقَدْ خَانَ عَهْدَكَ الرُّؤْسَاءُ^(٩)
بَيَ وَأَبْدَتْ ضَبَابَهَا النَّافِقَاءُ^(١٠)

(١) الجرباء: ذكر أم حُبين.

(٢) السحابة الوطفاء: السحابة المسترخية لكثرة ماؤها.

(٣) الوزر: الإثم. الحوجاء: الحاجة.

(٤) الصُّب: المشتاق المحب.

(٥) الرمد: هيجان العين: والعين رمداء.

(٦) العقاب الأولى: طائر جارح. والعقاب الثانية: اسم لراية النبي صلى الله عليه وسلم.

(٧) الريحانتان: كناية عن ولدي فاطمة الحسن والحسين سبطي النبي.

(٨) الشهيدان: أي الحسن والحسين، فالأول مات مسموماً والثاني قتل في الطف بمحلة كربلاء. والطف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

(٩) الذمام: العهد.

(١٠) الضباب: جمع الصُّب وهو حيوان صحراوي. النافقاء: إحدى جحرة اليربوع، يكتنمها ويظهر غيرها.

وَقَسَتْ مِنْهُمْ قُلُوبٌ عَلَى مَنْ
فَانْكَبَهُمْ مَا اسْتَطَعَتْ إِنْ قَلِيلًا
كُلُّ يَوْمٍ وَكُلُّ أَرْضٍ لِكَرْبِي
أَلْ بَيْتِ النَّبِيِّ إِنْ فُؤَادِي
غَيْرَ أَنِّي فَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ
رُبَّ يَوْمٍ يَكْزِبُ بَلَاءَ مُسِيءٍ
وَالْأَعَادِي كَأَنَّ كُلَّ طَرِيحٍ
أَلْ بَيْتِ النَّبِيِّ طَبَنُكُمْ فَطَابَ أَلْ
أَنَا حَسَّانُ مَذْجِكُمْ فَبِإِذَا نُحَدِّثُكُمْ
النَّاسَ بِالثَّقَى وَسِوَاكُمْ
وَبِأَصْحَابِكِ الَّذِينَ هُمْ بَعْدَ
أَحْسَنُوا بَعْدَكَ الْخِلَافَةَ فِي الدُّ
أَغْنِيَاءَ نَزَاهَةَ فُقَرَاءَ
زَهْدُوا فِي الدُّنَا فَمَا عُرِفَ الْمَمِيلُ
أَرْخَصُوا فِي الْوَعَى نُفُوسَ مُلُوكٍ
كُلُّهُمْ فِي أَحْكَامِهِ ذُو اجْتِهَادٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
جَاءَ قَوْمٌ مِنْ بَعْدِ قَوْمٍ بِحَقِّ
مَا لِمُوسَى وَلَا لِعِيسَى حَوَارِدُ

بَكَتِ الْأَرْضُ فَقَدَهُمِ وَالسَّمَاءُ
فِي عَظِيمٍ مِنَ الْمُصَابِ الْبُكَاءُ
مِنْهُمْ كَرْبِلًا وَعَاشُورَاءُ^(١)
لَيْسَ يُسْلِيهِ عَنْكُمْ التَّأْسَاءُ^(٢)
وَتَفْوِيضِي الْأُمُورَ بَرَاءَ
خَفَقَتْ بَعْضُ وَزِيرِ الزُّورَاءِ^(٣)
مِنْهُمْ الزُّقُ حُلٌّ عَنْهُ الْوِكَاءُ^(٤)
مَذْخُ لِي فِيكُمْ وَطَابَ الرَّثَاءُ
ثَ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي الْخَنَسَاءُ^(٥)
سَوَدَّتْهُ الْبَيْضَاءُ وَالصَّفْرَاءُ
مَذْكَ فِينَا الْهُدَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ
يَسِرُّ وَكُلُّ لَمَّا تَوَلَّى إِزَاءُ^(٦)
عُلَمَاءُ أُنْمَاءُ أَمْرَاءُ
إِلَيْهَا مِنْهُمْ وَلَا الرُّغْبَاءُ
حَارَبُوهَا أَسْلَابُهَا إِغْلَاءُ
وَصَوَابُ وَكُلُّهُمْ أَكْفَاءُ
هُ فَأَنَّى يَخْطُو إِلَيْهِمْ خَطَاءُ
وَعَلَى الْمَنْهَجِ الْحَنِيفِيِّ جَاءُوا^(٧)
وَنَ فِي فَضْلِهِمْ وَلَا نُقْبَاءُ

(١) كربلاء: موضع بالعراق كان فيه مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما. وعاشوراء: ذكرى تلك الوقعة في العاشر من محرم.

(٢) التأساء والتأسية: التعزية.

(٣) الزوراء: يريد بغداد، والمعنى أن العباسيين. ومقرهم بغداد. قد خففوا من تلك الفاجعة بانتقامهم من الأمويين.

(٤) الوكاء: من يشد به رأس الزق.

(٥) حسان: هو حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي، توفي حسان سنة ٥٤هـ. والخنساء هي ثماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السلمية، شاعرة مخضرمة عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام وأسلمت، ماتت سنة ٢٤هـ. اشتهرت برثائها لأخويها في الجاهلية.

(٦) الإزاء: القرين، ويريد أنهم كانوا أهلاً لما تولوا.

(٧) المنهج الحنيفي: المنهج الإسلامي.

كأبي بكرٍ الذي صَحَّ لَنَا
والمُهْدِي يَوْمَ السَّقِيفَةِ لَمَّا
أَنْفَذَ الدِّينَ بَعْدَ مَا كَانَ لِلدِّينِ
أَتَقَى الْمَالَ فِي رِضَاكَ وَلَا مَنْ
وَأَبِي حَفْصٍ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهَ
وَالَّذِي تَقَرَّبُ الْأَبَاعِدُ فِي اللَّهِ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْ قَوْلُهُ الْفَضْلُ
فَرَّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ إِذْ كَانَ فَارُو
وَابْنُ عَفَّانَ ذِي الْأَيْدِي الَّتِي طَا
حَفَرَ الْبِئْرَ جَهَّزَ الْجَيْشَ أَهْدَى الْ
وَأَبَى أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ إِذْ لَمْ
فَجَزَتْهُ عَنْهَا بِبَيْعَةٍ رَضُوا
أَدَبَ عِنْدَهُ تَضَاعَفَتِ الْأَعْدَاءُ
وَعَلِيِّ صِنُو النَّبِيِّ وَمَنْ دِي
وَوَزِيرِ ابْنِ عَمَّةٍ فِي الْمَعَالِي
لَمْ يَزِدْهُ كَشَفُ الْغِطَاءِ يَقِيناً
وَبِاقِي أَصْحَابِكَ الْمُظْهِرِ الثَّرْ
طَلْحَةَ الْخَيْرِ الْمُرْتَضِيهِ رَفِيقاً
وَحَوَارِيكَ الزُّنَيْرِ أَبِي الْقُرْ

سٍ بِهِ فِي حَيَاتِكَ الْإِقْبِلَاءُ^(١)
أَزْجَفَ النَّاسُ، أَنَّهُ الدَّاءُ^(٢)
نَ عَلَى كُلِّ كُرْبَةٍ إِشْفَاءُ^(٣)
وَأَعْطَى جَمًّا وَلَا إِكْدَاءُ^(٤)
بِهِ الدِّينَ فَارَعَوَى الرُّقْبَاءُ^(٥)
إِلَيْهِ وَتَبَعْدُ الْقُرْبَاءُ
لَمْ وَمَنْ حُكْمُهُ السُّوْيُ السَّوَاءُ
قَا فَلِلنَّارِ مِنْ سَنَاءِ انْبِسَاءِ
لَ إِلَى الْمُصْطَفَى بِهَا الْإِشْدَاءُ
هَدَى لَمَّا أَنْ صَدَّ الْأَغْدَاءُ^(٦)
يَذُنُ مِنْهُ إِلَى النَّبِيِّ فَنَاءُ
نَ يَدُ مِنْ نَبِيِّهِ بِنِضَاءِ
مَالُ بِالْتَّرَكِ حَبْدًا الْأَدْبَاءُ
نَ قُرَّادِي وَدَادُهُ وَالْوَلَاءُ^(٧)
وَمِنْ الْأَهْلِ تُسْعَدُ السُّوَرَاءُ
بَلْ هُوَ الشَّمْسُ مَا عَلَيْهِ غِطَاءُ
تَيْبٍ فِينَا تَفْضِيلُهُمُ وَالْوَلَاءُ
وَإِحْدَا يَوْمَ قَرَّتِ الرُّقْبَاءُ^(٨)
مَ الَّذِي أَنْجَبَتْ بِهِ أَسْمَاءُ^(٩)

- (١) فِي الْأَصْلِ بَابِي بَكَرٍ وَهُوَ خَطَا لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْمَعْنَى.
(٢) الدَّاءُ: آخِرُ الشَّهْرِ. قَوْلُهُ الْمُهْدِي، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ حَيْثُ دَعَا النَّاسَ إِلَى التَّصْبِيرِ حِينَ تَوَفَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
(٣) الْإِشْفَاءُ: الْإِشْرَافُ.
(٤) الْإِكْدَاءُ: وَقْفُ الْعَطَاءِ.
(٥) أَبُو حَفْصٍ: كُنْيَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ الثَّانِي. ارْعَوَى: ارْتَدَعَ.
(٦) إِشْدَاءُ: إِشَارَةٌ إِلَى بَعْضِ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ الْخَلِيفَةِ الرَّاشِدِ الثَّالِثِ.
(٧) الصُّنُو: الْأَخُ الشَّقِيقُ، أَوْ الْإِبْنُ أَوْ الْعَمُّ.
(٨) يُشِيرُ إِلَى مَعْرَكَةِ أَحَدٍ وَبِلَاءِ طَلْحَةَ فِيهَا.
(٩) الْحَوَارِيُّ: النَّاصِرُ، أَوْ نَاصِرُ الْأَنْبِيَاءِ: الزُّبَيْرُ: هُوَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ. أَسْمَاءُ: هِيَ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ. وَأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَالْقُرْمُ: الْفَعْلُ.

وَالصَّافِيَيْنِ تَوْءَمَ الْفَضْلِ سَكَنِدِ
وَابْنِ عَزُوفٍ مَنْ هَوَتْ نَفْسُهُ الدُّنَى
وَالْمُكْنَى أَبَا عُبَيْدَةَ إِذْ يَعِدُ
وَيَعْمَلُكَ تَجَرِّيَ فَلَكَ الْمَجْدُ
وَبَأَمُ السُّبُطَيْنِ زَوْجِ عَلِيٍّ
وَبَأَزْوَاجِكَ اللَّوَاتِي تُشْرَفُ
الْأَمَانَ الْأَمَانَ إِنَّ فُرَادِي
قَدْ تَمَسَّكَتْ مِنْ وَدَادِكَ بِالْحَبِ
وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَمَسَّنِي السُّوْ
قَدْ رَجَوْنَاكَ لِلْأُمُورِ الَّتِي أَبَى
وَأَتَيْنَا إِلَيْكَ أَنْضَاءَ فَقَرِ
وَانْطَوَتْ فِي الصُّدُورِ حَاجَاتُ نَفْسٍ
فَأَغْنِنَا يَا مَنْ هُوَ الْغَوْثُ وَالْغَيْثُ
وَالْجَوَادُ الَّذِي بِهِ تُفَرِّجُ الْغَمَّ
يَا رَحِيماً بِالْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَا
يَا شَفِيعاً فِي الْمُذْنِبِينَ إِذَا أَشَدَّ
جُذُوعُ لِعَاصٍ وَمَا سِوَايَ هُوَ الْعَا
وَتَذَارِكُهُ بِالْعَنَايَةِ مَا دَا
أَخْرَجَتْهُ الْأَعْمَالُ وَالْمَالُ عَمَّا
كُلَّ يَوْمٍ دُؤُوبُهُ • عَاصِدَاتُ

وَسَمِعِيدِ إِنَّ عُذَّتِ الْأَضْفِيَاءُ
يَا بِبَذْلِ يَمِيدِهِ إِثْرَاءُ
زِيٍّ إِلَيْهِ الْأَمَانَةُ الْأَمْنَاءُ
لِي وَكُلُّ أَتَاءٍ مِنْكَ إِتَاءٌ^(١)
وَبَيْنِيهَا وَمَنْ حَوَتْهُ الْعَبَاءُ^(٢)
نَ بَأَنْ صَانَهُنَّ مِنْكَ بِنَاءُ^(٣)
مَنْ دُؤُوبٍ أَتَيْتُهُنَّ هَوَاءُ
لِي الَّذِي اسْتَمْسَكَتْ بِهِ الشَّفْعَاءُ
يَا بِحَالِ وَلِيٍّ إِلَيْكَ التَّجَاءُ
رَدُّهَا فِي فُرَادِينَا رَمَضَاءُ^(٤)
خَمَلْتُنَا إِلَى الْغِنَى أَنْضَاءُ^(٥)
مَا لَهَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ انْطَوَاءُ
تُ إِذَا أَجْهَدَ الْوَرَى اللَّوَاءُ^(٦)
تُ عَنَا وَتُكْشَفُ الْحَوْبَاءُ^(٧)
ذَهَلْتُ عَنْ أَبْنَائِهَا الرُّحَمَاءُ
فَقَوْ مِنْ خَوْفِ دَنْبِهِ السُّبْرَاءُ
صِي وَلَكِنْ تَنْكُرِي اسْتِحْيَاءُ
مَ لَهُ بِالذُّمَامِ مِنْكَ دَمَاءُ^(٨)
قَدَّمَ الصَّالِحُونَ وَالْأَغْنِيَاءُ
وَعَلَيْهَا أَنْفَاسُهُ صُعْدَاءُ^(٩)

(١) يريد حمزة والعباس ابني عبد المطلب.

(٢) يريد فاطمة، وعلياً والحسن والحسين.

(٣) قوله بناء: الدخول بالزوجة، أو أنه أراد الأبنية.

(٤) الرَّمَضَاءُ: الأرض الشديدة الحرارة.

(٥) أَنْضَاءُ: جمع نضو: مهزول.

(٦) الْوَرَى: الخلق. اللَّوَاءُ: الشدة.

(٧) الْحَوْبَاءُ: النفس.

(٨) الذُّمَامُ: بقية الروح.

(٩) الصُّعْدَاءُ: النفس المتواتر.

أَلِفَ الْبِطْنَةِ الْمُبْطِنَةِ السَّيِّدِ
فَبَكَى ذَنْبَهُ بِقَسْوَةِ قَلْبِ
وَعَدَا يَغْتِيبُ الْقَضَاءُ وَلَا عُذُّ
أَوْثَقَتْهُ مِنَ الذُّنُوبِ دُيُونُ
مَا لَهُ جِيلَةٌ سِوَى جِيلَةِ الْمَوْتِ
رَاجِحاً أَنْ تَعُودَ أَعْمَالُهُ السُّو
أَوْ تُرَى سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتِ
كُلُّ أَمْرٍ تُغْنِي بِهِ ثَقْلُ الْأَعْدِ
رُبُّ عَيْنٍ تَفَلَّتْ فِي مَائِهَا الْمِلْدِ
أَوْ مِمَّا جَنَيْتُ إِنْ كَانَ يُغْنِي
أَزْتَجِي الثُّوبَةَ النَّصُوحَ وَفِي الْقَلْدِ
وَمَتَى يَسْتَقِيمُ قَلْبِي وَلِلْجِسْدِ
كُنْتُ فِي نَوْمَةِ الشَّيَابِ فَمَا اسْتَدِ
وَتَمَادَيْتُ أَقْتَفِي أَثَرَ الْقَوِ
فَوَرَا السَّائِرِينَ وَهُوَ أَمَامِي
حَمِيدَ الْمُذْلَجُونَ غِبُّ سُرَاهِمِ
رَحْلَةً لَمْ يَزَلْ يُفَنِّدُنِي الصَّبِ
يَتَّقِي حُرَّ وَجْهِهِ الْحَرِّ وَالْبَرِّ
ضِيقُ دَرْعاً مِمَّا جَنَيْتُ فَيُؤْمِي

رِ بَدَارِ بِهَا الْبِطَانُ بِطَاءُ^(١)
نَهَبَ الذَّمْعَ فَالْبُكَاءُ مُكَاءُ^(٢)
رَ لِعَاصٍ فِيمَا يَسُوقُ الْقَضَاءُ
شَدَّدَتْ فِي افْتِضَائِهَا الْغُرْمَاءُ^(٣)
تَسْقِي إِمَّا تَسْوَسِّلُ أَوْ دُعَاءُ
ءُ بِغُفْرَانِ اللَّهِ وَهِيَ هَبَاءُ^(٤)
فَيَقَالُ اسْتَحَالَتِ الصُّهْبَاءُ^(٥)
يَانُ فِيهِ وَتَفْجَبُ الْبُصْرَاءُ
حَ فَاَضْحَى وَهُوَ الْفُرَاتُ الرِّوَاءُ^(٦)
أَلِفٌ مِنْ عَظِيمِ ذَنْبٍ وَهَاءُ
بِ نَفَاقٍ وَفِي اللِّسَانِ رِيَاءُ
مِ اغْوَجَاجٍ مِنْ كَبَرْتِي وَانْحِنَاءُ
يَقْظُتُ إِلَّا وَلِمْتِي شَمْطَاءُ^(٧)
مِ فَطَالَتْ مَسَافَةٌ وَاقْتِفَاءُ
سُبُلٌ وَعَرَّةٌ وَأَرْضُ عَرَاءُ
وَكَفَى مَنْ تَخَلَّفَ الْإِبْطَاءُ^(٨)
فُ إِذَا مَا نَوَيْتُهَا وَالشُّتَاءُ^(٩)
دَ وَقَدْ عَزَّ مِنْ لَظَى الْإِثْقَاءُ^(١٠)
قَمَطَرِيرٌ وَلِيلَتِي دَرْعَاءُ^(١١)

(١) البطنة: التهم في الطعام والشراب.

(٢) المكاء: الصفير بالغم.

(٣) الغرماء: أصحاب الدين، الواحد غارم.

(٤) هباء: غبار.

(٥) الصهباء: الخمرة. استمالت: تحولت.

(٦) الماء الفرات: الماء العذب: الرِّوَاءُ: بئر زمزم.

(٧) اللقمة: الشعر المجاور لشحمة الأذن. الشمطاء: السواد المختلط بالبياض.

(٨) المذلجون: جمع المذلج: وهو الذي يسير ليلاً.

(٩) يفنئني: يكذبني.

(١٠) حرٌّ وجهي، يعني الظاهر منه.

(١١) قمطيرير: شديد. درعاء: مظلمة.

وَتَذَكَّرْتُ رَحْمَةَ اللَّهِ فَالْبِشْ
فَالْحُ الرُّجَاءُ وَالْخَوْفُ بِالْقُلُ
صَاحٍ لَا تَأْسُ إِنْ ضَعُفَتْ عَنِ الطَّ
إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ وَأَحَقُّ النَّ
فَابَقَ فِي الْعُزْجِ عِنْدَ مُنْقَلَبِ الدَّوْ
لَا تَقُلْ حَاسِداً لِعَفِيرِكَ هَذَا
وَأَتَيْتُ بِالْمُسْتَطَاعِ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ
وَيَحُبُّ النَّبِيُّ فَايْغُ رَضَى اللَّهُ
يَا نَبِيَّ الْهُدَى اسْتَغْفَاةً مَلْهُو
يَدْعِي الْحُبَّ وَهُوَ يَأْمُرُ بِالسُّو
أَيُّ حُبٍّ يَصِيحُ مِنْهُ وَطَرْفِي
لَيْتَ شِعْرِي أَذَاكَ مِنْ عُظْمِ ذَنْبٍ
إِنْ يَكُنْ عُظْمٌ زَلْتِي حَجَبَ رُؤْيَا
كَيْفَ يَضْدَا بِالذَّنْبِ قَلْبُ مُحِبٍّ
هَذِهِ عَلَّتِي وَأَنْتَ طَبِيبِي
وَمِنْ الْقَوْرِ أَنْ أَبْثُكَ شَكْوَى
ضُمْنَتِهَا مَذَانِحُ مُسْتَطَابٍ
قَلَمًا حَاوَلْتُ مَدِيحَكَ إِلَّا
حَقُّ لِي فِيكَ أَنْ أَسْأَلَ قَوْمًا
إِنْ لِي غَيْرَةٌ وَقَدْ زَاخَمْتَنِي
وَلِقَلْبِي فِيكَ الْغُلُوُّ وَأَنِي

رُ لِيُوجِّهِي أَنِّي أَتَّحِي تِلْقَاءَ
بِ وَلِلْخَوْفِ وَالرُّجَا إِخْفَاءُ^(١)
عَةِ وَاسْتَأْثَرْتُ بِهَا الْأَقْوِيَاءَ
أَسِ مِنْهُ بِالرَّحْمَةِ الضُّعْفَاءَ
دِ فِيهِ الْعَزْدُ تَسْبِقُ الْعَرْجَاءُ^(٢)
أَتَمَرْتُ نَخْلَهُ وَنَخْلِي عَفَاءُ^(٣)
فَقَدْ يُسْقِطُ الثَّمَارَ الْإِتَاءُ^(٤)
فَفِي حُبِّهِ الرُّضَا وَالْحِبَاءُ^(٥)
فِ أَضَرْتُ بِحَالِهِ الْحَوْبَاءُ^(٦)
وَ مَنْ لِي أَنْ تَضُدَّ الرُّغْبَاءُ
لِلْكَرَى «وَاصِلٌ» وَطَيْفُكَ رَاءُ^(٧)
أَمْ حُظُوظُ الْمُتَيَّمِينَ حُظَاءُ
كَ فَقَدْ عَزَّ دَاءُ قَلْبِي الدَّوَاءُ
وَلَهُ ذِكْرُكَ الْجَمِيلُ جَلَاءُ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْقَلْبِ دَاءُ
هِيَ شَكْوَى إِلَيْكَ وَهِيَ اقْتِضَاءُ
فِيكَ مِنْهَا الْمَدِيحُ وَالْإِصْفَاءُ
سَاعَدْتَهَا مَيْمٌ وَدَالٌ وَحَاءُ
سَلَمْتُ مِنْهُمْ لِدُلُوبِ الدَّلَاءِ^(٨)
فِي مَعَانِي مَدِيحِكَ الشُّعْرَاءُ
لِلِّسَانِي فِي مَدْحِكَ الْغُلَوَاءُ^(٩)

(١) الإخفاء: ترديد السؤال والإلحاح على الأمر.

(٢) العود: العودة. الدود: ثلاثة أبعرة إلى عشرة، أو خمس عشرة. أو عشرين أو ثلاثين.

(٣) عفاء الشيء: دروسه.

(٤) الإثناء: ربيع النخلة وثمرها.

(٥) الحباء: أن يختصه ويميل إليه.

(٦) الحوباء: النفس.

(٧) الكرى: النعاس. واصل: يريد ابن عطاء المعتزلي الذي لم يكن ينطق بالراء.

(٨) المساجلة: المفاخرة.

(٩) الغلواء: المبالغة.

فَأَثَبَ خَاطِرًا يَلْدُ لَهُ مَذْ
حَاكَ مِنْ صَنْعَةِ الْقَرِيضِ بُرُودًا
أَعْجَزَ الدُّرُّ نَظْمُهُ فَاسْتَوَتْ فِيهِ
فَارَاضُهُ أَفْصَحَ أَمْرِي نَطَقَ الضَّأ
أَبْذَكَرَ الْآيَاتِ أَوْفِيكَ مَذْحَا
أَمْ أَمَارِي بِهِنَ قَوْمَ نَبِيٍّ
وَلَكِ الْأُمَّةُ الَّتِي غَبَطَتْهَا
لَمْ تَخَفْ بِغَدَاكَ الضُّلَالِ وَفِينَا
فَانْقَضَتْ آيُ الْأَنْبِيَاءِ وَآيَا
وَالْكَرَامَاتِ مِنْهُمْ مُعْجَزَاتُ
إِنَّ مِنْ مُعْجَزَاتِكَ الْعَجْزَ عَنْ وَضْ
كَيْفَ يَشْتَرِعُ الْكَلَامُ سَجَايَا
لَيْسَ مِنْ غَايَةِ لَوْضُفِكَ أَنْغِيدَ
إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا
لَمْ أَطْلُ فِي تَغْدَادِ مَذْحِكَ نُطْقِي
غَيْرَ أَنِّي ظَمَانٌ وَجِدَ وَمَالِي
فَسَلَامٌ عَلَيْكَ تَشْرَى مِنْ اللَّهِ
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنْكَ فَمَا غَيْدَ
وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ
وَصَلَاةً كَالْمِسْكِ تَنْبُلُهُ مِنِّي
وَسَلَامٌ عَلَى ضَرْبِكَ تَخْفَلُ
وَتُنَاءُ قَدْ مَنَتْ بَيْنَ يَدَيِ نَجْدَ

حَكَ عِلْمًا بِأَنَّهُ اللَّالَاءُ^(١)
لَكَ لَمْ تَخَكِ وَشَيْهَا صَنْعَاءُ
بِ الْبِيدَانِ الصَّنَاعِ وَالْخَرْقَاءُ^(٢)
دَفَقَامَتْ تَغَارَ مِنْهَا الظَّأ
أَيْنَ مِنِّي وَأَيْنَ مِنْهَا الْوَقَاءُ
سَاءَ مَا ظَنُّهُ بِي الْأَغْبِيَاءُ
بِكَ لَمَّا أَتَتْهَا الْأَنْبِيَاءُ
وَارْتَوُ ثَوْرَ هَذِيكَ الْعُلَمَاءُ
تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهُنَّ انْقِضَاءُ
حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الْأَوْلِيَاءُ
فِيكَ إِذْ لَا يَحُلُّهُ الْإِحْصَاءُ
كَ وَهَلْ تَنْزِجُ الْبَحَارَ الرُّكَّاءُ^(٣)
هَا وَلِلْقَوْلِ غَايَةً وَانْتِهَاءُ
تُكَ فِيمَا تَعُدُّهُ الْآنَاءُ
وَمُرَادِي بِذَلِكَ اسْتَقْصَاءُ
بِقَلِيلٍ مِنَ الْوُرُودِ اِزْتَوَاءُ
وَتَبَقَّى بِهِ لَكَ الْبَأَوَاءُ^(٤)
رُكَ مِنْهُ لَكَ السَّلَامُ كِفَاءُ
لِتَحْيَا بِذِكْرِكَ الْأَمْلَاءُ^(٥)
شَمَالٌ إِلَيْكَ أَوْ نَكْبَاءُ^(٦)
بِهِ مِنْهُ تُرْبَةٌ وَغَسَاءُ^(٧)
وَإِي إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ ثَرَاءُ^(٨)

(١) اللالاء: يعني السرور.

(٢) الخرقاء: الفتاة التي لا تحسن الصنعة.

(٣) الركاء: جمع الركوة وهي إناء صغير للماء.

(٤) البأواء: الفخر.

(٥) الأملاء: جمع الملا: الجماعة من الناس.

(٦) شمال: ريح الشمال. النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين.

(٧) تخفل: تبذل. الوغشاء: الرملة اللينة.

(٨) النجوى: المناجاة.

ما أقام الصلاة من عبده الله وقامت برئها الأشياء

قافية الباء

أزعموا البين [المديد]

أزعموا البين وشدوا الركابا ودنا التوديع ممن ودنا
فأقر ضيف البين دمعاً مذالاً فمّن اللائم صباً مشوقاً
إنما أغرى بنا الوجد أنا وعربب جعلوا بالمضلى
عجباً كيف رضوا أن يحلوا أضحت الأرض التي جاوڑوها
لا تكذب خبراً أن سلمى وكسفته حلل الروض حتى
ابتنمت عن مثل كأس الحميا سمنها لثم الثنايا فقالت
خرست عقرّب صدغي خدي ونح من يطلب من وجنتي الـ
حق من كان له حب سلمى ولمن يمدح خير الزا
وكفاني باتباعي طريفاً كلما أوتيت منها نصيباً
يا حبيباً وشفيعاً مطاعاً

فاطلب الصبر وخل العتابا أنهم داموا لدينا غضابا
يا أبا الوجد وقلباً مذاباً^(١) أن بكى أخابه والشبابا
ما حسبتنا لفراق حسابا كل قلب يوم ساروا نهابا
من قلوب أحرقوها قبابا يحسد العنبر منها الترابا
سحبت بالثرّب ذبلاً قطابا توجت منها الربا والهضابا
نظم الماء عليها حبابا^(٢) إن من ذونك سبلاً صعبا
وحمت حية شغري الرضابا^(٣) وزد أو من شفتي الشرابا
شغلاً أن يستلذ العذابا^(٤) أن يرى الفقير عطاء حسابا
رغب المختار فيها ربابا قلت إني قد ملكت النصابا
حسبنا أن إليك الإيابا^(٥)

(١) الدمع المذال، يعني الزائد الكثير.

(٢) حباب الماء: معظمه، والحباب والحَبب: الفقاقيع التي تعلق الماء.

(٣) الرضاب: الزيق في الفم.

(٤) العذابا في الأصل: العذابا.

(٥) الإياب: الرجوع.

لَمْ نَقُلْ فِيكَ مَقَالَ التُّصَارَى
 إِنَّمَا أَنْتَ تُذِيرُ مُبِيرٌ
 بِلسانٍ عَرَبِيٍّ بَلِيغٍ
 يُطْمِعُ الْأَسْمَاعَ فِيهِ بَيَانًا
 حَوَتْ الْكُتُبُ لُبَابًا وَقِشْرًا
 يَجْلِبُ الدُّرُّ إِلَى سَامِعِيهِ
 أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ فَرَأَيْنَا الرُّأْيَ
 وَرَأَى الْكُفَّارُ ظِلًّا فَضَلُّوا
 وَإِذَا لَمْ يَصِحَّ بِالْعِلْمِ ذَوْقُ
 كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ مِنْهُمْ عَنِيدًا
 وَإِذَا جِئْتَ بِآيَاتٍ صَدَقِ
 أَنْتَ سِرُّ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ وَالسُّدِّ
 عَاقِبَ مَا حَا اللَّهَ عَنَّا
 خَصَّهُ اللَّهُ بِخُلُقٍ كَرِيمٍ
 وَلَهُ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ مَا شَرُّ
 مِنْ دُنُوٍّ وَشُهُودٍ وَسِرٍّ
 وَعِلْمٍ كَشَفْتَ كُلَّ لَبْسٍ
 لَمْ يَنْلُهَا بِاِكْتِسَابٍ وَفَضْلُ اللَّهِ
 وَإِذَا زَارَ حَبِيبٌ مُجِيبًا
 كُلُّ مَنْ تَابَعَهُ نَالَ مِنْهُ
 شَرَفَ الْأَنْسَابِ طُوبَى لِأَضْلَى
 دِينِهِ الْحَقُّ فَدَغَ مَا سِوَاهُ
 جَعَلَ الزُّهْدَ لَهُ وَالْعَطَايَا
 أَتَقَدَّ الْهَلَكَى وَرَبِّي الْيَتَامَى

(١) الذَّنْبِي: الذَّنْب.

(٢) الْعَاقِب: الَّذِي يَخْلَفُ السَّيِّدَ، وَالَّذِي يَخْلَفُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ فِي الْخَيْرِ.

(٣) آب: رَجَعَ.

(٤) السَّرَاب: الرُّهْم.

إِذْ أَضَلُّوا فِي الْمَسِيحِ الصُّوَابَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَا
 أَفْحَمَ الْعُرْبَ فَعَيَّثَ جَوَابَا
 وَسَنَا طَبَّهَ عَلَى الْعَقْلِ يَابَا
 وَهُوَ حَارٍ مِنَ اللَّبَابِ لِبَابَا
 كَلِمٌ لَمْ يُرَفِّهِ اجْتِلَابَا
 سَ رَأْسًا وَالذَّنْبَانِي ذُنَابَا^(١)
 وَيَحْتَمُ ظَنُّوا السَّرَابَ الشُّرَابَا
 وَجَدَ الشَّهْدُ مِنَ الْجَهْلِ صَابَا
 كُلَّمَا أَبْصَرَ حَقًّا تَغَابَا
 لَمْ تَزِدْهُمْ بِكَ إِلَّا اِزْتِيَابَا
 رُ عَلَى الْعُمِّيِ أَشَدُّ اخْتِجَابَا
 بِكَ مَا نَحْذَرُ مِنْهُ الْعِقَابَا^(٢)
 وَدَعَا الْفَضْلَ لَهُ فَاشْتَجَابَا
 فَ قَوْسَيْنِ بِذِكْرِ وَقَابَا
 بَانَ عَنْهُ كُلُّ وَاشٍ وَغَابَا
 وَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ شَمْسٍ ضَبَابَا
 مَا لَيْسَ يُنَالُ اِكْتِسَابَا
 لَا تَسْأَلُ عَنْ زَائِرٍ كَيْفَ آبَا^(٣)
 نَسَبًا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ قِرَابَا
 وَلَفَزِعَ حَارًا مِنْهُ اِنْتِسَابَا
 وَخُذِ الْمَاءَ وَخَلِّ السَّرَابَا^(٤)
 وَالتَّقَى وَالْبَاسَ وَالْبِرُّ ذَابَا
 وَقَدَى الْأَسْرَى وَقَكَ الرُّقَابَا

بَصُرَ الْعُمَىٰ فَبَا لَيْتَ عَيْنِي
أَسْمَعَ الصَّمَّ فَمَنْ لِي بِسَمْعِي
وَدَعَا الْهَيْجَاءَ فَازْتَا حَتَّى السُّمَّ
تَطَرَّبَ الْخَيْلُ بِوَقْعِ قَتْحُنَا
مِنْ عِتَاقٍ رَكِبَتْهَا كُمَاةُ
كُلِّ نَذْبٍ لَوْ حَكَى غَزْبُهُ السُّيُفَ
قَاطَعَ الْأَهْلِيْنَ فِي اللَّهِ جَهْرًا
لَمْ يُبَالِ حِينَ يَغْدُو مُصِيبًا
مِنْ حُمَاةٍ نَصَرُوا الدِّينَ حَتَّى
رَفَعُوا الْإِسْلَامَ مِنْ فَوْقِ خَيْلِ
خَضَبُوا الْبَيْضَ مِنَ الْهَمَامِ حُمْرًا
لَمْ يُرِيدُوا بِذُكُورٍ جَلَوْهَا
أَزْغَمَ الْهَادِي أَثُوفَ الْأَعَادِي
فَأَطَاعَتْهُ الْمُلُوكُ اضْطَرَّارًا
وَصَنَادِيدُ قُرَيْشٍ سَقَاهَا
حَلَبُوا شَطْرَيْنِهِ فِي الْجُودِ وَالْبَأْ
وَجَدُوا أَخْلَافَ أَخْلَاقِهِ فِي الْخِضْ
دَرَّهَا أَطْيَبُ دَرٍّ فَبِأُمِّ
جَيْشِ الْجَيْشِ وَسَرَى السَّرَايَا
وَهُوَ الْمَنْصُورُ بِالرُّغْبِ لَوْ شَاءَ
لَوْ تَرَى الْأَحْزَابَ طَارُوا فِرَارًا

مُلِئْتُ مِنْ أَخْمَصِيهِ ثُرَابًا
لَوْ تَلَقَّى لَفْظُهُ الْمُسْتَطَابَا
رُ افْتِزَازًا وَالسُّيُوفُ انْتِزَابَا^(١)
لُ إِلَى الْحَرْبِ وَتَغَدُوا طِرَابَا
لَمْ يَخَافُوا لِلْمَمْنُونِ اذْتِكَابَا^(٢)
فَ لَمَّا اسْتَصْحَبَ سَيْفٌ قِرَابَا^(٣)
لَمْ يَخَفْ لَوْمًا وَلَمْ يَخْشَ عِتَابَا
فِي الْوَعْيِ أَوْ حِينَ يَغْدُو مُصَابَا
أَضْبَحَ الْإِسْلَامُ أَخْمَى جَنَابَا
أَزْكَبَتْ كُلَّ عُقَابٍ عُقَابَا^(٤)
مَا تَزَالُ الْبَيْضُ تَهْوَى الْخِضَابَا^(٥)
لِلْحُرُوبِ الْعُرُونِ إِلَّا الضَّرَابَا^(٦)
بِرِضَاهُمْ وَأَذَلَّ الرُّقَابَا
وَأَجَابَتْهُ الْخُصُوفُ اضْطَرَابَا
حَنَقَهَا سَقَى اللَّقَاحِ السُّقَابَا^(٧)
سِ فَأَخْلَى وَأَمَرَ الْجِلَابَا
سِ وَالْجِدْبُ تَعَاثُ الْخِصَابَا
كَتَكَ الْحَلْبُ فَرَاعَ الْعِطَابَا
وَدَعَا الْخَيْلَ عِتَاقًا عِرَابَا^(٨)
ءَ لَاغْنَى الرُّغْبُ عَنْهَا وَنَابَا
خَلَّتْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ دُبَابَا

(١) الهيجاء: الحرب. السُّم: الرماح. الانتداب: الإجابة، أو المسارعة في حسن الجزاء.

(٢) الكُماة: جمع الكمي: المدجج بالسلاح.

(٣) النَذْب: الظريف النجيب، الخفيف في الحاجة.

(٤) العُقَاب: طائر.

(٥) البيض الأولى: السيوف. والثانية تعني النساء. الخِضَاب: ما تختضب به المرأة.

(٦) يُقال: حربٌ عَوَان وهي التي قُوِّلَ فيها مَرَّة، والجمع: عَوْن.

(٧) اللقاح: الإبل. السُّقَاب: جمع السُّقْب: ولد الناقة.

(٨) الخيل العتيقة منها والبراب: الكريمة.

أَوْ لَمْ تُعْجِبْ لَهُ وَهُوَ بَخْرٌ
كَانَتْ الْأَرْضُ مَوَاتًا فَاحِيَا
تَزَعَّتْ عَنْهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ
سَيِّدٌ كَيْفَ تَأْمَلْتُ مَعَنَا
مَنْ يَزُرُهُ مُثْقَلًا بِالْخَطَايَا
ذَكَرُهُ فِي النَّاسِ ذِكْرٌ جَمِيلٌ
وَسِعَ الْعَالَمَ عِلْمًا وَجُودًا
فَتَحَلَّلْتُ مِنْهُ قَوْمٌ عُقُودًا
لِيَتَّعِنِي كُنْتُ فِيمَنْ رَأَى
يَوْمَ نَالَتُهُ بِإِفْكِ يَهُودٍ
فَادْعُنِي حَسَنًا مَدْحٍ وَزِدْنِي
يَا رَسُولَ اللَّهِ عُذْرًا إِذَا هَبْتُ
إِنِّي كُنْتُ خَطِيْبًا بِمَدْحٍ
وَتَرَامِيْتُ بِهِ فِي بَحَارٍ
بِقَوَافٍ شَرِعَتْ لِسُلَاحِدِي
هِيَ أَمْضَى مِنْ ظَبْيِ الْبَيْضِ حَدًّا
فَارَضُهُ جَهْدَ مُجِبِّ مُقْلٍ
شَابَ فِي الْإِسْلَامِ لَكُنْ لَهُ فِيهِ
يَتَهَسَّنِي بِالْأَمَانِيِّ إِنَّهُ
كَلِمَا أَوْسَعَهُ الشُّنْبُ وَعِظًا
ضَمِيْعَ الْحَزْمِ وَفِيهِ شَبَابٌ

كَيْفَ يَسْتَشْفِي نَدَاهُ السُّحَابَا
بِالْحَيَا مِنْهَا الْمَوَاتِ انْسَكَابَا^(١)
وَكَسَتْهَا مِنْ رِيَاضِ ثِيَابَا
هَ زَاثَ عَيْنَاكَ أَمْرًا عُجَابَا
عَادَ مَغْفُورَ الْخَطَايَا مُثَابَا
قَالَ لِلْكَوْنَيْنِ طَيْبَا فَطَابَا
فَدَعَا كُلًّا وَأَرْضَى خِطَابَا^(٢)
وَنَحَلْتُ مِنْهُ قَوْمٌ سِخَابَا^(٣)
أَتَّقِي عَنْهُ الْأَذَى وَالسُّبَابَا
مِثْلَمَا اسْتَنْبَحَ بَذْرٌ كِلَابَا^(٤)
إِنِّي أَحْسَنْتُ عَنْهُ الْمَنَابَا^(٥)
ثُمَّ مَقَامًا حَقَّهُ أَنْ يُهَابَا
كَ وَمَنْ يَمْلِكُ مِنْهُ الْخَطَابَا
مُكْثِرَا أُمُوجَهَا وَالْعُجَابَا^(٦)
وَجَدُّهَا فِي نَفُوسٍ حِرَابَا
فِي أَعَادِيكَ وَأَنْكَى دُبَابَا^(٧)
صَائِهَ حُبُّكَ مِنْ أَنْ يُعَابَا^(٨)
كَ فَوَازَ حُبُّهُ لَنْ يُشَابَا
قَبْلَ مِمَاتٍ أَنْابَا
ضَمِيْقُ الْخَوْفِ عَلَيْهِ الرُّحَابَا
وَأَتَى مُعْتَذِرًا حِينَ شَابَا^(٩)

(١) الحيا: الخصب والمطر.

(٢) وفي رواية: وسع العالمين.

(٣) السُّخَاب: قِلادة من سَكَ وقرنفل وعلب بلا جوهر.

(٤) الإفك: الكذب.

(٥) حسان، يعني حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم.

(٦) في الأصل: في بजार. العُباب: مُعظم السيل، وارتفاعه.

(٧) الظبي: جمع الظبية: حد السيف.

(٨) دُبَاب السيف: حده، أو طرفه المنطرف.

(٩) في نسخة: وأتى معذراً.

وغدا مِنْ سُوءِ مَا قَدْ جَاءَهُ
 أَفْلا أَرْجُو لَذُنْبِي شَفِيعاً
 أَحْمَدُ الْهَادِي الَّذِي كَلَّمَا جِئْتُ
 فَأَعِذُّوهُ فِي حُبِّ خَيْرِ الْبَرَايَا
 إِنَّ بَدَا شَمْساً وَصَارُوا نَجُوماً
 أَقْلَعْتُ سُحْبُ شَفِيعِهِمْ سِجَالاً
 وَعَدَوْنَا بَيْنَ وَجْدٍ وَفَقْدٍ
 وَتَبَارَأْنَا مِنَ التُّضْبِ وَالرُّفْدِ
 إِنَّ قَوْمًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 إِنِّي فِي حُبِّهِمْ لَا أَحَابِي
 صَلَوَاتُ اللَّهِ تَثْرَى عَلَيْهِ
 يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَا مِنْ
 مَا انْتَضَى الشَّرْقُ مِنَ الصُّبْحِ سَيْفًا
 نَادِمًا يَفْرَعُ سَيْئًا وَنَابَا^(١)
 مَا رَجَاءُ قَطُّ رَاجٍ فَخَابَا
 تِلْكَ إِلَيْهِ مُسْتَشْفِيَا أَثَابَا
 إِنَّ عَبْطُنَا أَوْ حَسَدْنَا الصُّحَابَا
 وَطَمَى بَحْرًا وَفَرُّوا ثَغَابَا^(٢)
 مِنْ عِلْمٍ وَوَرَدْنَا انْصِيبَا^(٣)
 يَعْظُمُ الْبُشْرَى بِهِ وَالْمُصَابَا
 ضَرٌّ وَأَوْجِبْنَا لِكُلِّ جَنَابَا
 مَا لَنَا نُلْقَى عَلَيْهِمْ غَضَابَا
 أَحَدًا قَطُّ وَمَنْ ذَا يُحَابِي
 وَعَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ عَذَابَا
 جُودِهِ وَالْفَضْلُ بَابَا فَبَابَا
 وَفَرَى مِنْ جُنْحٍ لَيْلٍ إِهَابَا^(٤)

وقال أيضاً عفا الله عنه، يمدح النبي ﷺ: [الوافر]

بمدحه تحيا القلوب

يَمْدَحُ الْمَصْطَفَى تَحْيَا الْقُلُوبُ
 وَأَرْجُو أَنْ أَعِيشَ بِهِ سَعِيداً
 نَبِيٌّ كَامِلُ الْأَوْصَافِ تَمَّتْ
 يُفْرَجُ ذِكْرُهُ الْكُرُبَاتِ عَنَا
 مَدَائِحُهُ تَزِيدُ الْقَلْبَ شَرْقاً
 وَتُغْتَفَرُ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبُ
 وَالْقَاءُ وَلَيْسَ عَلَيَّ حُوبٌ^(٥)
 مُحَاسِنُهُ فَقِيلَ لَهُ الْحَبِيبُ
 إِذَا تَزَلَّتْ بِسَاحَتِنَا الْكُرُوبُ
 إِلَيْهِ كَأَنَّهَا حَلَّى وَطِيبُ

(١) في نسخة: منياً أنابا.

(٢) الثغاب: جمع الثغب: أكثر ما بقي من الماء في بطن الوادي. وقد شبه النبي بالشمس والبحر، وسواه نجوم وثغاب.

(٣) السجال: جمع السجل: الدلو العظيمة مملوءة.

(٤) فرى: شق: الإهاب: الجلد.

(٥) كما في النسخة الثانية.

(٦) الحوب: الهلاك.

وَأَذْكُرُهُ وَلَيْلُ الْخُطْبِ دَاجٍ
وَصَفْتُ شَمَائِلًا مِنْهُ جَسَانًا
وَمَنْ لِي أَنْ أَرَى مِنْهُ مُخَيَّنًا
كَأَنَّ حَدِيثَهُ زَهْرٌ نُضِيرُ
وَلِي طَرْفٌ لِمَرْأَةٍ مَشْرُوقُ
تَبَوُّاً قَابَ قَوْسَيْنِ اخْتِصَاصَا
مَنَاصِبُهُ السُّنِّيَّةُ لَيْسَ فِيهَا
رَجِيْبُ الصُّدْرِ ضَاقَ الْكَوْنُ عَمَّا
يُجَدِّدُ فِي تَعْوِدِ أَوْ قِيَامِ
عَلَى قَدَرٍ يُعِدُّ النَّاسَ عِلْمًا
وَتَسْتَهْدِي الْقُلُوبَ النُّورَ مِنْهُ
بَدَتْ لِلنَّاسِ مِنْهُ شُمُوسُ عِلْمٍ
وَالْهَمْنَا بِهِ الثَّقَوَى فَشَقَّتْ
خَلَائِقُهُ مَوَاهِبُ دُونَ كَسْبِ
مُهَذَّبَةٍ بِنُورِ اللَّهِ لَيْسَتْ
وَأَدَابُ السُّبُوءَةِ مُعْجَزَاتُ
أَبَيَّنَ مِنَ الطَّبَاعِ دَمًا وَقَرْنًا
سَمِعْنَا الْوَحْيَ مِنْ فِيهِ صَرِيحًا
فَلَا قَوْلَ وَلَا عَمَلَ لَهَا
وَبِالْأَهْوَاءِ تَخْتَلِفُ الْمَسَاعِي
وَلَمَّا صَارَ ذَلِكَ الْغَيْثُ سَيْلًا

عَلَيَّ فَتَنَجَلِي عَنِي الْخُطُوبُ^(١)
فَمَا أَدْرِي أَمَذَحَ أَمْ تَسِيْبُ
يُسْرُ بِحُسْنِهِ الْقَلْبُ الْكَثِيْبُ
وَحَامِلُ زَهْرِهِ غُضُنُ زَطِيْبُ
وَلِي قَلْبٌ لِيَذْكُرَاهُ طَرُوبُ
وَلَا وَاشِ هُنَاكَ وَلَا رَقِيْبُ^(٢)
لِإِنْسَانٍ وَلَا مَلِكٍ نَصِيْبُ
تَضْمَنُ ذَلِكَ الصُّدْرُ الرَّحِيْبُ
لَهُ شَوْقِي الْمُدْرَسُ وَالْخُطِيْبُ
كَمَا يُغْطِيكَ أَذْوِيَةُ طَبِيْبُ
كَمَا اسْتَهْدَى مِنَ الْبَحْرِ الْقَلِيْبُ^(٣)
طَوَالِغَ مَا تَزُولُ وَلَا تَغِيْبُ
لَنَا عَمَّا أَكْثَنُهُ الْغُيُوبُ^(٤)
وَشَتَّانَ الْمَوَاهِبُ وَالْكُشُوبُ
كَأَخْلَاقٍ يُهَذَّبُهَا اللَّيْبُ
فَكَيْفَ يَنَالُهَا الرَّجُلُ الْأَدِيْبُ
وَجَاءَتْ مِثْلَ مَا جَاءَ الْحَلِيْبُ^(٥)
كَغَادِيَةِ غَزَالِيْهَا تَصُوبُ^(٦)
بِفَاحِشَةٍ وَلَا بِهَوَى مَشُوبُ^(٧)
وَتَفْتَرِقُ الْمَذَاهِبُ وَالشُّعُوبُ
عِلَافُ مِنَ الثَّرَى الزُّبْدُ الْعَرِيْبُ

(١) ليل داج: ليل مظلم.

(٢) كناية عن علو مكانته صلى الله عليه وسلم.

(٣) القلب: البشر.

(٤) أكثته: سترته.

(٥) الفزث: السرجين في الكرسي.

(٦) الغادية: السحابة تنشأ غدوة. أو مطرة الغداة.

الغزالي: جمع الغزلاء: مَضَبُ الماء من الراوية ونحوها.

(٧) مشوب: مخلوط.

فَلَا تَنْسُبْ لِقَوْلِ اللَّهِ زُبًّا
فَإِنْ تَخَلَّقَ لَهُ الْأَعْدَاءُ غَيْبًا
فَخَالَفَ أُمَّتِي مُوسَى وَعِيسَى
فَقَوْمٌ مِنْهُمْ فُتِنُوا بِعِجْلٍ
وَاحْبَارٌ تَقُولُ لَهُ شَيْبَةً
وَإِنَّ مُحَمَّدًا لِرَسُولٍ حَقٌّ
أَمِينٌ صَادِقٌ بَرٌّ تَقِي
يُرِيكَ عَلَى الرِّضَا وَالسُّخْطِ وَجْهًا
يُضِيءُ بِوَجْهِهِ الْمَخْرَابَ لَيْلًا
تَقْدَمُ مَنْ تَقْدَمُ مِنْ نَبِيٍّ
وَصَدَقَهُ وَحَكَمَهُ صَبِيًّا
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ صَدُّوا
شَرِيعَتَهُ صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ
عَلَيْكَ بِهَا فَإِنْ لَهَا كِتَابًا
يُثَوِّبُ لَهَا عَنِ الْكُتُبِ الْمَوَاضِي
أَلَمْ تَرَهُ يُنَادِي بِالتَّحْدِي
وَدَانَ الْبَذْرَ مُنْشَقًّا إِلَيْهِ
وَجَذَعُ النَّخْلِ حَنْ حَنِينٍ تُكَلِّى
وَقَدْ سَجَدَتْ لَهُ أَغْصَانُ سَرْحٍ
وَكَمْ مِنْ دَغْوَةٍ فِي الْمَخْلِ مِنْهَا
وَرَوَى عَسْكَرًا بِحَلِيبِ شَاةٍ
وَمَخْبُولٌ أَنَاهُ فَشَابَ عَقْدٌ

فَمَا فِي قَوْلِ رَبِّكَ مَا يَرِيبُ
فَقَوْلُ الْغَائِبِينَ هُوَ الْمَعِيبُ
فَمَا فِيهِمْ لَخَالِقِهِ مُنِيبُ
وَقَوْمًا مِنْهُمْ فَتَنَ الصُّلَيْبُ^(١)
وَرُهْبَانٌ تَقُولُ لَهُ ضَرِيبُ^(٢)
حَسِيبٌ فِي ثُبُوتِهِ نَسِيبُ
عَلَيْهِمْ مَا جَدَّ هَادٍ وَمُؤَبِّ^(٣)
تَرُوقُ بِهِ الْبَشَاشَةُ وَالْقُطُوبُ
وَتُظْلِمُ فِي النَّهَارِ بِهِ الْخُرُوبُ
نَمَاهُ وَهَكَذَا الْبَطْلُ التُّجِيبُ
مِنْ الْكُفَّارِ شُبَّانٌ وَشَيْنُيبُ
وَصَدُّ أَوْلَئِكَ الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
فَلَيْسَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبُ^(٤)
عَلَيْهِ تَخَسُّدُ الْحَدَقِ الْقُلُوبُ
وَلَيْسَتْ عَنْهُ فِي حَالٍ تَثُوبُ
عَنِ الْحُسْنِ الْبَدِيعُ بِهِ جُيُوبُ
وَأَفْصَحَ نَاطِقًا غَيْرٌ وَذَيْبُ^(٥)
لَهُ فَأَجَابَهُ نِعَمَ الْمُجِيبُ
فَلِمَ لَا يُؤْمِنُ الظُّنْبِيُّ الرَّيِّبُ^(٦)
رَيْثُ وَاهْتَرَّتِ الْأَرْضُ الْجَدِيدُ
فَعَاوَدَهُمْ بِهِ الْعَيْشُ الْخَصِيبُ
إِلَيْهِ وَلَمْ تَخْلُهُ لَهُ يَثُوبُ^(٧)

(١) الَّذِينَ فَتَنُوا بِالْعِجْلِ هُمُ الْيَهُودُ. وَالَّذِينَ فَتَنُوا بِالصُّلَيْبِ وَعَبْدُوهُ هُمُ النَّصَارَى.

(٢) الضَّرِيبُ: الْمَثِيلُ.

(٣) مُؤَبِّ: أَيُّ مَهِيْبٍ يَخَافُهُ النَّاسُ.

(٤) اللُّغُوبُ: التَّعَبُ.

(٥) الْغَيْرُ: الْجِمَارُ.

(٦) السَّرْحُ: شَجَرٌ عِظَامٌ، أَوْ كُلُّ شَجَرٍ لَا شَوْكَ فِيهِ. الرَّيِّبُ: الْمَعَاهِدُ.

الرَّيِّبُ: الْمَرْبُوبُ، وَالْمَعَاهِدُ.

(٧) ثَابٌ: رَجَعَ.

وما ماء تُلْقَى وهو يُلْخ
وعَيْنُ فارَقَتْ نظراً فَعَادَتْ
وَمَيْتَ مُؤَذِّنٌ بِفِرَاقِ رُوحٍ
وَتَغَرُّ مُعَمَّرٌ عُمراً طَوِيلاً
وَنَخْلٌ أَثْمَرَتْ فِي دُونِ عَامٍ
وَوَقَى مِنْهُ سَلَمَانٌ دُيُونًا
وَجَرْدٌ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ سَيْفًا
وَهَزُّ ثُبِيرٍ عِطْفَيْنِهِ سُرُورًا
وَرَدُّ الْفِيلِ وَالْأَحْزَابِ طَيْرٌ
وَفَارِسٌ خَانَهَا مَاءٌ وَنَارٌ
وَقَدْ هَزَّ الْحَسَامُ عَلَيْهِ عَادٍ
فَقَامَ الْمُصْطَفَى بِالسَّيْفِ يَسْطُو
وَرِيحٌ لَهُ أَبُو جَهْلٍ يَفْخُلُ
وَشَهَبٌ أَزْيَلَتْ حَرَسًا فَخُطَّتْ
وَلَمْ أَرْ مُعْجَزَاتٍ مِثْلَ ذِكْرِ
وَمَا آيَاتِهِ تُخْصِي بِعَدِّ
طَفِئَتْ أَعْدُ مِنْهَا مَوْجٌ بَخِرٍ
يَجُودُ سَحَابُهُنَّ وَلَا انْقِشَاعُ
فِرَاقِكَ مِنْ بَوَارِقِهَا وَمِيعَةٍ
هَدَانَا لِلْإِلَهِ بِهَا نَبِيٌّ

أَجَاجٌ طَفْعُهُ إِلَّا يَطْيِبُ
كَمَا كَانَتْ وَرَدٌ لَهَا السُّلَيْبُ
أَقَامَ وَسُرَّتَتْ عَنْهُ شُعُوبٌ^(١)
تُوقِي وَهُوَ مَنْضُودٌ شَنِيبٌ^(٢)
فَقَارَ بِهَا عَلَى الْقِنُو الْعَسِيبُ^(٣)
عَلَيْهِ مَا يُوقِيهَا جَرِيبٌ^(٤)
فَقِيلَ بِذَاكَ لِلشَّيْبِ الْقَضِيبُ
بِهِ كَالْمُضْنِ هَبَّتْهُ الْجَنُوبُ^(٥)
وَرِيحٌ مَا يُطَاقُ لَهَا هُبُوبٌ
فَغِيضَ الْمَاءِ وَانْطَفَأَ اللَّهَيْبُ
بَيَومَ تَوُومِهِ فِيهِ هُبُوبٌ
عَلَى السَّاطِي بِهِ وَلَهُ وَثُوبٌ
يُثُوبُ عَنِ الْهَزْبِرِ لَهُ نُيُوبٌ^(٦)
عَلَى طَرَسِ الظَّلَامِ بِهَا شَطُوبٌ
إِلَيْهِ كُلُّ ذِي لُبٍّ يُنِيبُ
فَيُذْرِكُ شَأْوَهَا مِنْ طَلُوبٍ^(٧)
وَقَطَرًا غَيْثُهُ أَبَدًا يَصُوبُ^(٨)
وَيَزْخَرُ بِخَرُّهُنَّ وَلَا تُضُوبُ
وَشَاقُّكَ مِنْ جَوَاهِرِهَا رُسُوبٌ
فَضَائِلُهُ إِذَا تُخَكِّي ضُرُوبُ

(١) الشُّعُوبُ: المنيّة.

(٢) مَنْضُودٌ: ما وضع بعضه فوق بعض. الشُّنْبُ: العذوبة في الأسنان.

(٣) الْقِنُو: جذق النخلة. الْعَسِيبُ: جريدة النخل. وفي نسخة: وعاد بها على العفو العسيب.

(٤) الْجَرِيبُ: يَكْبَالٌ قدر أربعة أقدرة.

(٥) ثُبِيرٌ: اسم لستة جبال بظاهر مكة وهي: ثبير الخضراء، والثُّصع، والزُّنَج، والأعرج، والأحدب، ولُحْيَاء. الْجَنُوبُ: ريح تخالف الشمال.

(٦) الْهَزْبِرُ: الأسد.

(٧) الشَّأْوُ: الشُّنْبُ.

(٨) يَصُوبُ: يسيل.

وَإِخْبَرَ تَابِعِيهِ بِغَائِبَاتٍ
وَلَا تَكْتَبِ الْكِتَابَ وَلَا تَلَاهُ
وَقَدْ نَالُوا عَلَى الْأُمَمِ الْمَوَاضِي
وَمَا كَأَمِيرِنَا فِيهِمْ أَمِيرُ
كَأَنَّ عَلِيمَنَا لَهُمْ نَبِيٌّ
وَقَدْ كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَاجِبَاتُ
وَمَا تَنْضَاعُفُ الْأَغْلَالُ إِلَّا
وَلَمَّا قِيلَ لِلْكَفَارِ خُشِبُ
خَكَّوْا فِي ضَرْبِ أَمْثَلَةِ حَمِيرَا
وَمَا عَلِمْنَاؤُنَا إِلَّا سُيُوفُ
سَرَاةٍ لَمْ يَنْقُلْ مِنْهُمْ سَرِيٌّ
وَلَمْ يَفْتِنْتَهُمْ مَاءٌ نَمِيرُ
وَلَمْ تُغْمَضْ لَهُمْ لَيْلًا جُفُونُ
يَشُوقُكَ مِنْهُمْ كُلُّ ابْنِ هِنَجَا
لَهُ مِنْ نَفْعِهَا طَرْفٌ كَجِيلِ
وَتَنْهَالُ الْكَتَائِبُ حِينَ يَنْهَوِي
عَلَى طُرُقِ الْقَنَا لِلْمَوْتِ مِنْهُ
يُقَصِّدُ فِي الْعِدَا سُمْرَ الْعَوَالِي
ذَوَابِلُ كَالْعُقُودِ لَهَا أَطْرُ

وَلَيْسَ بِكَائِنٍ عَنْهُ مَغِيْبُ
فِيُلْجَذُ فِي رِسَالَتِهِ الْمُتْرِيْبُ
بِهِ شَرْقًا فَكُلُّهُمْ خَسِيْبُ
وَلَا كَنْقِيْبِنَا لَهُمْ نَقِيْبُ
لِدَعْوَتِهِ الْخِلَائِقُ تَسْتَجِيْبُ
أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا التُّدُوْبُ^(١)
إِذَا قَسَتِ الرُّقَابُ أَوْ الْقُلُوبُ
تَحْكُمُ فِيهِمْ السِّيفُ الْخَشِيْبُ^(٢)
فَوَاجِدُنَا لِأَلْفِيهِمْ ضُرُوبُ
مَوَاضٍ لَا تُقَلُّ لَهَا غُرُوبُ^(٣)
لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ يَوْمَ عَصِيْبِ^(٤)
مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَزْعَى خَصِيْبِ^(٥)
وَلَا أَلْفَتْ مَضَاجِعَهَا جُثُوبُ
عَلَى اللَّوَاءِ مَخْبُوبٌ مَهِيْبُ^(٦)
وَمِنْ دَمِ أَسْدِهَا كَفَّ خَضِيْبِ^(٧)
إِلَيْهَا مِثْلُ مَا أَنْهَالَ الْكَثِيْبُ^(٨)
إِلَى مُهْجِ الْعِدَا أَبَدًا دَبِيْبُ^(٩)
فِيَزْجِعُ وَهُوَ مَسْلُوبٌ سَلُوبُ^(١٠)
فَلَيْسَ يَشُوقُهَا إِلَّا التَّرِيْبُ^(١١)

(١) التُّدُوْبُ: جمع التَّدْب: الشَّق.

(٢) الْخَشِيْبُ: الصَّقِيلُ.

(٣) غُرُوبُ: جمع الْغُرْب وهو حَد السِّيف. تُقَلُّ: تُقَطَّع.

(٤) السَّرِي: الشَّرِيف.

(٥) مَاء نَمِير: ماء عَذْب.

(٦) ابْن هِنَجَا: كناية عن المحارب. اللَّوَاء: الشَّذَّة.

(٧) النَّفْع: الْغَبَار. خَضِيْب: مَصْطَبِخ.

(٨) الْكَثِيْب: التَّل من الرَّمْل.

(٩) الْمُهْج: جمع الْمُهْجَة: الدَّم، أو دَم الْقَلْب، وَالرُّوح.

(١٠) يَقْصِدُ: يَكْسِر. سُمْر الْعَوَالِي، أَي: الرَّمَاح.

(١١) ذَوَابِلُ: ذَوِيَّة، جمع ذَابِل. وَيُرِيد الرَّمَاح. تَرِيْب: وَاحِد التَّرَائِب: عِظَام الصَّدْر.

يَخْرُ لِرُمْجِهِ الرُّومِيَّ أَتَى
وَيَخْضِبُ سَيْفَهُ بِدَمِ الثَّوَاصِي
لَهُ فِي اللَّيْلِ دَمْعٌ لَيْسَ يَزُقَا
رَسُولَ اللَّهِ دَعْوَةً مُسْتَقْبِلَ
تَعَذُّرٍ فِي الْمَشِيبِ وَكَانَ غَيًّا
وَلَا غَثَبَ عَلَى مَنْ قَامَ يَجْلُو
دَعَاكَ لِكُلِّ مُغْضِلَةٍ أَلَمْتَ
وَلِلذُّبِ الَّذِي ضَاقَتْ عَلَيْهِ
يِرَاقِبُ مِنْهُ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ
وَأَتَى يَهْتَدِي لِلرُّشْدِ عَاصٍ
يَتُوبُ لِسَائِهِ عَنْ كُلِّ ذَنْبٍ
تَقَاضَتْهُ مَوَاهِبُكَ امْتِدَاحًا
وَأَغْرَانِي بِهِ دَاعِي ائْتِرَاحٍ
فَقُلْتُ لِمَنْ يَخْضُ عَلَيَّ فِيهِ
ذَلَّتْ عَلَى الْهَوَى قَلْبِي فَسَهْمِي
لِجُودِ الْمُصْطَفَى مُدَّتْ يَدَانَا
شِفَاعَتَهُ لَنَا وَلِكُلِّ عَاصٍ
هُوَ الْغَيْثُ السُّكُوبُ نَدَى وَعِلْمًا
صَلَاةُ اللَّهِ مَا سَارَتْ سَحَابٌ

تَبَيَّنَ أَنَّهُ الْعُودُ الصُّلَيْبُ^(١)
مَخَافَةٌ أَنْ يُقَالَ بِهِ مَشِيبُ^(٢)
وَقَلْبٌ مَا يَغِبُ لَهُ وَجِيبُ^(٣)
مِنْ التَّقْصِيرِ خَاطِرُهُ هَيُوبُ^(٤)
وَيُزْدُ شَبَابِهِ ضَافٍ قَشِيبُ^(٥)
مَحَاسِنٌ لَا تُزَى مَعَهَا عِيُوبُ
بِهِ وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ تَتُوبُ
بِهِ الدُّنْيَا وَجَانِبُهَا رَجِيبُ
فَيَبْكِيهِ كَمَا يَبْكِي الرُّقُوبُ
لِغَارِبِ كُلِّ مَعْصِيَةٍ رَكُوبُ
وَلَمْ يَزْ قَلْبَهُ مِنْهُ يَتُوبُ
وَأَوَّلَى النَّاسِ بِالْمَدْحِ الْوَهُوبُ
عَلَيَّ لِأَمْرِهِ أَبَدًا وَجُوبُ
لِعَلَّكَ فِي هَوَاهُ لِي نَسِيبُ
وَسَهْمُكَ فِي الْهَوَى كُلُّ مُصِيبُ
وَمَا مُدَّتْ لَهُ أَيْدٍ تَخِيبُ
بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ مِنْهَا ذَنُوبُ^(٦)
جَهْلْتُ وَمَا هُوَ الْغَيْثُ السُّكُوبُ
عَلَيْهِ وَمَا رَسَا وَتَوَى عَسِيبُ^(٧)

وقال أيضاً؛ في مدحه ﷺ^(٨): [الكامل]

(١) العود الصليب: الشديد.

(٢) الثواصي: جمع الناصية: مقدم شعر الرأس، أو قصاص الشعر.

(٣) رقا الدمع: جف، وجيب القلب: خفقانه.

(٤) استغال: طلب الإقالة من الذنب.

(٥) القشيب: الجديد، والأبيض والنظيف، البرد: الثوب المخطط.

(٦) الذنوب: الحظ والنصيب.

(٧) توى: أقام. عسيب: جبل بعلية نجد: وجبل لهذيل.

وَإِفَاكَ بِالذَّنْبِ الْعَظِيمِ الْمُذْنِبُ
لَمْ لَا يَشُوبُ دُشُوعُهُ بِدِمَائِهِ
لَمِيتٌ بِهِ الدُّنْيَا وَلَوْلَا جَهْلُهُ
لَزِمَ الثَّقَلَبُ فِي مَعَاصِي رَبِّهِ
يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ وَقَلْبُهُ
يُغْرِى جَوَارِحَهُ عَلَى شَهَوَاتِهِ
أَضْحَى بِمُعْتَرِكِ الْمَنَابِىَا لَاهِيَا
ضَائَتْ مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ فَمَا لَهُ
مُنْقَطِعُ الْأَسْبَابِ مِنْ أَعْمَالِهِ
وَقَفَتْ بِجَاهِ الْمُصْطَفَى آمَالُهُ
وَبَدَا لَهُ أَنَّ الْوُقُوفَ بِبَابِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ مَطَامِعِي
لَمْ لَا يَغَارُ وَقَدْ رَأَيْتِي دُونَهُ
مَاذَا أَخَافُ إِذَا وَقَفْتُ بِبَابِهِ
وَالْمُصْطَفَى الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو الَّذِي
بَشَرَ سَعِيدٌ فِي الثُّفُوسِ مَعْظَمُ
بِجَمَالِ صُورَتِهِ تَمْدَحُ آدَمُ
مَصْبَاحُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَإِمَامُهَا
رِذْ وَاقْتِسَابُ مِنْ قَسْبِهِ فَبِحَارِهِ
فَلِكُلِّ سَارٍ مِنْ مُدَاهِ هِدَايَةٍ
وَلِكُلِّ عَيْنٍ مِنْهُ بَذَرٌ طَالِعُ
مَلَأَ الْعَوَالِمَ عِلْمُهُ وَتَنَاءَهُ

خَجَلًا يُعْتَفُفُ نَفْسُهُ وَيُؤْتَبُ
ذُو شَيْبَةٍ غُورَاتُهَا مَا تُخْضَبُ^(١)
مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا يَخُوضُ وَيَلْعَبُ
إِذْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَثْقَلُ
شَرِّهَا عَلَى أَمْثَالِهَا يَثْوُبُ
فَكَأَنَّهُ فِيمَا اسْتَبَاحَ مُكَلَّبُ^(٢)
فَكَأَنَّ مُعْتَرِكَ الْمَنَابِىَا مَلْعَبُ
إِلَّا إِلَى حَرَمٍ بِطَيْنَةِ مَهْرَبُ^(٣)
لَكِنَّهُ بِرَجَائِهِ مُتَسَبِّبُ
فَكَأَنَّهُ بِذُنُوبِهِ يَتَقَرَّبُ
بَابُ لِغُفْرَانِ الذُّنُوبِ مُجَرَّبُ
فِي جُودِهِ قَدْ غَارَ مِنْهَا أَشْعَبُ
أَدْرَكْتُ مِنْ خَيْرِ الْوَرَى مَا أَطْلُبُ^(٤)
وَصَحَائِفِي سُودٌ وَرَأْسِي أَشْيَبُ
يُخْصِي الرَّقِيبُ عَلَى الْمُسِيءِ وَيَكْتُبُ^(٥)
مِقْدَارُهُ وَإِلَى الْقُلُوبِ مُحِبُّ
وَبَيَانِ مَنْطِقِهِ تَشْرِفُ يَغْرُبُ
وَلِفَضْلِهِ فَضْلُ الْخَلَائِقِ يُنْسَبُ
مَا تَنْتَهِي وَشُمُوسُهُ مَا تَغْرُبُ
وَلِكُلِّ عَافٍ مِنْ نَدَاهُ مَشْرَبُ^(٦)
وَلِكُلِّ قَلْبٍ مِنْهُ لَيْتٌ أَغْلَبُ
فِيهِ الْوُجُودُ مُنَوَّرٌ وَمُطَيَّبُ

(١) يشوب: يخلط. تُخْضَبُ: تُصْبَغُ.

(٢) الجوارح: الأعضاء. المكلَّب: معلم الكلاب الضئيد.

(٣) طينة: اسم للمدينة المنورة.

(٤) الورى: الخلق.

(٥) الماحي: من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، ومعناه أن الله تعالى يمحو به الكفر.

(٦) العافي: طالب الرزق.

وَمَبَّ إِلَهُ لَهُ الْكَمَالُ وَائَهُ
كُشِفَ الْغِطَاءُ لَهُ وَقَدْ أُسْرِى بِهِ
وَلَقَابَ قَوْسَيْنِ انْتَهَى فَمَحَلُهُ
وَدُنَا دُتُّرَا لَا يُزَاجِمُ مُشْكِبَا
فَاتِ الْعِبَارَةُ وَالْإِشَارَةُ فَضْلُهُ
صَدَّقَ بِمَا حَدَّثَتْ عَنْهُ فَفِي الرِّزَى
وَأَسْمَعَ مَنَاقِبَ لِلْحَبِيبِ فَإِنَّهَا
مُسْتَمَكِّنُ الْأَخْلَاقِ إِلَّا أَنَّهُ
يَشْفِي الصُّدُورَ كَلَامُهُ فَلِدَوَاهُ
فَاطْرَبَ لَتَسْبِيحِ الْخَضَى فِي كَفِّهِ
وَالْجَذْعُ حَزَنُ لَهُ وَبَاتَ كَمُغْرَمٍ
وَسَعَتْ لَهُ الْأَحْجَارُ فَهِيَ لِأَمْرِهِ
وَاخْتَرَزَ مِنْ قَرْحِ ثَيْبَرٍ تَخْتُهُ
وَالشُّخْلُ أَثْمَرَ عُرْسَهُ فِي عَامِهِ
وَيَنَائُهُ بِالْمَاءِ أَرْوَى عَسْكَرَا
وَالشَّاءُ إِذْ عَطَشَ الرُّعَيْلُ سَقَتْهُمْ
وَشَفَى جَمِيعَ الْمُؤَلِّمَاتِ بِرِيقِهِ
وَمَشَى تُظَلِّلُهُ الْغَمَامُ لِظَلِّهَا
وَتَكَلَّمَ الْأَطْفَالُ وَالْمَوْتَى لَهُ
وَالْجَذْلُ مِنْ حَطَبٍ عَدَا لِعُكَاثِهِ
وَعَسِيبُ تَخْلٍ صَارَ عَصْبًا صَارِمَا
وَأَضَاءَ عُرْجُونَ وَسَوَّطَ فِي الدُّجَى

فِي غَيْرِهِ مِنْ جَنَسٍ مَا لَا يُوقَبُ
فَعُلُومُهُ لَا شَيْءَ عَنْهَا يَغْرَبُ^(١)
مِنْ قَلْبِ قَوْسَيْنِ الْمَحَلُّ الْأَقْرَبُ
فِيهِ كَمَا زَعَمَ الْمَكْنِفُ مَنَكِبُ^(٢)
فَعَلَيْكَ مِنْهُ بِمَا يُقَالُ وَيُكْتَبُ
بِالْقَنَيبِ عَنْهُ مُصَلَّقٌ وَمُكْنَبُ
فِي الْحَسَنِ مِنْ غَنَقَةٍ مُغْرَبٍ أَغْرَبُ^(٣)
فِي الْحُكْمِ يَرْضَى لِلْإِلَهِ وَيَغْضَبُ
طَوْرًا يَمُرُّ لَهَا وَطَوْرًا يَغْدُبُ
فَمِنْ السَّمَاعِ لِذِكْرِهِ مَا يُطْرَبُ^(٤)
قَلْبِي بِتَقْدِ حَبِيبِهِ يَشْكُرُبُ
تَأْتِي إِلَيْهِ كَمَا يَشَاءُ وَتَلْقَبُ
وَمِنْ الْجِبَالِ مُسْبِغٌ وَمُؤَوَّبُ
وَبَدَا مُعْتَلِمُ زَهْوِهِ وَالْمَلَقَبُ
فَكَانَهُ مِنْ دِيَمَةٍ يَتَضَبَّبُ
وَهُمْ ثَلَاثُ مَنِينٍ مِمَّا يَحْلُبُ
يَا طَيْبَ مَا يَرْزُقِي بِهِ وَيُطَيَّبُ
قَبْلَ عَلَيْهِ فِي الْهَوَاجِرِ يُسْحَبُ
بِعَجَائِبِ فَلْيَعْجَبِ الْمُتَعَجَّبُ
مَنْفَا وَنَيْسَ السَّيْفِ مِمَّا يُحْطَبُ
يَوْمَ الْوَعَى إِذْ كُلَّ عَيْنٍ تُقْلَبُ
عَنْ أَمْرِهِ فَكَأَنَّ كُلًّا كَوَكَبُ

(١) يعزب: يبعد.

(٢) المكيف: الذي يزعم الجسمية لله تعالى، وتعالى الله عما يصفون.

(٣) المنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم.

(٤) إشارة إلى تسبيح الحمص في يده وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم. وفيما يلي من الآيات في
من المعجزات: حنين الجذع، وتفرج الماء من بين أصابعه ليروي جيشاً... وشربه مع ثلاث مائة
حليب شاة واحدة...

وَكَاَنَّ دَعْوَتَهُ طَلِيعَةً قَوْلٍ كُنْ
تَحْطَى بِهَا أَبْنَاءُ مَنْ يَدْعُو لَهُ
لِلنَّاسِ فِيهَا وَابِلٌ وَصَوَاعِقُ
وَالْمَخْلُ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِلَاؤُهُ
وَأَسْتَسْلَمَ الْوَحْشُ الْمَرْوُغُ لِصَيِّدِهِ
وَالذُّئْبُ مِنْ طَوْلِ الطَّوَى يَبْكِي عَلَى
وَالنَّاسُ قَدْ ظَنُّوا الظُّنُونُ كَأَنَّمَا
لَمْ تَبِكْ لِلْأَرْضِ السَّمَاءُ بِهِ وَلَا
قَدَعَوْكَ مَخْبُوءًا لِكُلِّ كَرِيبَةٍ
فَرَقَعْتَ عَشْرًا مِنْ أَنَامِلٍ دَاعِيَا
فَطَعَى عَلَى بُثْيَانٍ مَكَّةَ مَاؤُهُ
لَوْلَا مَالَتْ اللَّهُ سُقْيَا رَحْمَةٍ
فَإِذَا الْبِلَادُ وَكُلُّ دَارٍ رَوْضَةٌ
قَدْ جِثَّتْ أَسْتَسْقَى مَكَارِمَكَ الَّتِي
يَا مَنْ يُرْجَى فِي الْقِيَامَةِ حَيْثُ لَا
يَا فَارِجَ الْكُرْبِ الْعِظَامِ وَوَاهِبَ الْ
هَبْ لِي مِنَ الْغُفْرَانِ رَبِّ سَعَادَةٍ
أَبْضِيقْ بِي أَمْرٍ وَبَابُ الْمَصْطَفَى
لَا تَقْنِطِي يَا ذَا لَوْ أَنَّ تَوْسُلِي
أَنِّي يَخِيبُ وَقَدْ تَعَطَّرَ مَشْرِقُ
آلِ النَّبِيِّ وَمَنْ لَهُم بِالْمَصْطَفَى

مَا بَغْدَهَا إِلَّا الْإِجَابَةُ مُؤَكِّبٌ
فَكَأَنَّهَا وَقَفَتْ عَلَى مَنْ يُغْقِبُ
نَفْسٌ بِهَا تَخِيَا وَنَفْسٌ تَغْطِبُ
وَالرِّيحُ يُشْمِلُ بِالسُّمُومِ وَيُجْنِبُ^(١)
جُوعًا وَصَرًّا مِنَ الْحَرُورِ الْجُنْدُبِ^(٢)
رِمَمِ الْمَوَاشِي وَابْنُ دَايَةَ يَنْعَبُ^(٣)
سَلَبَتْ قُلُوبَهُمُ الرِّيحُ الْقَلْبُ
رَقَّتْ لِشَائِمِهَا الْبُرُوقُ الْخُلْبُ^(٤)
جَلَّتْ كَمَا يُخْبَا الْحَسَامُ وَيُنْدُبُ
فَانْهَلْ أَسْبُوعًا سَحَابٌ صَيِّبُ
أَوْ كَاذَ يَنْبُتُ فِي الْبُيُوتِ الطُّخْلُبُ^(٥)
مَاتَتْ بِهِ الْأَحْيَاءُ مِمَّا يَشْرَبُوا
فِي مَا يَرُوقُ وَكُلُّ وَادٍ مُغْشِبُ
يَخِيَا بِهَا الْقَلْبُ الْمَوَاتُ وَيُخْصِبُ
أَمْ تُرْجَى لِلتَّجَاةِ وَلَا أَبُ
جِئِنِ الْجِسَامِ إِلَيْكَ مِنْكَ الْمَهْرَبُ
مَا تُسْتَعَادُ وَنِعْمَةٌ مَا تُسَلَّبُ
فِي الْأَرْضِ أَوْسَعُ لِلْعُفَاةِ وَأَرْحَبُ^(٦)
بِالْمَصْطَفَى الْمَخْتَارِ لَيْسَ يُخَيِّبُ
بِمَدَائِحِي خَيْرَ الْأَنَامِ وَمَغْرَبُ
مَجْدٌ عَلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ مُطَنَّبُ^(٧)

(١) يُشْمِلُ: يتجه شمالاً، يُجْنِبُ: يتجه جنوباً. السُّمُومُ: الريح الحارة.

(٢) الْحَرُورُ: حر الشمس.

(٣) الطَّوَى: الجوع. ابْنُ دَايَةَ: كنية الغراب.

(٤) يقال: شَامَ الْبَرْقُ بِمَعْنَى نَظَرَ إِلَيْهِ أَيْنَ يَقْصِدُ. وَالْبُرُوقُ الْخُلْبُ: المَطْمَعُ الْمَخْلَفُ: الصَّيِّبُ: الانصباب.

(٥) الطُّخْلُبُ: خضرة تعلو الماء المزمِن.

(٦) الْعُفَاةُ: طالَبُوا الرِّزْقَ، وَالْوَّاحِدُ: عَافٍ.

(٧) السَّبْعُ الطَّبَاقُ: السَّمَاوَاتُ، طَبَّهَ تَطْنِيئًا: مَدَّهَ بِأَطْنَابِهِ وَشَدَّه.

حَزُنْتُمْ عَظِيمًا مِنْ ثَرَاتِ نُبُوَّةِ
 اللَّهُ حَسْبُكُمْ وَحَسْبِي إِنِّي
 يَا سَادَتِي حُبِّي لَكُمْ مَا تَنْقُضِي
 مِنْ مَعْشَرٍ تَزَلُّوا الْفَلَاحَ فَحَصُونَهُمْ
 مَا فِيهِمْ لِسَانٍ غَيْبٍ مَطْعَنٌ
 وَعَلَى الْخَصَاصَةِ يُؤْثِرُونَ بِزَلِيلِهِمْ
 لَا تَنْزِعِ السُّلُومَ أَثْوَابَ السُّلَى
 جَبِلُوا عَلَى مِخْرِ الْبَيَانِ فَجَاءَهُمْ
 فَاسْتَسَلَّمُوا لِلْعَجْزِ عَنْهُ وَذُو النَّهْيِ
 جَاءَتْ عَجَائِبُهُمْ أَمَامَ عَجَائِبِ
 مَا بَالُ مَنْ غَضِبَ إِلَهُ عَلَيْهِمْ
 كَفَرَتْ عَلَى عِلْمٍ بِهِمْ عِلْمَاؤُهُمْ
 فَلَا تَمْنَى الْمَوْتَ مِنْهُمْ مَعْشَرٌ
 أَقِيؤْمَنُونَ بِهِ وَمَنْ جَاءَهُمْ
 عَبَدُوا وَمَوْسَى فِيهِمْ الْعَجَلُ الَّذِي
 وَضَبُوا إِلَى الْأَوْتَانِ بَعْدَ وَقَائِهِ
 وَإِذَا الْقُلُوبُ قَسَتْ فَلَيْسَ يُلِينُهَا
 وَأَخُو الضَّلَاةِ قَالَ عَيْسَى رَبُّهُ
 وَيَقُولُ خَالِقُهُ أَبَوْهُ وَإِنَّهُ
 أَبْهَدُ الْعَوْرَاتِ جَاءَتْ كُنْبُهُمْ
 فَاغْوَجْ مِنْهَا مَا اسْتَفَامَ طُلُوعُهُ

مَا كَانَ دُونَكُمْ لَهَا مَنْ يَحْجُبُ
 فِي كُلِّ مُغْضِلَةٍ بِكُمْ اتَّخَبُ
 أَعْمَارُهُ وَجِبَالُهُ مَا تُنْقَضُ (١)
 بِيدِ بِأَطْرَافِ الرُّمَاحِ تُؤْثَبُ (٢)
 كَلًّا وَلَا لِحْسَامِ زَيْبٍ مَضْرِبُ
 وَيَلْدُ مِنْ كَرَمٍ لَهُمْ أَنْ يَنْقَبُوا (٣)
 عَنْهُمْ وَيُخَصِّبُ جُودَهُمْ أَنْ يُجْلِبُوا
 حَقُّ الْبَيَانِ عَنِ الرُّسَالَةِ يُغْرِبُ
 تَأْبَى نَهَاءً قِتَالٍ مَنْ لَا يُغْلَبُ
 أَمْ الزَّمَانِ بِهِنَّ حُبْلَى مُقَرَّبُ (٤)
 حَادُوا عَنِ الْحَقِّ الْمُيِّنِ وَتَكْبُوا
 جَرِبَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَصِحَّ الْأَجْرُ
 جَحْدُوهُ فَاثْتَحَنُوا الدَّوَاءَ وَجَرُّوا
 بِالْبَيِّنَاتِ مُقْتَلٌ وَمُصْلَبُ
 ذُبُّوا بِهِ ذَبَحَ الْعُجُولِ وَعُذَّبُوا
 وَالرُّسُلُ مِنْ أَسَفٍ عَلَيْهِمْ تَنْذُبُ
 خَلَّ يَلُومُ وَلَا عَدُوٌّ يَغْتِيبُ
 وَنَبِيُّهُ فَأَخُو الضَّلَالِ مُتَنَبِّذُ (٥)
 رَبُّ وَإِنْسَانٌ أَلَا فَتَعَجَّبُوا
 أَمْ حَرَّفُوا مِنْهَا الصُّوَابَ وَوَزَّوْا (٦)
 فَكَأَنَّهُا بَيْنَ الشُّجُومِ الْعَقْرَبُ

(١) تُنْقَضُ: تُقَطَّعُ.

(٢) تُؤْثَبُ: تَخْتَلَطُ.

(٣) الْخَصَاصَةُ: الْفَقْرُ. السُّلَى: الْجُوعُ.

(٤) الْحُبْلَى الْمُقَرَّبُ: الَّذِي اقْتَرَبَ وَقْتُ وَضْعِهَا.

(٥) الرَّجُلُ الْمُتَنَبِّذُ: الْمَرْتَدُّ بَيْنَ أَمْرَيْنِ.

(٦) وَزَّوْا مِنَ التَّوْرِيبِ: وَهُوَ أَنْ تَوَزَّى عَنْ شَيْءٍ بِالْمَعَارِضَاتِ الْمَبَاحَاتِ، وَتَجِدُ الْإِشَارَةَ هُنَا إِلَى أَنَّ الضَّلَالَاتِ الَّتِي جَاءَ بِهَا النَّصَارَى هِيَ مِنْ صَنَعِهِمْ وَلَيْسَتْ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَجَباً لَهُمْ مَا بَاهَلُوهُ وَلَمْ يَأْتِ
وَلَقَدْ تَحَدَّى بِالْبَيَانِ لِقَوْمِهِ
فَتَهَيَّبُوهُ وَمَا آتَوْهُ بِسُورَةٍ
مَنْ لَمْ يُؤْمَلْهُ إِلَّا لَهُ لِحَالَةٍ
عَجَباً لَهُمْ شَهِدُوا لَهُ بِأَمَانَةٍ
وَارْتَابَ فِيهِ الْمَشْرُكُونَ وَلَمْ يَزَلْ
يُحَدِّثُوا النَّبِيَّ وَقَدْ آتَاهُمْ بِالْهُدَى
لَهُ يَوْمٌ خُرُوجُهُ مِنْ مَكَّةَ
وَالْجَنُّ تُنْشِدُ وَخَشَّةٌ لِفِرَاقِهِ
وَالْغَارُ قَدْ شَتَّتَ عَلَيْهِ غَارَةٌ
أَرَأَيْتَ مَنْ يَخْفُو عَلَيْهِ قَوْمُهُ
إِنْ يَكْفُرُوا بِكِتَابِهِ فَكِتَابُهُ
قَامَتْ لَنَا وَعَلَيْهِمْ حُجَجٌ بِهِ
فَتَصَادَمَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَإِفْكَهُمُ
فَدَعَوْا نَزَالَ فَأَوْقَدَتْ نِيرَانُهَا
فَإِذَا بِيَدَيْنِ الْكُفْرِ يَنْدُبُ فَقَدَهُ
غَالَتْ بُغَائِهِمْ بُزَاةٌ كَرِيهَةٌ
حَتَّى بَكَى عَمْرًا هِشَامٌ فِي الشَّرَى
لَا تُنْكِرُوا بُغْضِي عَدُوَّ الْمُصْطَفَى
أَقْسَمْتُ لَا تُنْفَكُ نَارُ قَرِيبَتِي
هَذَا وَتُطْفِئِي دَائِمًا بِمَدِيحِهِ
أَهْدِي لَهُ طَيِّبَ الثَّنَاءِ وَإِنَّهُ

أَخْبَارُ نَجْرَانَ الَّذِينَ تَرْمَلُوا^(١)
وَالْيَهُمُ يُعَزَّى الْبَيَانُ وَيُنْسَبُ
مِنْ مِثْلِهِ وَبَيَانُهُمْ يُتَهَيَّبُ
فَاتَّشَهُ وَهُوَ لِثَنِيلِهَا مُتَأَمَّبُ
حَتَّى إِذَا أَدَّى الْأَمَانَةَ كَذَّبُوا
بِالصُّدُقِ عِنْدَ الْمَشْرُكِينَ يُلْقَبُ
لَوْلَا الْقَضَاءُ سَأَلْتَهُمْ مَا الْمُوجِبُ
كَخُرُوجِ مُوسَى خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
شِعْرًا تَفِيضُ بِهِ الدُّمُوعُ وَتُسْكَبُ
أَعْدَاؤُهُ جِرْصًا عَلَيْهِ وَأَجْلَبُوا^(٢)
تَخْتُو عَلَيْهِ الْعَنْكَبُوتُ وَتُخَدَّبُ
فَلَكَ يَدُورُ عَلَى الْوُجُودِ مُكَوَّكَبُ
فَبَدَا الصَّبَاحُ وَجَنُّ مِنْهُ الْغَيْهَبُ^(٣)
فَإِذَا الثُّقُوسُ عَلَى الرَّدَى تَتَشَعَّبُ^(٤)
سُمُرُ الْقَنَا وَالْعَادِيَاتُ الشُّرْبُ^(٥)
ذُرِّيَّةٌ تُسَبِّى وَمَالٌ يُنْهَبُ
أَظْفَارُهَا فِي كُلِّ صَيْدٍ تَتَشَبَّبُ^(٦)
مِنْ ذَلَّةٍ وَتَعَى حَيِيًّا أَخْطَبُ^(٧)
لَإِنِّي بِبُغْضِهِمْ لَهُ أَتَحَبَّبُ
أَبْدَأُ عَلَى أَعْدَائِهِ تَتَلَهَّبُ
أَذْكَى مِنَ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ وَأَطْيَبُ
لِيُجِبُ أَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ الطَّيِّبُ

(١) المباهلة: الملاعة. نجران: مدينة في جنوب الجزيرة العربية.

(٢) يرمد بالغار الذي التجأ إليه في طريقه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في هجرته.

(٣) الغيب: الظلمة.

(٤) الإفك: الكذب.

(٥) القنا السمر: الرماح.

(٦) العاديات: الخيول. الشرب: الضامرة، الواحد: شارب.

(٧) البغات: طائر أخضر.

(٧) عمرو بن هشام: أبو جهل. حمي بن أخطب: أحد زعماء اليهود.

أُنْزِي عَلَيْهِ تَشْوُقًا وَتَعَبْدًا
مُسْتَضْجِبًا حُبِّي وَإِيمَانِي لَهُ
اشْتِاقٌ لِلْحَرَمِ الشَّرِيفِ بِلَوْعَةٍ
مَالِي مِسْوَى ذِكْرِي لَهُ فِي رِخْلَتِي
وَتَحِيَّةٌ مَنِّي إِلَيْهِ يَرُدُّهَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاتَهُ
مَا حَنُّ مُشْتِاقٌ إِلَى أوطَانِهِ
لا أَنْسِي لِصَفَاتِهِ أَنْتَوَعِبُ
وَكَلَامُهَا مِنْ خَيْرِ مَا يُنْتَضَحِبُ
فِي الْقَلْبِ تَخَدُّو بِي إِلَيْهِ وَتَجَذِبُ
زَادَ وَلَا غَيْرُ اشْتِيَاقِي مَرْكَبُ
مِنْهُ عَلَيَّ مُسَلِّمٌ وَمُرَحَّبُ
فَرَضَ عَلَى كُلِّ الْإِنَامِ مُرْتَبُ
مِثْلِي وَرَاحَ بِوُضُفِهَا يَتَثَبَّبُ

قال رحمه الله؛ مهنثًا فخر الدين عثمان بقدمه؛ ويعرض في هجاء بعض
النصارى: [الطويل]

يا فرحة الدنيا

أَرِيحُ الصُّبَا هَبَّتْ عَلَى زَهْرِ الرُّبَا
أَمْ الرِّاحُ أَهْدَتْ لِلرِّيحِ خُمَارَهَا
أَلَمْ تَرْنِي هِزُّ التَّصَابِي مِعَاطِفِي
فَمَنْ مُخْبِرِي مَاذَا السُّرُورُ الَّذِي سَرَى
فَقَالُوا: أَعَادَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فُخْرَهُمْ
فَقُلْتُ: أَفَخَرُ الدِّينِ عَثْمَانُ؟ قَالَ لِي:
وَقَالَ السُّورِيُّ لَهْ دُرُكٌ قَادِمًا
وَنَادَى مُنَادٍ بَيْنَهُمْ بِقُدُومِهِ
فَأَوْسَعَهُمْ فَضْلًا فَأَمَّنَ خَائِفًا
وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ الْبَسِيطَةُ زِينَةً
فِيَا فَرَحَةَ الدُّنْيَا وَفَرَحَةَ أَهْلِهَا
فَأَصْبَحَ مِنْهَا كُلُّ قُطْرٍ مُطَيَّبًا^(١)
فَأَسْكَرَ مَسْرَاهَا الْوُجُودَ وَطَيِّبًا^(٢)
وَرَاَجَعَنِي مَا رَاقَ مِنْ رَوْنَقِ الصُّبَا
فَلَا بُدَّ حَتْمًا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَبَا
وَلَبِثْنَا إِلَى كُلِّ الْقُلُوبِ مُحَبِّبًا
بَلَى!؟ قُلْ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا^(٣)
سَقِينَا بِهِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ صَيِّبًا^(٤)
فَرَهَّبَ مِنْهُمْ سَامِعِينَ وَرَغَبَا
وَأَنْصَفَ مَظْلُومًا وَأَخْصَبَ مُجْدِبَا
فَقَضَّضَ مِنْهَا الزَّهْرَ حَلِيًّا وَذَقْبًا^(٥)
بَيَّوْمَ لَهُ مِنْ وَجْهِ عَثْمَانَ أَعْرَبًا^(٦)

(١) الصُّبَا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش، وهي ريح معتدلة.

(٢) الرِّاح: الخمرة. الخُمَار: ما خالط من سُكَّر الخمرة.

(٣) فخر الدين عثمان هو: أستاذ الملك الكامل المتوفى سنة ٩٢٦ هـ. وفي نسخة: قلت أهلاً...

(٤) السُّورِيُّ: الخلق. الصَّيِّب: الانصباب. وفي نسخة: سقانا به.

(٥) البسيطة: الأرض.

(٦) في نسخة: عن وجه.

وشاهد منه صورةً يُوسُفِيَّةُ
مُفَوَّضُ أَمْرِ الْعَالَمِينَ لِزَأِيهِ
أَعِيدُوا عَلَى أَسْمَاعِنَا طَيْبَ ذِكْرِهِ
وَلَا تَحْجُبُوا الْأَبْصَارَ عَنْ حُسْنِ وَجْهِهِ
وَلِيَّ إِذَا ضَاقَتْ يَدِي وَذَكَرْتُهُ
تَوَسَّلْ بِهِ فِي كُلِّ مَا أَنْتَ طَالِبٌ
وَعِشْ آمِنًا فِي جَاهِهِ إِنَّ جَاهَهُ
تَغَرَّبْتُ يَوْمًا عَنْ بِلَادِي وَرُزْتُهُ
عَلَى أَنْبِي مَا زِلْتُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
وَكُنْتُ لِمَا يَرْضَاهُ بِالْغَيْبِ فَاعِلًا
وَلَا كَانَ دِينَارِي مِنَ النُّصْحِ بَهْرَجًا
أَمْوَالِي أَنْسَيْتُ الْوَرَى ذَكَرَ مَنْ مَضَى
وَلِيَّ أَدَبٌ حُرٌّ أَحْرَمٌ بَيْنَعَهُ
وَقَدْ أَهَجَرُ الْعَذَبَ الزُّلَالَ عَلَى الصَّدَى
وَأَنْصَبُ أَحْيَانًا شِبَاكَ قَنَاعَةٍ
وَمَهْمَا رَأَيْتُ شَاعِرٌ مُتَأَسَّدٌ
أَرَأَيْتُ مَنْ عَاشَرْتُ مِنْهُمْ كَأَنِّي
كَأَنِّي إِذَا أَهْدَيْتُهُمْ عَنْ ضَايِهِمْ
فَلَا بُورِكَ الْمُسْتَخْدَمُونَ عِصَابَةً
إِذَا مَا بَرَى أَقْلَامُهُ خَلَّتْ أَنَّهُ
يَغَالِطُنِي بَعْضُ النُّصَارَى جَهَالَةً
وَمَا كَانَ مِنْ عَدِّ الثَّلَاثَةِ وَاحِدًا

تَبَاهَى بِهَا فِي الْحُسْنِ وَالْبَاسِ مَوْكِيًا
فَكَانَ بِهِمْ أَوْلَى وَأَدْرَى وَأَذْرَبًا^(١)
لِيُطْفِئِيءَ وَجْدًا فِي الْقُلُوبِ تَلْهَبًا
فَقَدْ كَانَ عَنْهَا بِالْبَعَادِ مُحْجَبًا
مَلَكْتُ نِصَابًا أَوْ تَوَلَّيْتُ مَنْصِبًا^(٢)
فَكَمْ نَلْتُ مِنْهُ بِالتَّوَسُّلِ مَطْلَبًا
لِقُصَادِهِ رَاضٍ الزَّمَانُ وَمَهْدَبًا
فَنِلْتُ غِنَى مَا نَالَهُ مَنْ تَغَرَّبًا
غِنِيًا وَفِي نِعْمَانِهِ مُتَقَلِّبًا
وَكُنْتُ لِمَا لَمْ يَرْضَهُ مُتَجَنِّبًا
يَدِيهِ وَلَا بَرْقِي مِنَ الْوُدِّ خُلْبًا^(٣)
وَأَغْنَى نَدَاكَ الْمَادَحِينَ وَأَتَعَبًا
وَمَا كَانَ بَيْنُ الْحُرِّ لِلْحُرِّ مَذْهَبًا
إِذَا كَدَّرْتُ لِي السَّمْهَرِيَّةَ مَشْرَبًا^(٤)
أَصِيدُ بِهَا ثُونًا وَضَبًا وَجُنْدَبًا^(٥)
تَذَابُ مِنْهَا خَيْفَةٌ وَتَشْغَلِبًا^(٦)
أَرَأَيْتُ كَلْبًا أَوْ أَرَأَيْتُ عَقْرَبًا
أَبْصُرُ أَعْمَى أَوْ أَقُومُ أَخْدَبًا
فَكَمْ ظَالِمٌ مِنْهُمْ عَلَيَّ تَعْصَبًا
يَسُنُّ لَهُ ظُفْرًا وَنَابًا وَمِخْلَبًا
إِذَا أَوْجَبَ الْمُلَغَى وَالْغَى الْمُوْجِبًا^(٧)
بِأَعْلَمِ مِنِّي بِالْحِسَابِ وَأَكْتَبًا

(١) أَذْرَبُ: حَدٌّ.

(٢) النِّصَابُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: الْأَصْلُ وَالْمَرْجِعُ.

(٣) الْبَرْقُ الْخُلْبُ: الْمُطْمَعُ الْمَخْلِفُ: الْبَهْرَجُ: الرَّدِيءُ.

(٤) الصَّدَى: الْعَطَشُ.

(٥) الثُّونُ: الْحَوْتَ.

(٦) مُتَأَسَّدٌ: صَارَ كَالْأَسَدِ.

(٧) الْمُوْجِبُ: اللَّازِمُ.

وَمَا الْحَقُّ فِي أَفْوَاهِ قَوْمٍ كَانَهَا
مُفْلَجَةً أَسْنَانُهَا فَكَانَهَا
كَأَنَّ ثَنَائِيَهُمْ مِنَ الْخَبَثِ الَّذِي
عَجِبْتُ لِأَمْرِ آلِ الشَّيْخِ مُخْلِصاً
بَكَيْتُ لَهُ لَمَّا كَشَفْتُ ثِيَابَهُ
وَحَلَفْتُهُ بِاللَّهِ مَا كَانَ ذَنْبُهُ
وَلَكِنْ حَبِيبٌ رَاحَ فِي مُصَدَّقاً
فَقُلْتُ: وَمَنْ كَانَ الْأَمِيرُ حَبِيبَهُ
فَصَبِراً جَمِلاً فَالْمَقْدُرُ كَائِنُ
فِي إِبْلِيسَ لَمَّا كَانَ ضِداداً لِآدَمَ
وَقَدْ كَانَتْ الْعُقْبَى لِآدَمَ دُونَهُ
وَمِنْ قَبْلِ ذَا قَدْ كُنْتُ إِذْ كُنْتُ ذَاكِرَا
دَعَاكَ إِلَى أَمْرِ مُهِمٍّ فَجِئْتُهُ
فَلَا تَنْسَ فِينَا لِلْأَمِيرِ قَضِيَّةً
وَأِيَّاكَ أَنْ تُبْطِي عَلَيَّ رَاتِسِي
وَحَفَّ صَارِماً هَزُّ الْمَدِيحِ فِرْنَدُهُ
فَلَا فَارَقْتُ مِنْهُ السُّعَادَةَ قَائِماً
وَلَا زَالَ دِينُ اللَّهِ يَرْضَى الَّذِي قَضَى

أَوَانِ حَوْثِ مَاءٍ خَبِيثاً مُطَخَلَباً^(١)
أَصَابَ بِهَا الزُّنْجَارُ أَخْجَارَ كَهْرَبَا^(٢)
تَحْضَرَمَ فِي نِيَّاتِهِمْ وَتَزَبَّأ^(٣)
إِلَى أَنْ يُعْرَى كَاللُّصُوصِ وَيُضْرَبَا
وَأَبْصَرْتُ جَسَماً بِالدِّمَاءِ مُحْضَبَا
فَأَقْسَمَ لِي بِاللَّهِ مَا كَانَ مُذْنَبَا
كَلَامَ عَدُوٍّ مَا يَزَالُ مَكْذَبَا
فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْضَى عَلَيْهِ وَيَغْضَبَا
فَقَدْ كَانَ أَمراً لَمْ تَجِدْ مِنْهُ مَهْرَبَا
تَخْتَلُ فِي عِضْيَانِهِ وَتَسَبَّأ^(٤)
فَتَابَ عَلَيْهِ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ وَاجْتَبَى^(٥)
نَهَيْتُكَ أَنْ تَلْقَى الْأَمِيرَ مُقْطَبَا
كَأَنَّكَ فِي عُرْسٍ أَتَيْتَ مُشَبَّأ
فَتَفْتَحَ بَاباً لِلْعِتَابِ مُجَرَّبَا
فَيَبْقَى عَلَيْكَ اللُّومُ مِنْهُ مُرْتَبَا
حَبِيبٌ إِلَيْهِ أَنْ يُهَزَّ وَيُنْدَبَا^(٦)
وَلَا قُلْتُ مِنْهُ الْحَوَادِثُ مَضْرَبَا
بِهِ فِي بَنِي الْغَالِي وَبَابِي الَّذِي أَبَى

(١) مُطَخَلَب، أي: فيه طحلب وهو خضرة تعلو الماء.

(٢) أسنان مفلجة: متباعدة ما بين الثنايا والرباعيات. الزنجار: صداة النحاس. الكهرباء: الكهرمان.

(٣) تحصرم: صار حصرماً. تزبب: صار زيبباً، وكنى بذلك عن الخبث والمرك.

(٤) تختل: أظهر الخداع.

(٥) اجتنب: اختار.

(٦) فرند السيف: بريقه ولمعانه.

وقال عفا الله عنه يمدح بعض الأمراء^(١): [المنسرح]

لا تظلموني

لَا تَظْلِمُونِي وَتَظْلِمُوا الْحَسْبَةَ
غَيْرِي فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَآدِ رَبُّ
فَهُو أَبُو خَبَّةٍ كَمَا ذَكَرُوا
وَقَامَ فِي قَوْمِهِ لِيُنْذِرَهُم
وَالنَّاسُ كَالزَّرْعِ فِي مَنَابِتِهِ
تَاللَّهِ لَا يَرْضَى فَضْلِي وَلَا أَدْبِي
أَجْلِسْ وَالنَّاسُ يُهْرَعُونَ إِلَيَّ
أُرْجِعْ زَيْدًا ضَرْبًا وَأَشْبَعُهُ
وَيُكْسِبُ الْغَنِيظَ مُقْلَتِي وَخَذْيِي
وَأَمْرُ النَّاسِ بِالصُّلَاحِ وَلَا
لَمْ أَرَفِي قُبْحَ فِعْلِهَا حَسَنًا
وَمَا كَفَّاهَا حَتَّى يُخَيَّلَ لِي
أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ كَمَنْ
يَمْشِي بِهَا وَالصُّغَارُ تُنْشِدهُ:
وَمَا يَزَالُ الْغُلَامُ يَتَّبَعُهُ
وَهُوَ يَقُولُ: أَفْسَحِ الْمُخْتَسِبِ
لَا تُنْقِفِ يَأْتِلَانُ فِي بَلَدٍ
فَمَنْ تَبَاهَى بِأَنَّهُ وَتَدَّ
مَا بِالْهَ خَايِلُ الزَّمَانِ بِهَا
وَقَائِلُ لَمْ يَقُلْ أَتَاهُ كَذَا
مَعْنَاهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَوَالِدِهِ
قُلْتُ لَهُمْ عِنْدَ صَاحِبِي حُمُقٌ

فَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا نِسْبَةٌ
وَلَيْسَ فِي الْحَالَتَيْنِ لِي ذُرِّيَّةٌ
لَا يَتَغَاظَى لِلنَّاسِ فِي حَبَّةٍ
فَهُوَ بِإِنْذَارِ قَوْمِهِ أَشْبَهَ
هَذَا لَهُ تُرْبَةٌ وَذَاتُ تُرْبَةٍ
وَلَا طِبَاعِي فِي هَذِهِ السُّبَّةِ
فِعَلِي فِي السُّوقِ غُضْبَةٌ غُضْبَةٌ
سَبَّاكَ أُنِي مُرْقُصُ الدُّبَّةِ
أَخِيرًا أَكْزَامِ الْقِرْبَةِ
أُضْلِحْ نَفْسِي، حُرْمَتُهَا حِسْبَةٌ
كَالْكَلْبِ فِي السُّوقِ يُلْقِحُ الْكَلْبَةَ
أَنْ أَتَبَاعَ أَهْوَاءِهَا قِرْبَةٍ
تَغْلِبُهُ فِي الرُّقَاعَةِ الرُّغْبَةُ
أَمِيرُنَا زَارِنَا بِإِلَارِ كِبَةٍ
بِدِرَّةٍ مِثْلَ رَأْسِهِ ضَلْبَةٌ
قَدْ جَاءَ كَمْ مِنْ دِمَشْقٍ فِي غُلْبَةٍ
لَمْ تَشْقُفْ مِنْكَ بَيْنَهُمْ ضَبَّةٌ
فَلْيَحْشَمِلْ دَقُّ كُلِّ مِرْزَبَةٍ (٢)
كَمْ كَانَ لِلْأَيْلِ فِيكَ مِنْ صَبَّةٍ
يَسْفَهُ فِي قَوْلِهِ وَلَا يُجْبَهُ
فَهُوَ لَقِيْطُ رَمَثٍ بِهِ قَحْبَةٌ
فِي كُلِّ حِينٍ يُلْقِيهِ فِي نَكْبَةٍ

(١) قال هذه الأبيات لما أمره السابقي بولاية الحسبة وامتنع عنها، وعاندة فيها الفخر الفيشي. وتجدر الإشارة إلى سقوط بيت من هذه القصيدة ذكر في مقدمة الطبعة المصرية وهو:

وطرا أبغني ولا إربه
البيت

ما سوى حرفة الكتابة لي من
والشعر مبيزانه...

(٢) المزينة: غصية من حديد.

خَصُلَ مَالًا جَمًّا وَعَدَّةً
وَصَارَ عَذْلًا وَعَاقِدًا وَأَمِينًا
مُنْتَبِهًا قَوْمَهُ عَلَى شُغْلٍ
وَجَفَتْ مِنْ عُثْبِهِمْ عَلَى كَمَا
فَطَارَ بُزْعُوهُ لِيَخْفِيَهُ
فَلَمْ يَرَمْ إِذْ رَمَتْهُ بِفِطْنَتِهِ
أَغْرَقَهُ جَهْلُهُ وَمَا سُتِرَتْ
وَعَادَ تَمْوِيهِهُ عَلَيْهِ وَكَمْ
وَرَاخَ مِثْلَ الثَّوَاتِ فِي سُفْنٍ
وَمَاءَنِي مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ النَّسِ
فَلَا تَسْلَنِي فَمَا حَضَرْتُ لَهَا
وَقَالَتِ النَّاسُ عِنْدَ مَا وَرَدَتْ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَاخْمِدُوهُ مَعِيَ
الْيَوْمَ حَقَّقْتُ أَنَّ أَمْرَكَ بِالْحَسَدِ
يَا مَا جِدَا مَا يَزَالُ يُثْقِدُ مَنْ
إِنِّي أَمْرُؤُ جِرْفَتِي الْجِسَابُ فَلَا
وَلَا تَرُدُّ الْكُتَّابُ جَسَائِرَهُ
يَشْرِقُ مِنِّي بِرَيْقِهِ رَجُلٌ
وَالشُّعْرُ مِيزَانُهُ أَقْسُومُهُ
فَإِنَّنِي لَا أَرَى الْمَدِيحَ بِهِ
وَالشُّعْرُ عِنْدِي أَخُو الْعَدَالَةِ لَا أَحَدٌ
فَلَمْ أَكُنْ أَتَّبِعُ الْعَدُولَ إِلَى
مِنْ كُلِّ مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ
يَذْبَحُهُ ظُلْمُهُ وَيَنْحَرُهُ الْ
كَمْ غَيْبَةٍ قَدْ أَتَاكَ بِهَا الشَّ

(١) وهود: جمع زهدة: صفرة.

(٢) التمويه: أن تخبر بخلاف ما سُئلت عنه.

(٣) الثوات: جمع الثوتي: الملاح في البحر. السُلالة: الخمرة أو أصفاه.

مِنْ أَضَلِّ مَالِ الزُّكَاةِ وَالْوَهْبَةِ
حُكْمٌ مِنْ دُونِ الْعَدُولِ فِي جَفَبِهِ
وَسَاعَدَ الْوَقْتُ سَعْدَ مَنْ نُبِّهَ
خَافَ الْعَتَاهِي الْعَثْبَ مِنْ عُثْبِهِ
وَرَامَ يَخْكِي الْأَسْوَدَ فِي الْوِثْبِ
إِلَى وَهُودِ الْخَمُولِ مِنْ مُضْبِهِ (١)
قَسَطَ لَهُ سُرَّةٌ وَلَا رُكْبَةً
أَخْجَلَ شَيْبُ الذَّقُونِ مَنْ خَضْبِهِ (٢)
خَيْرٌ لَهُ مِنْ سُلَاقَةِ عَطْبِهِ (٣)
وَوَيْلٌ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي التُّزْبِ
لَكِنْ سَمِعْتُ الصُّيَاحَ وَالتُّذْبِ
لِعَزْلِهِ الْكُتَّابُ هَائِبِ الْوَجْبِ
عَلَى خَلَاصِي مِنْ هَذِهِ النُّسْبِ
بَةِ [لِي] لَيْسَ كَانَ لِي لُغْبَةُ
رَمَاهُ رَبُّ الزَّمَانِ فِي كُزْبِهِ
يَدْخُلُ رَبِّبٌ عَلَيَّ فِي جَنْبِهِ
عَلَى جِسَابٍ مَنِيٍّ وَلَا شَطْبِهِ
يَشْرَبُ مَالَ الْعُمَالِ فِي شَرْبِهِ
وَلَيْسَ تَنْقَامُ مِنْهُ لِي خَذْبِهِ
لِلْمَالِ بَلْ لِلدُّودَادِ وَالصُّخْبِ
سَبُّ أَقْوَالِهِ وَلَا كَنْسْبِهِ
عَقْدِ إِذَا مَا دُعَاؤُهُ خُطْبِهِ
كَأَنَّهُ فِي ذَهَابِهِ عُقْبِهِ
جَهْلٌ بِلَا شَفَرَةٍ وَلَا حَزْبِهِ
إِهْدُ فِي سَلَمٍ وَفِي كِذْبِهِ

يُنْبِلُ نَيْلَ الْفُسُوقِ مِنْ فَمِهِ
فَلَيْسَ لِي فِي الشُّهُودِ مِنْ أَرْبٍ
فَارْحَمْ لَبِيبًا يَوْمًا دَعَاكَ وَقَدْ
لَوْ عُمَرَ ابْنُ الْمِعْمَارِ خَوْلَهُ
وَلَمْ يَدْعُهُ كَلًّا عَلَى أَحَدٍ
حَاشَاكَ يَا مَنْ أَبَوَاءُ وَطَنِي
وَأَنْ حَالِي وَحَالَ عَائِلَتِي
إِنْ كَانَ أَرْضَى الزُّمَانَ فُرَقْتُنَا
فَأَنْتَ مِنْ مَغْشَرِ تُطِيعُهُمْ أَلْ
مِنْ مَلِيكَ مَا فَوْقَ رُتَبَتِهِ
مَا مَلِكُ الرُّومِ فِي جَلَالَتِهِ
أَنْتَ الْأَمِيرُ الْمُعِيدُ أَلْسُنَنَا
وَالسَّابِقُ الْأَوَّلِينَ فِي كَرَمِ
وَالْهَازِمُ الْجَيْشِ وَالْكَتَائِبِ بِالطُّغْ
وَالطَّاهِرُ الذَّنْبِ وَالطُّورِيَّةِ أَوْ
مَنْ خُلِقَ كَالنَّسِيمِ يَنْشُرُ إِنْ
وَمَنْ إِذَا ذُكِرَتْ سُؤْدُودُهُ
صَلَاحُهُ اسْتَخْدَمَ الزُّمَانُ لَهُ

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ جُفْبِهِ
إِذْ وَصِفُوا كَالْيَهُودِ بِالْأُزْبَةِ^(١)
بَلَّغْتَ الْجُوعَ رُوحَهُ اللَّبَّةِ^(٢)
نِيَابَةَ الْخِذْمَتَيْنِ وَالْخُطْبَةِ
بِغَيْرِ نَفْعٍ كَأَنَّهُ وَلَبَّةِ^(٣)
تَخْتَارُ لِي أَنْ أَمُوتَ فِي الْغُرْبَةِ
لَا يَخْمِلُونَ النَّوَى وَلَا الْغُرْبَةَ
فَاغْضَبْ عَلَى صَرْفِهِ لَنَا غَضْبَهُ
أَيَّامٌ عَنْ رَغْبَةٍ وَلَا رَهْبَةٍ
عَلَى عَظِيمِ انْتِضَاعِهِ رُتَبَةٍ
أَحَقُّ مِنْهُ بِالطُّيْرِ وَالْقُبَةِ
كَالْعُودِ مِنْهُ بِذِكْرِهِ رَطْبَةٍ
لَمَّا جَرَى وَالْكَرَامُ فِي حَلْبَةٍ
نَمَّةِ يَوْمِ السَّوْغَى وَبِالضَّرْبَةِ
يَكْفِي السَّعِيدَ الْحَرَكَ وَالنُّصْبَةَ^(٤)
هَبَّ عَلَيْهِ مِنْ نَشْرِهِ هَبِّهِ
يَهْزُنِي عِنْدَ ذِكْرِهِ طَرْبَهُ
فَصَارَ يَمْشِي قُدَّامَهُ حَجْبَهُ

الفصيلة الهائية للإمام البوصيري^(٥): [المتدارك]

قافية التاء

الضَّبْحُ بَدَا مِنْ طَلْعَتِهِ
فَأَقِ الرُّسُلَا قُضْلًا وَعُغْلًا
وَاللَّيْلُ دَجَا مِنْ وَفَرَّتِهِ
أَهْدَى السُّبُلَا لِذَلَالَتِهِ

(١) الأرب: العقل. الأرية: الدماء.

(٢) اللَّبَّة: موضع الفلاة من الصدر، النحر.

(٣) الكَل: الثقل والإعباء.

(٤) الطورية: السرية. النصب: من نصب أي التعب.

(٥) المجمع الكبير في الفوائد: ٧٠.

كَثُرَ الْكَرَمُ مُؤَلِّي النِّعَمِ
أَذَكَّى النَّسَبِ أَغْلَى الْحَسَبِ
سَعَتِ الشَّجَرُ نَطَقَ الْحَجَرُ
جَبْرِيلُ أَتَى لَيْلَةَ أُسْرَى
نَالَ الشَّرْقَا وَاللَّهُ عَفَا
فَمُحَمَّدُنَا هُوَ سَيُّدُنَا

هَادِي الْأَمَمِ لِشَرِيعَتِهِ
كُلُّ الْعَرَبِ فِي خِدْمَتِهِ
شَقَّ الْقَمَرُ بِإِثَارَتِهِ
وَالرَّبُّ دَعَاهُ لِخَضِرَتِهِ
عَمَّا سَلَفًا مِنْ أُمَمِهِ
فَالْعِزُّ لَنَا لِإِجَابَتِهِ

قافية الجيم

وقال في الشيخ زين الدين الرُّعَادُ^(١): [الطويل]

شعري بحر

لَقَدْ عَابَ شِعْرِي فِي الْبَرِيَّةِ شَاعِرٌ وَمَنْ عَابَ أَشْعَارِي فَلَا بُدَّ أَنْ يَهْجَا
وَشِعْرِي بِخَرٍّ لَا يُؤَافِيهِ ضِفْدَعٌ وَلَا يَقْطَعُ الرُّعَادُ يَوْمًا لَهُ لُجَا^(٢)

قافية الحاء

قال يمدحه ﷺ، وهي من الكامل:

مدائحي كفارة

أَمَدَائِحُ لِي فِيكَ أَمْ أَنْ نَسِيحُ لَوْلَاكَ مَا غَفَرَ الذُّنُوبَ مَدِيحُ
حُدِّثْتُ أَنَّ مَدَائِحِي فِي الْمُصْطَفَى كَفَّارَةٌ لِي وَالْحَدِيثُ صَحِيحُ
أَزِيحُ بِمَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ ثَنَاءُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لَرَايِحُ مَرْبُوحُ
يَا نَفْسُ ذُنُوكِ مَذْحُ أَحْمَدُ إِنَّهُ مِسْكُ تَمَسِّكَ رِيحُهُ وَالرُّوحُ
وَنَصِيبُكَ الْأَوْفَى مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي مِنْهُ الْعَبِيرُ لِسَامِعِيهِ يَفُوحُ
إِنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا مِنْ رَبِّهِ كَرَمًا بِكُلِّ فَضِيلَةٍ مَمْنُوحُ
اللَّهُ فَضَّلَهُ وَرَجَّحَ قَدْرَهُ فَلْيَهْنِهِ التُّفْضِيلُ وَالتَّرْجِيحُ

(١) الرُّعَادُ: محمد بن رضوان بن إبراهيم بن عبد الرحمن، كان خياطاً، له أدب. والبيتان في فوائد الرقيات: ٣/٣٦٧.

(٢) اللج: معظم الماء؛ والرُّعَادُ: اسم الشاعر، واسم نوع من السمن، وأراد تورية.

إِنْ جَاءَ بَعْدَ الْمُرْسَلِينَ فَفَضَّلَهُ
جَاؤُوا بِوُحْيِهِمْ وَجَاءَ بِوُحْيِهِ
حَارَتْ عَقُولُ النَّاسِ فِي أَوْصَافِهِ
أَتَى يُكَيِّفُهَا أَمْرٌ وَيَحْدُهَا
رَدَتْ شَهَادَتُهُ أَنْاسٌ مَا لَهُمْ
وَلَقَدْ أَتَى بِالْبَيِّنَاتِ صَاحِبُهَا
عَرَفُوهُ مَعْرِفَةً الْيَقِينِ وَأَنْكَرُوا
فَأَبَادَ مَنْ أَبَدَى مُخَالَفَةً لَهُ
وَجَلَا ظِلَامَ الظُّلُمِ لَمَّا أَوْمَضَتْ
شِيئَانِ لَا يَنْفِي الضُّلَالِ سِوَاهُمَا
عَجَبًا لَهُمْ يُشْكِرُونَ نُبُوَّةَ
مَالِي اشْتَغَلَتْ بِزَجْرِهِمْ فَكَأَنِّي
لَا تُشْعِبُنْ بِذِكْرِهِمْ قَلْبًا غَدَا
وَأَنْشُرْ أَحَادِيثَ النَّبِيِّ فَكُلُّ مَا
وَأَذْكُرْ مَنَاقِبَهُ الَّتِي أَلْفَظَهَا
أَعْجَبْتُ أَنْ عَدَّتِ الْغَمَامَةُ آيَةً
أَوْ أَنْ أَتَتْ سَرْجٌ إِلَيْهِ مُطِيعَةٌ
وَلَمْ تَبْعِ الْمَاءِ الْمَعِينِ بِرَاحَةٍ
أَوْ أَنْ يَجِنُّ إِلَيْهِ جِنٌّ يَابِسٌ
حَتَّى دَنَا مِنْهُ النَّبِيُّ وَمَنْ دَنَا
وَبَأْنَ يُكَلِّمَهُ الذَّرَاعُ وَكَيْفَ لَا
وَبَأْنَ يَرَى الْأَعْمَى وَتَنْقَلِبَ الْعَصَا

مِنْ بَعْدِهِ جَاءَ الْمَسِيحُ وَتَوَحَّجَ
فَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ يُوحِ^(١)
وَتَبَلَّدَتْ وَلَهَا بِهَا تَنْقِيحُ
بِالْقَوْلِ وَهِيَ لِيَذَا الْوُجُودِ الرُّوحِ
طَغَنَ عَلَيْهِ بِهَا وَلَا تَجْرِخُ
لَوْ أَنَّ نَاطِرَ مَنْ عَصَاهُ صَحْبُ
إِنَّ الشَّقِيَّ إِلَى الشَّقَاءِ جَمُوحُ
فَالسَّيْفُ مِنْ تَعَبِ الْخِلَافِ قَرِيحُ^(٢)
وَمَضَتْ لَدَيْهِ صَحَائِفُ وَصَفِيحُ^(٣)
نُورٌ مُفَاضٌ أَوْ دَمٌ مَسْفُوحُ
تَبَتَّتْ وَلَمْ يُنْفَخْ بِأَدَمِ رُوحُ
بَيْنَ الطَّوَائِفِ طَارِقٌ مَنبُوحُ^(٤)
وَلَهُ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَرْوِيحُ
تَرْوِيهِ مِنْ خَبَرِ الْحَبِيبِ مَلِيحُ
ضَاقَ الْفَضَاءُ بِذِكْرِهَا وَاللُّوحُ^(٥)
لِمُحَمَّدٍ يَغْدُو بِهَا وَيَرْوَحُ
فَكَأَنَّمَا أَتَتْ الرِّيَاضَ سُرووحُ^(٦)
رَاحَ الْحَصَى وَلَهُ بِهَا تَسْبِيحُ
شَوْقًا وَيَشْكُو بَثُّهُ وَيَتُوحُ^(٧)
مِنْهُ نَأَى عَنْ قَلْبِهِ التَّبْرِيحُ
يُفْضِي إِلَيْهِ بِسِرِّهِ وَيَبُوحُ
سَيْفًا وَيَحْيَا الْمَيْتَ وَهُوَ طَرِيحُ

(١) يُوح: من أسماء الشمس.

(٢) قريح: جريح.

(٣) أومضت: لمعت: مضت: من المضاء: النفاذ.

(٤) الطارق المنبوح: الذي يأتي ليلاً فتنبحه الكلاب.

(٥) اللوح: الهواء.

(٦) السروج: المال السائم.

(٧) البث: الحزن.

وَيَأْنُ يُغَاثَ النَّاسُ فِيهِ وَقَدْ شَكُّوا
وَيَأْنُ يَفِيضَ لَهُ وَيَغْذِبَ مَثَلُ
يَا بَرْدَ أَكْبَادٍ أَصَابَ عِطَاشُهَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنَّ صَلَاتَهُ
أَسْرَى إِلَهَ بِجِسْمِهِ فَكَأَنَّهُ
وَدَنَا فَلَا يَدُ آمِلٍ مُنْتَدِةٌ
حَتَّى إِذَا أَرْخَى إِلَيْهِ اللَّهُ مَا
عَادَ الْبُرَاقُ بِهِ وَثُوبُ أَدِيمِهِ
فَذَرُوا شَيَاطِينَ الْأَلَى كَفَرُوا بِهِ
تَاللَّهِ مَا الشُّبُهَاتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ
كَمْ بَيْنَ جِسْمٍ عَذَلَتْ حَرَكَاتِهِ
وَلَا النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ وَعَلُومُهُ
عَقَدَ الْإِلَهُ بِهِ الْأُمُورَ فَلَمْ يَكُنْ
ضَلُّ الَّذِينَ تَأَلَّهُوا أَحْبَارَهُمْ
يَا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ قَدْ غُوفِيْتُمْ
فَاسْتَبْشِرُوا بِشِرَا الْإِلَهِ وَيَنْعِيَكُمْ
وَتَعَوَّضُوا ثَمَنَ الثُّفُوسِ مِنَ الْهُدَى
يَا مَنْ خَزَائِنُ جُودِهِ مِمَّا سِوَةِ
نَدَعُوكَ عَنْ فَقْرِ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ
فَاصْفَحْ عَنِ الْعَبْدِ الْمُسِيءِ تَكْرُمًا
وَاقْبَلْ رَسُولَ اللَّهِ عَذْرَ مُقْصِرٍ
فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ صِفَاتِكَ هَائِمٍ

مَخْلًا لِيُوجِهَ الْأَرْضَ مِنْهُ كُلُّوْحُ^(١)
قَدْ كَانَ مُرًا مَأْوَهُ الْمَمْنُزُوحُ
مَاءَ بِرَيْقٍ مُحَمَّدٍ مَجْدُوحُ^(٢)
غَيْثُ لِعِلَّاتِ الذُّنُوبِ مُزِيحُ
بَطْلٌ عَلَى مَتْنِ الْبُرَاقِ مُشِيحُ^(٣)
طَمَعًا وَلَا طَرْفَ إِلَيْهِ طَمُوحُ
أَرْخَى وَحَانَ إِلَى الرُّجُوعِ جُنُوحُ^(٤)
لَيْلًا بِمَاءِ حَيَاتِهِ مَنُضُوحُ^(٥)
يُوحُوا إِلَيْهِمْ مَا عَسَى أَنْ يُوحُوا
إِلَّا كَمَا يَتَحَرَّكُ الْمَذْبُوحُ
رُوحٌ وَعُودٌ مَيِّلَتُهُ الرِّيحُ
لَمْ يُغْرِفِ التَّخْسِينَ وَالتَّقْفِيحُ
لِسِوَاهُ إِمْسَاكَ وَلَا تَسْرِيحُ
لِيُحَرِّمُوا وَيُحَلِّلُوا وَيُبَيِّحُوا
مِمَّا ابْتُلُوا وَالْمُبْتَلَى مَفْضُوحُ
مِنْهُ فَمِيزَانُ الْوَفَاءِ رَجِيحُ
فَمِنْ الْهُدَى ثَمَنُ الثُّفُوسِ رَبِيحُ
كَرَمًا وَبَابُ عَطَائِهِ مَفْتُوحُ
وَمَجَالُ فَضْلِكَ لِلْعُقَاةِ فَسِيحُ^(٦)
إِنَّ الْكَرِيمَ عَنِ الْمُسِيءِ صَفُوحُ
هُوَ إِنْ قَبِلْتَ بِمَذْجِكَ الْمَمْدُوحُ
وَيَكُلُّ بَخْرٍ مِنْ نَدَاكَ سَبُوحُ

(١) الكلوح: العبوس.

(٢) مجدوح: ممزوج.

(٣) البراق: دابة ركبها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، وكانت دون البغل وفوق الحمار.

والمشيح: الحذر.

(٤) الجنوح: الميل.

(٥) الأديم: الجلد. نضحه بالماء: رشه.

(٦) والعفاة: جمع العافي: طالب الرزق.

يَزْتَاحُ إِنْ دُكِرَ الْجَمَى وَعَقِيقَهُ
شَوْقًا إِلَى حَرَمِ بَطْنِيَّةٍ آمِنٍ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تُقَرُّ بِقُرْبِهِ
فَأَكْحَلُ بِطَيْفٍ مِنْهُ طَرَفًا جَفْنُهُ
فَلَقَدْ خَبَانِي اللَّهُ فَيْكَ مَحَبَّةٌ
دَامَتْ عَلَيْكَ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ
مَا أَثَرْتُ غُرْلًا لِأَزَاهِرِ أَشْنَبٍ

وَأَرَاكُهُ وَثُمَّامُهُ وَالشُّيْخُ^(١)
طَابَتْ بِذَلِكَ رَوْضَةٌ وَضَرْيُخُ
عَيْنِي وَيُؤَسِّى قَلْبِي الْمَنْجَرُوحُ^(٢)
يَذْمُو عِيَهُ حَتَّى يَسْرَاهُ قَرِيحُ^(٣)
قَلْبِي بِهَا إِلَّا عَلَيْكَ شَجِيحُ
يَتَلَوُّ غُبُوقَهُمَا الَّذِيكَ صَبُوحُ^(٤)
وَأَهْلُ دَمْعٍ لِلشُّحَابِ سَفُوحُ^(٥)

قافية الدال

وقال يمدح أهل البيت عليهم السلام: [الطويل]

المنهل العذب

جَنَابِكَ مِنْهُ تُسْتَفَادُ الْقَوَائِدُ
فَطُوبَى لِمَنْ يَسْعَى لِمَشْهَدِكَ الَّذِي
إِذَا يُمَمَّتْهُ الْقَاصِدُونَ تَيَسَّرَتْ
تَحَقُّقَتِ الْبُشْرَى لِمَنْ هُوَ رَاكِعُ
فَغَفَّرَتْ الشُّبَانَ وَالشُّيْبُ أَوْجَهَا
هُوَ الْمَنْهَلُ الْعَذْبُ الْكَثِيرُ زَحَامُهُ
أَتَيْتُ إِلَيْهِ وَالرَّجَاءُ مُحَلًّا
فِيَا لَكَ مِنْ يَأْسٍ بَلَغْتُ بِهِ الْمُنَى
أَلَذُّ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ مَوَاقِعَا
سَلِيلَةَ خَيْرِ الْعَالَمِينَ «نَفِيسَةً»

وَلِلنَّاسِ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ عَوَائِدُ
تَكَادُ إِلَى مَغْنَاهُ تَسْعَى الْمَشَاهِدُ
عَلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَسْأَلُوا لِكِ الْمَقَاصِدُ
يُرْجِي بِهِ فَضْلًا وَمَنْ هُوَ سَاجِدُ
بِهِ وَالْعَذَارَى حُسْرُ وَالْقَوَاعِدُ
قَرِذَةٌ فَمِمَّا مِنْ دُونِ وَرْدِكَ ذَائِدُ
فَمَا عَذْتُ إِلَّا وَالْمُحَلَّا وَارِدُ^(٦)
وَعُسْرٍ لَأَقْفَالِ الْيَسَارِ مَقَالِدُ^(٧)
عَلَى كَيْدِ الظُّفْمَانِ وَالْمَاءِ بَارِدُ
سَمَتْ بِكَ أَعْرَاقُ وَطَابَتْ مَحَاتِدُ^(٨)

(١) الأراك: شجر تتخذ منه المساويك. الثمام والشُّيْخ: ضربان من النبات.

(٢) يؤسى: يُداوى.

(٣) القريح: الجريح.

(٤) الغُبُوق: شراب المساء. والصُّبُوح: شراب الصباح.

(٥) الثغر الأشنب: ما كان فيه رقة وبُرد. والشَّنْب: العذوبة في الأسنان.

(٦) المملا: المصدود.

(٧) المقالد: يعني المفاتيح والواحد يقلد.

(٨) المحتد: الأصل والطبع.

إِذَا جُحِدَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ضِيَاءَهَا
بِأَبَائِكَ الْأَطْهَارِ زُيِّنَتْ الْعُلَا
وَرِثَتْ صِفَاتِ الْمَصْطَفَى وَعِلْمُوهُ
فَلَمْ يَنْبَسِطْ إِلَّا بِعِلْمِكَ عَالِم
مَعَارِفُ مَا يَنْفُكُ بِفَضْلِ بَسَرُهَا
يُضْيِئُ مُخَيَّاهُ كَأَن تَنْسَاءَهُ
إِذَا مَا مَضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ هَدَى أُنَى
تَبْلُجٍ مِنْ نُورِ الثُّبُوءِ وَجْهَهُ
وَفَاضَتْ بِحَارُ الْعِلْمِ مِنْ قَطْرِ سُخْبِهَا
رَأَى زِينَةَ الدُّنْيَا غُرُورًا فَعَا فَهَا
كَأَنَّ الْمَعَالِي الْأَهْلَاتِ بِغَيْرِهِ
إِذَا ذُكِرَتْ أَعْمَالُهُ وَعُِلْمُوهُ
وَمَا يَسْتَوِي فِي الْفَضْلِ حَالٌ وَعَاطِلٌ
فَقُلْ لِبَنِي الزُّهْرَاءِ وَالْقَوْلُ قُرْبَةٌ
أَحَبُّكُمْ قَلْبِي فَأَصْبَحَ مَنْطِقِي
وَهَلْ حُبُّكُمْ لِلنَّاسِ إِلَّا عَقِيدَةٌ
وَأِنَّا عَتَقَادُ أَخَالِيَامِ حَبَّةٍ
وَإِنِّي لَا زُجُورٌ أَن سَيُلْجِقُنِي بِكُمْ
فَإِن سَرَاةَ الْقَوْمِ مِنْهُمْ غَبِيْدُهُمْ
قَدْ تَكُنُّمُ أَنْاسٌ نَازِعُونَكُمْ سِيَادَةً
أَرَادُوا بِكُمْ كَيْدًا فَكَادُوا أَنْفُسَهُمْ
فَإِن جِيزَتِ الدُّنْيَا إِلَيْهِمْ فَإِن مَنْ
وَلَوْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ هَامَا أَبْنُكُمْ
إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْقَضَايَا الَّتِي جَرَتْ

(١) جحد: أنكر.

(٢) حصائد الألسنة: يعني الأقوال.

(٣) يجالد: يضارب.

فَقَضَلْتُكُمْ لَمْ يَجْحَدْ فِي النَّاسِ جَا حِدٌ^(١)
فَحَبَّاتُ عَقْدِ الْمَخِيْمِ مِنْهُمْ قَرَأْتُ
فَفَضَلْتُكُمْ كَمَا لَوْلَا الثُّبُوءُ وَاجِدُ
وَلَمْ يَنْتَفِضْ إِلَّا بِزُفَيْرِ زَاهِدُ
إِلَى مَا جَدِ مِنْ آلِ أَخَمَدٍ مَا جَدُ
إِلَى الصُّبْحِ سَارِ أَوْ إِلَى الشُّجَمِ صَاعِدُ
إِمَامٌ قَدْ يَدْعُو إِلَى الْقَوْلِ الشَّدِيدِ
فَمِنْهُ عَلَيْهِ تَلْعِيُونِ شَوْهِدُ
عَلَيْهِ فَطَابَتْ لُورَادُ الْقَوَارِدُ
فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا عَلَى الْفَضْلِ حَاسِدُ
رُبُوعٌ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا وَمَعَاهِدُ
أَقْرَلَهَا زَيْدٌ وَتَكَرَّرَ وَخَاتِدُ
وَلَا قَاعِدِيَوْمَ الْوَعَى وَمَجَاهِدُ
يَكِلُ لِسَانُ فِيهِمْ وَحَصَائِدُ^(٢)
يُجَادِلُ عَنْكُمْ حَبَّةً وَجَادُ^(٣)
عَلَى أَسْهَافِي أَلَمْ تُبْنَى ثَقْوَاعِدُ
وَرُدُّكُمْ آلَ النَّبِيِّ الْفَاسِدُ
وَلَا تِي فَيَذْنُو الْمُضْلِبِ الْمُتَيَاعِدُ
وَإِن حُرُوفَ الشُّطْرِ مِنْهَا تَزْوِيدُ
فَلَمْ أَتْرِ مَسَادَاتُكُمْ أَمْ تَسْوِدُ
بِكُمْ وَعَلَى الْأَشْقَى تَعُودُ تَمَكَايِدُ
نَفْسِي زَيْفَهَا سَلَمًا إِلَيْهِمْ لَنَاقِدُ
وَمَا كَانَ مَوْلُو دِلِيَابِ أَوْ يَدُ
أَقِضْتُ عَلَى جَنْبِي مِنْهَا لَمَرَاقِدُ

وَجَدَدَتِ الذُّكْرَى عَلَيَّ بِلَا بِلَا
أَفِي مِثْلِ ذَاكَ الْخَطْبِ مَا سَلُّ مُعَمَّدُ
تَعَاظِمَ رُزْءَ أَفَالِ الْعُيُونِ شَوَاخِصُ
وَطُفُّ يَوْمِ الطُّفِّ كَيْلُ دِمَائِكُمْ
فِيَا فِئْتَةً بَعْدَ النَّبِيِّ بِهَا عَدَا
وَمَا فِئْتَتْ بَعْدَ ابْنِ عِمْرَانَ قَوْمُهُ
كَذَاكَ أَرَادَ اللَّهُ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ
وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِي ذَاكَ مَخْضُ سَعَادَةٍ
وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ أَذْهَبَ الرُّجْسِ عَنْهُمْ
إِذَا مَا رَضُوا اللَّهَ أَوْ غَضِبُوا لَهُ
وَسَيِّئَانِ مِنْ جَمْرِ الْعِدَا مُتَوَقِّدُ
وَقَدْ ثُ عَلَيَكُمْ بِالْمَدِيحِ وَكُلُّكُمْ
وَقَدْ بَيَّنَّتْ لِي هَلْ أَتَى، كَمْ أَتَى بِهَا
فَلَوْلَا تَغَاظِيكُمْ لِنَافِي مَدِيحِكُمْ
وَلَمْ أَرْزُقْ مِنْ غَيْرِكُمْ بِتَجَارَةٍ
عَمَدْتُ لِقَوْمٍ مِنْهُمْ فَكَأَنِّي
أَطْلُبُ مِنْ قَوْمٍ سِوَاكُمْ مُسَرِّدَا
وَمَنْ وَجَدَ الزُّنْدَ الَّذِي هُوَ ثَائِبُ
وَحْسَبِي إِذَا مَدَحَ ابْنَةَ الْحَسَنِ النَّبِيَّ
وَإِنِّي لِمَهْدٍ مِنْ ثَنَائِي فَلَانْدَا
هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى هِيَ الرُّتْبُ الْعُلَا
كَأَنِّي إِذَا أَنْشَدْتُ فِي النَّاسِ مَذْحَهَا
أَسِيدَتِي مَا قَدَرَجَوْتُكَ مُغْلِنَا

أَكَابِدُ مِنْهَا فِي الدُّجَى مَا أَكَابِدُ^(١)
وَلَا قَامَ فِي نَضْرِ الْقَرَابَةِ قَاعِدُ
لَهُ ذَهَبُ الشَّكَاكِلَاتِ سَوَامِدُ^(٢)
إِذَا الدَّمُ جَارَ فِيهِ وَالْذَّمُّ جَامِدُ^(٣)
يُهْدَمُ إِيْمَانُ وَتُبْنَى مَسَاجِدُ
بِمَا عَبَدُوا إِلَّا لِيَهْلِكَ عَابِدُ
وَلَيْسَ لَهُ فِي مَا يُرِيدُ مَعَانِدُ
لَكُمْ دُونَهُمْ لَمْ يُغْمِدِ السِّيفَ غَامِدُ
فَلَيْسَ لَهُمْ خَطْبٌ وَإِنْ جَلَّ جَاهِدُ
تَسَاوَى الْأَذَانِي عِنْدَهُمْ وَالْأَبَاعِدُ
عَلَى بَهْرَمَانِ الصَّدَقِ مِنْكُمْ وَخَامِدُ
عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ بِالْمَدْحِ وَافِدُ
مَكَارِمُ أَخْلَاقٍ لَكُمْ وَمَحَامِدُ
لَرُدَّتْ عَلَيْنَا بِالْعُيُوبِ الْقِصَائِدُ
بَضَائِعُهَا عِنْدَ الْأَنَامِ كَوَامِدُ
عَلَى عَمَدٍ لَا يَزِجُّ الْقَوْلَ عَامِدُ
وَقَدْ صَدَّهُمْ جِرْمَانُهُمْ أَنْ يُسَاعِدُوا
فَلَنْ يَقْدَحَ الزُّنْدَ الَّذِي هُوَ صَالِدُ^(٤)
لَهَا كَرَمٌ: مَجْدُ طَرِيفٍ وَتَالِدُ^(٥)
إِلَيْهَا حِلَالٌ هَذِيهَا وَالْقِلَانِدُ
هِيَ الْغَايَةُ الْقَضْوَى لِمَنْ هُوَ قَاصِدُ
لِمَا ضَلَّ مِنْ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ نَاشِدُ
بِمَا أَنَامَ مِنْ دُرِّ الْمَنَاقِبِ نَاصِدُ^(٦)

(١) البلايل: الهم والوسواس.

(٢) الرزء: المصيبة. الثاكلات: جمع الثكلى، وهي التي فقدت ولدها. سوامد جمع سامدة: حزينة.

(٣) طُفُّ: أي زاد. والطُفُّ: موضع قرب الكوفة. كانت فيه وقعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي.

(٤) الزُّنْد: ما تقدح به النار. والزنده السفلى فيها ثقب. والصالد: الخالي من الثقب.

(٥) الطريف: المال المستحدث: التالد: المال القديم الموروث.

(٦) نضد الشيء: وضع بعضه على بعض.

وَأَغْنِيَنَّ أَمَالِي إِلَيْكَ نَوَافِيزُ
وَمَا أَجِدْتُ قَوْمَ اتِي مِنْ لَدُنْهُمْ
وَلَوْلَا نَدَى كَفِّينِكَ مَا اخْضَرَّ يَابِسُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بَابِئِنَّةَ الْحَسَنِ الَّذِي
وَمَالِي لَا أَشْكُو لآلِ مُحَمَّدٍ
وَمَنْ لَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَنِّي صَارَفُ
تَسَلَّطَ شَيْطَانٌ مِنَ النَّفْسِ غَالِبُ
فِيَا رَيْحَ قَلْبٍ مَا تَزَالُ سَمَاوُهُ
فِيَا سَامِعَ الشُّكْرِ وَيَا كَاشِفَ الْبَلَاءِ
وَيَا مَنْ هَدَى الطُّفْلَ الرُّضِيعَ وَلَمْ تَرُوبُ
وَيَا مَنْ سَقَى الْوَحْشَ الظَّمَاءَ وَقَدْ حَمَتْ
وَيَا مَنْ يُزَجِّي الْفُلَّكَ فِي الْبَحْرِ لُطْفُهُ
وَيَا مَنْ هُوَ السَّبْعُ الطُّوَابِقُ رَافِعُ
وَيَا مَنْ تُنَادِينَا خَزَائِنُ فَضْلِهِ
فَلَا الْبَابُ مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ مُغْلَقُ
دَعَوْنَاكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَيْكَ وَحَاجَةٍ
وَأَفْضَتْ بِمَا فِيهَا إِلَيْكَ ضَمَائِرُ
دَعَوْنَاكَ مُضْطَرِينَ يَا رَبِّ فَاسْتَجِبْ
فَلَيْسَ لَنَا غَوْثٌ سِوَاكَ وَمَلْجَأُ
فَقَدْزَلْنَا الْخَيْرَ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَصَفْحَا عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي هُوَ سَائِقُ
وَصِلْ حَبْلَنَا بِالْمِصْطَفَى إِنَّ حَبْلَهُ
عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا أَحْمَدُ السُّرَى

يَمَّا أَنَا مِنْ عَادَاتِ فَضْلِكَ عَائِدُ
لِمَرْغَى الْأَمَانِي مِنْ جَنَابِكَ رَائِدُ
وَلَا اهْتَزَّ مِنْ أَرْضِ الْمَكَارِمِ هَامِدُ^(١)
لَقِيْتُ وَإِنِّي إِنْ شَكُوتُ لِحَامِدُ
خُطُوبًا بِهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ الْمَرَاصِدُ
وَمَنْ لَهُ مُومِ الْقَلْبِ عَنِّي طَارِدُ
عَلَيَّ وَشَيْطَانٌ مِنَ الْبُؤْسِ مَارِدُ
بِهِ الشَّيَاطِينِ الْخُطُوبِ مَقَاعِدُ
إِذَا نَزَلَتْ فِي الْعَالَمِينَ الشَّدَائِدُ
إِلَيْهِ قُوَى عَقْلٍ وَلَا اشْتَدَّ سَاعِدُ
مَوَارِدَهَا مِنْ أَنْ تُنَالَ الْمَصَايِدُ
وَهَنْ جَوَارِ بَلٍ وَهَنْ زَوَاكِدُ^(٢)
وَمَنْ هُوَ لِلْأَرْضِ الْبَسِيطَةِ مَا هِدُ^(٣)
إِلَى رِفْدِهِ إِنْ أَمْسَكَ الْفَضْلُ رَافِدُ
وَلَا خَيْرَ مِنْ تِلْكَ الْخَزَائِنِ نَافِدُ
وَكُلُّ بِمَا يَلْقَاهُ لِلصَّبْرِ فَاقِدُ
وَأَنْتَ عَلَيَّ مَا فِي الضَّمَائِرِ شَاهِدُ
فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَفْ لَدُنْكَ الْمَوَاعِدُ
نُراجِعُهُ فِي كَرِينَا وَنُعَاوِدُ
فَمَا أَحَدُ عَمَّا تَقْدَرُ حَائِدُ
لِنَارِكَ إِلَّا إِنْ عَفَوْتَ وَقَائِدُ
لِنَاصِلَةٍ يَا رَبِّ مِنْكَ وَعَائِدُ
إِلَيْهِ وَذَلَّتْ لِلْمَطِيِّ قَدَائِدُ^(٤)

(١) أرض هامة: لانبات فيها.

(٢) يزجي: يشرق ويدفع.

(٣) ماهد: اسم الفاعل من مهد أي: بسط.

(٤) السرى: السير ليلاً، القدافل: جمع القدفل: الفلاة.

وقال في مدح السيد المصطفى؛ صلى الله عليه وسلم؛ واعتذر فيها عن النار التي ظهرت في أرض الحجاز؛ والنار التي احترق منها الحرم الشريف وردَّ على النصارى واليهود، وسَمَّاهَا: «تَقْدِيسُ الْحَرَمِ، مِنْ تَدْنِيسِ الضَّرَمِ»، وكنَّاها بِأَمِّ النَّارَيْنِ^(١): [الطويل]

إلهي لك الأمرُ

إلهي عَلَى كُلِّ الْأُمُورِ لَكَ الْحَمْدُ
لَكَ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ الزَّمَانِ وَبَعْدِهِ
وَحُكْمُكَ مَاضٍ فِي الْخَلَائِقِ نَافِذٌ
تُضِلُّ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ مِنَ الْوَرَى
دَعَا مَعْشَرَ الضَّالِّينَ عَنَّا حَدِيثُكُمْ
فَلَوْ أَنَّكُمْ خَلَقْتُمْ كَرِيمٌ مُسِيخْتُمْ
أَتَانَا حَدِيثٌ مَا كَرِهْنَا بِمِثْلِهِ
غَنِيْتُمْ عَنِ التَّأْوِيلِ فِيهِ بَظَاهِرٍ
وَأَغَشَى ضِيَاءُ الْحَقِّ ضَعْفَ عُقُولِكُمْ
وَلَنْ تُذَرِكُوا بِالْجَهْلِ رُشْدًا وَإِنَّمَا
وُعِظْتُمْ فَرِذْتُمْ بِالْمَوَاعِظِ نَسْوَةً
وَمَا لَيْتَ نَارَ الْحِجَازِ قُلُوبَكُمْ
وَمَا هِيَ إِلَّا عَيْنٌ نَدَى جَهَنَّمَ
أَتَتْ بِشَوَاطِئِهَا مَكْفَهْرُ نَحَاسَةٍ
فَمَا اسْوَدَّ مِنْ لَيْلٍ غَدَا وَهُوَ أَبْيَضُ
تُدْمَرُ مَا تَأْتِي عَلَيْهِ كَعَاصِفٍ
تَمُرُّ عَلَى الْأَرْضِ الشَّدِيدِ اخْتِلَافُهَا

فَلَيْسَ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ حُدٌّ
وَمَا لَكَ قَبْلُ كَالزَّمَانِ وَلَا بَعْدُ
إِذَا شِئْتَ أَمْرَ الْيَسْرِ مِنْ كَوْنِهِ بُدٌّ
وَمَا يَبِيدُ الْإِنْسَانُ غَيًّا وَلَا رُشْدًا^(٢)
فَلَا خَطَأَ مِنْهُ يُجَابُ وَلَا عَمْدُ
بِقَوْلِكُمْ لَكِنْ بِمَنْ يُمَسِّخُ الْقِرْدُ؟
لَكُمْ فِتْنَةٌ فِيهَا الْمِثْلُكُمْ خَصْدُ
وَمَنْ تَرَكَ الصَّمْصَامَ لَمْ يُغْنِهِ الْغَمْدُ^(٣)
وَشَمْسُ الضُّحَى تَغْشَى بِهَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
يُفَرِّقُ بَيْنَ الزَّيْفِ وَالْجَيِّدِ الثَّقْدُ^(٤)
وَلَيْسَ يَفِيدُ الْقَدْحُ إِنْ أَضْلَدَ الزَّنْدُ^(٥)
وَقَدْ ذَابَ مِنْ حَرِّهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
تَرَدَّدَ مِنْ أَنْفَاسِهَا الْحَرُّ وَالْبَرْدُ
فَلَوْحٌ مِنْهَا لِلضُّحَى وَالذُّجَى جِلْدُ^(٦)
وَمَا أَبْيَضَ مِنْ صَبْحٍ غَدَا وَهُوَ مُسْوَدُّ
مِنَ الرِّيحِ مَا إِنْ يُسْتَطَاعُ لَهُ رُدُّ
فَتُنَجِّدُ غَوْرًا أَوْ يَغُورُ بِهَا نَجْدُ

(١) حريق في المسجد النبوي سنة ٤٥٦ هـ إثر هزة أرضية، فسقطت مِسرجة وتسببت باشتعال النار.

(٢) الوری: الخلق.

(٣) الصَّمْصَام: السيف.

(٤) الثَّقْد: يقال: نقد الدراهم أي ميّز الجيد من الرديء.

(٥) الزَّنْد: ما تقدح به النار: أضلّد: لم ينقدح.

(٦) الثُّحَاس، وبالضم: القطر والنار، وما سقط من شرار الصُّفَر أو الحديد إذ طُرِق.

وَتَرْمِي إِلَى الْجَوِّ الصُّخُورَ كَأَنَّمَا
وَتَخْشَى بَيُوتَ النَّارِ حَرَّ دُخَانِهَا
فَلَوْ قُرِبَتْ مِنْ مَدْيَأِ جُوجَ بَغْدَا
وَلَمَّا أَسَاءَ النَّاسُ جِيرَةَ رَبِّهِمْ
أَرَاهُمْ مَقَامَ الْيَسْرِ يُزْعَى لِحَارِهِ
مَدِينَةَ نَارٍ أُخِصَتْ شُرَفَاتُهَا
وَقَدْ أَبْصَرْتُهَا أَهْلُ بُضْرَى كَأَنَّمَا
أَضَاءَتْ عَلَى بَغْدِ الْمَزَارِ لِأَهْلِهَا
أَشَارَتْ إِلَى أَنَّ الْمَدِينَةَ قُضِدَتْهَا
يَرْوُحُ وَيَغْدُو كُلُّ هَوَلٍ وَكُزْبَةٍ
فَلَمَّا التَّجَوَّلَ لِلْمُصْطَفَى وَتَحَرَّمُوا
أَتَوْا بِشَفِيعٍ لَا يُرَدُّ وَلَمْ يَكُنْ
فَأُظْفِقَتِ النَّارُ الَّتِي وَقَفَ الْوَرَى
فَإِنْ حَدَّثْتَ مِنْ بَغْدِهَا نَارَ فِرْيَةٍ
فَلِلَّهِ سِرُّ الْكَائِنَاتِ وَجَهْرُهَا
وَقَدْ مَاحَمَى مِنْ صَاحِبِ الْفِيلِ بَيْتَهُ
وَلِلَّهِ سِرٌّ أَنْ قَدَى ابْنُ خَلِيلِهِ
فَلَا تُنْكِرُوا أَنْ يُخْرَمَ الْحَرَمُ الْغِنَى

بِبَاطِنِهَا غِيْظًا عَلَى الْجَوِّ أَوْ جَفْدُ
وَيَزْدَادُ طُغْيَانًا بِهَا الْفُرْسُ وَالْهِنْدُ
بَنَى مِنْهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ ذِكَّ بِهَا السُّدَّ (١)
وَلَمْ يَزْعَمْهَا مِنْهُمْ رَيْسٌ وَلَا وَغْدُ
ذِمَامٌ وَلَمْ يُخَفِّظْ لِسَاكِنِهِ عَهْدُ (٢)
وَأَبْرَاجُهَا وَالسُّورُ إِذْ أَبْدَعَ الْوَقْدُ
هِيَ الْبَصْرَةُ الْجَارِي بِهَا الْجَزْرُ وَالْمَدُّ
مِنْ الْإِبِلِ الْأَعْنَاقِ وَاللَّيْلِ مُرَبِّئُهُ (٣)
قَرَأْتُ مِنْهَا الْيَسْرَ يُخْفَى بِهَا الْقُضْدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا إِذْ تَرَوْحُ وَإِذْ تَغْدُو
بِسَاحَتِهِ وَالْأَمْرُ بِالنَّاسِ مُشْتَدُّ
بِخَلْقٍ سِوَاهُ ذَلِكَ الْهَوَلُ يُرْتَدُّ
حَيَارَى لَدَيْهَا لَمْ يُعِيدُوا وَلَمْ يُبْدُوا
فَمَا ذَلِكَ الشَّيْءُ الْقَرِيُّ وَلَا الْإِدُّ (٤)
فَكَمْ حِكْمٌ تَخْفَى وَكَمْ حِكْمٌ تَبْدُو
وَلَمَّا أَتَى الْحَجَّاجُ أَمْكَنَهُ الْهَدُّ (٥)
بِذَبْحٍ وَلَوْ لَمْ يَفِدْهُ شُرْعُ الْوَادُ (٦)
وَسَاكِنُهُ مِنْ فُخْرِهِ الْفَقْرُ وَالزُّهْدُ

(١) قوم يأجوج ومأجوج: قوم يظهرون في آخر الزمان بعد أن يفتح السد الذي يحجبهم وقد بناه عليهم ذو القرنين. وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ سورة الكهف آية ٩٤. وقال أيضاً: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ سورة الأنبياء آية ٩٦.

(٢) الذمام: العهد والميثاق.

(٣) ليل مرتدة: ليل مظلم.

(٤) الإد: الداهية. القرى: الأمر المكذوب المصنوع.

(٥) صاحب الفيل: يعني أبرهة الحبشي الذي هاجم الكعبة بالفيلة ليهدمها، وذلك في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم. والحاج بن يوسف الثقفي والي العراق والحجاز أيام عبد الملك بن مروان وقد هاجم البيت الحرام وضربه بالمنجانيق وهدم جزءاً من الكعبة أثناء قتاله مع عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ، وانتهى الأمر بمقتل ابن الزبير، الذي كان بويح بالخلافة سنة ٦٤هـ.

(٦) ابن الخليل، يعني: إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام. الواد: دفن الإنسان حياً.

وقد قُدِّيت مِن مَالِهِ خَيْرُ أُمَّةٍ
فَوَاعَجَبَا حَتَّى الْبِقَاعُ كَرِيمَةً
فَإِنْ يَنْضَرُغُ مِنْهُ طِيبٌ بِطَيِّبَةٍ
وَإِنْ ذَهَبَتْ بِالنَّارِ عَنْهُ رَخَارِفُ
أَلَا رُبَّمَا زَادَ الْحَبِيبُ مَلَاحَةً
وَكَمْ سَتِرَتْ لِلْحُسْنِ بِالْحَلِيِّ مِنْ حُلَى
وَأَفِيبُ مَا يُلْقَى الْحُسَامُ مُجَرِّدًا
وَمَا تِلْكَ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا بَوَاعِثُ
إِلَى تُزْبَةِ ضَمِّ الْأَمَانَةِ وَالْثَقَى
إِلَى سَيْدٍ لَمْ تَأْتِ أَنْثَى بِمِثْلِهِ
وَلَمْ يَمْشِ فِي نَعْلِ وَلَا وَطِئِ الثُّرَى
وَلَمْ تَجِدِ الْكُومَ الْعَتَاقُ بِمِثْلِهِ
عَلِيمٌ كَرِيمٌ الْخِيمُ مَا فَوْقَ عِلْمِهِ
نَبِيٌّ هُدَى أَهْدَى بِهِ اللَّهُ رَحْمَةً
وَيَضُرُّهُ حَتَّى رَأَى كُلُّ غَائِبٍ
وَحَتَّى رَأَى مَا خَلْفَهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ
فِيَا لَيْلَةَ أَنْشَرَى الْإِلَهَ بِعَبْدِهِ
وَفَاءٌ وَلَا وَغْدٌ وَوُدٌّ وَلَا قَلْبَى
وَجَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ الَّتِي بَدَتْ
وَذَكَرَ حَكَى مَعْنَاهُ فِي الْحُسْنِ لَفْظُهُ

وَلَوْ خُيِّرُوا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ لَمْ يُفْعَدُوا
لَهَا مِثْلُ مَا لِلْسَاكِنِ الْجَاهُ وَالرَّفْدُ^(١)
فَمَا هُوَ إِلَّا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ وَالنَّدُ^(٢)
فَمَا ضُرُّهُ مِنْهَا ذَهَابٌ وَلَا فَقْدُ
إِذَا شُقَّ عَنْهُ الدُّرْعُ وَانْتَشَرَ الْعِقْدُ^(٣)
وَكَمْ جَسَدٍ غَطَّى مَحَاسِنُهُ الْبُرْدُ^(٤)
وَرَوْنَقُهُ أَنْ يَظْهَرَ الصَّفْحُ وَالْحَدُ^(٥)
عَلَى أَنْ يَجِلَّ الشُّوقُ أَوْ يَغْظَمَ الْوَجْدُ
بِهَا وَالنَّدَى وَالْفَضْلُ مِنْ أَحْمَدٍ لَحْدُ
وَلَا ضَمُّ جَجْرٍ مِثْلُهُ لَا وَلَا مَهْدُ
شَبِيبَةٍ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ وَلَا نَدُ^(٦)
وَلَا عَدَتِ الْخَيْلُ الْمُسَوِّمَةُ الْجُرْدُ^(٧)
وَلَا مَجْدِيهِ عِلْمٌ يُرَامُ وَلَا مَجْدُ^(٨)
لَنَا لَمْ يَنْلُهَا السُّغْفَى مِنَّا وَلَا الْكَدُ
وَصَارَ سَوَاءً عِنْدَهُ الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ
يَقْلِبُ تَسَاوَى عِنْدَهُ النَّوْمُ وَالسُّهْدُ
لَقَدْ نَالَ فِيهِ مَا يُؤْمَلُهُ الْعَبْدُ
وَقُرْبُ وَلَا بُغْدٌ وَوَضْلٌ وَلَا صَدُ
بِرَاهِنِهَا كَالشَّمْسِ لَمْ يُخْفِهَا الْجَحْدُ
وَيُشْبِهُ مَاءَ الْوَرْدِ فِي طَيِّبِهِ الْوَرْدُ

(١) الرِّفْد: العطاء والإعانة.

(٢) الْمَنْدَل: الغود أو أجوده. النَّد: طيب.

(٣) الدُّرْع: القميص.

(٤) الْبُرْد: الثوب المخطط.

(٥) الْحُسَام: السيف.

(٦) النَّدَى: التراب الندي. النَّد: الجبل.

(٧) نَخْد: من الرِّفْد: وهو ضرب من سير الإبل السريع: الْكُوم: جمع الكوماء: النافقة العظيمة السنام.

المُسَوِّمَةُ: المعلَّمة. الْجُرْد: جمع الأجرد: القصير الشعر من الخيل.

(٨) الْخِيم: الطبيعة والسجبة.

وقد أخكىمت آياته وتشابهت وإن كان فيها كالنجوم تناسخ وإن قصرت عن شأوها كل فكرة فلما عمو عنها وضمو أراهم ومن لم يلن منه إلى الحق جانب وقد يعجز الداء الدواء من امرى فغالبهم قوم كأن سلاحهم ثقات من الإسلام إن يعدوا يفوا وأما مكان الصدق منهم فإنه إذا أدرعوا كانت غيرون ذروهم يشوقك منهم كل حلم ونجدة بهاليل أمابذلهم في جهادهم فله صديق النبي الذي له ومن كان للمختار في الغار ثانيا فإن يتخلل بالعباءة إنه ومن لم يخف في الله لومة لائم ولا راعه في الله قتل شقيقه ومن جمع القرآن فاجمعت به وجهز جيشا سار في وقت عشرة ومن لم يعفر كرم الله وجهه فتي الحرب شين العلم والحلم والجحى ومن كان من خير الأنام بفضل

قل لمبتدي وزد وللمنتهي وزد^(١) فطالها سغد وغار بها سغد فليست يدلل أنجم الزهر تمتد سيقا لها بزق وخيالها رعد بقول ألأنت جانبيه القنا الملد^(٢) وتشفيه من داء به الكي والفضد^(٣) ثيوب وأظفار لهم فهم أسه وإن يسألوا يهدوا وإن يقصدوا يجدوا مقالهم والطعن والضرب والوعد قلوبا لها في الروح من بأسهم سرذ^(٤) تحلت بكل منهما الشيب والمزد فأنفسهم والمال والتضح والحمد^(٥) فضائل لم يذك بعذلها حد وجاد إلى أن صار ليس له وجد بذلك في خلاية العلم الفرذ ولم يغيبه قسط يقام ولا حد ألا هكذا في الله فليكن الجلد فضائل منه مثل ما اجتمع الزبد تعذر من قوت به الصاع والممد جبين لغير الله منه ولا حد علي الذي جد النبي له جد كهارون من موسى وذلكم الجد^(٦)

(١) الورد: الإشراف على الماء.

(٢) القنا: جمع القناة: الرمح. والملد: جمع الأملد: اللين.

(٣) الفضد: شق العرق ليسيل الدم.

(٤) السزد: الخز في الأديم، ونسج الدرع.

(٥) بها ليل: جمع بهلول: السيد الجامع لكل خير. الوجد: الإدراك، ووجد المال يجده.

(٦) الجد: الحظ.

إِذَا غَمَزَتْ كَفَّ الْخُطُوبِ قَنَاتَهُ
وَأَنْ عَجَمْتَ أَفْوَاهُهَا غُودَ بَأْسِهِ
يُورِدُ خَدَيْهِ الْجِلَادُ وَسَيْفُهُ
وَعِنْدِي لَكُمْ أَلِ النَّبِيِّ مَوْدَّةٌ
عَلَى أَنْ تَذْكُرِي لِمَا قَدْ أَصَابَكُمْ
فِي دِي لَكُمْ قَوْمٌ شَقُوا وَسَعِدْتُمْ
أَتَرْجُونَ مِنْ أَبْنَاءِ هِنْدٍ مَوْدَّةً
فَلَا قَبِيلَ الرَّحْمَنِ عُذْرِي عُذَاتِكُمْ
إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ عُذْرِي فَلِإِنِّي
فِي أَنْ ضَاعَ قَوْلِي فِي سِوَاكَ ضَلَالَةً
وَمَا امْتَدَّ لِي طَرْفٌ وَلَا لَانَ جَانِبٌ
أَشْغَلَ عَنِ رِيحَاتِنِيكَ قَرِيبَتِي
وَأَذْغَوْسِفَاهَا غَيْرَ أَلَيْكَ سَادَتِي
فَلَارَاحَ مَغْنِيًّا بِمَذْجِي حَاتِمٌ
وَلَا هَيْجَتِ شَوْقِي ظِبَاءَ بَوَجْرَةٍ
وَيَا طِيبَ تَشْبِيبِي بِطَيِّبَةِ لَأْسِي
فَهَبْ لِي رَسُولَ اللَّهِ قُرْبَ مَوْدَةٍ
وَأَنِّي لَا رَجْوَانُ يُقَرِّبُنِي إِلَيْ
وَلَوْلَا وَثُوقِي مِنْكَ بِالْفُوزِ فِي عُدٍ

تَوَهَّمْتَ أَنَّ الْخُطْبَ لَيْسَ لَهُ زُنْدٌ^(١)
أَفَادَتْكَ عِلْمًا أَنَّ أَفْوَاهَهَا دُرْدٌ^(٢)
فَذَاكَ إِذَا شَبَّهْتَهُ الْأَسَدُ الْوَرْدُ^(٣)
سَلَبْتُمْ بِهَا قَلْبِي وَصَارَ لَهُ عِنْدُ
يُجَدُّ دَأْشَجَانِي وَإِنْ قَدُمَ الْعَهْدُ
فَدَارُهُمُ الدُّنْيَا وَدَارُكُمْ الْخُلْدُ
وَقَدْ أَرْضَعْتُهُمْ دَرٍ بِغَضَّتِهَا هِنْدُ
فَإِنَّهُمْ لَا يَنْتَهُونَ وَإِنْ رُدُّوا
بِحُبِّكَ فِي قَوْلِي أَلَيْنُ وَأَشْتَدُّ
فَمَا أَنَا بِالْمَاضِي مِنَ الْقَوْلِ مُغْتَدُّ
لِغَيْرِكَ إِلَّا سَاءَنِي اللَّيْنُ وَالْمَدُّ
بِشَيْخٍ وَرَنْدٍ لَا تَمَّا الشَّيْخُ وَالرَنْدُ^(٤)
وَهَلْ أَنَا إِنْ وَفَّقْتُ إِلَّا لَهُمْ عَبْدُ^(٥)
وَلَا عُنَيْتُ هِنْدُ بِحُبِّي وَلَا دَعْدُ^(٦)
وَلَا بَعَثْتُ وَضْفِي نَقَانِقُهَا الرُّنْدُ^(٧)
عِنَانُ لِسَانِي عَنْكَ غُورٌ وَلَا تَجْدُ^(٨)
تَقَرُّبِهِ عَيْنٌ وَتَرْوِي بِهِ كَبْدُ
جَنَابِكَ إِزْقَالَ الرُّكَائِبِ وَالْوَحْدُ^(٩)
لِمَا لَدَلِي يَوْمًا شَرَابٌ وَلَا بَرْدُ

(١) الخطوب: المصائب والشدائد. الرند: ما تقدح به النار.

(٢) عجمه: عضة أو لآكه للخبرة، ورازه. الدرد: ذهاب الأسنان.

(٣) الورد: أي: الأسد.

(٤) الشيخ: نبات. الرند: شجر طيب الرائحة.

(٥) ميفاهها وسفاها بمعنى الجهل.

(٦) حاتم: هو حاتم الطائي، جواد من أجواد العرب في الجاهلية.

(٧) وخبرة: موضع بين مكة والبصرة، أربعون ميلاً، ما فيها منزل فهي مرّت للوحش. النقانق: جمع

الثقنق: ذكر النعام. الرند: جمع أريد: ما مال لونه إلى العُبرة.

(٨) طيبة: من أسماء المدينة المنورة. العنان: الحبل. الغور: القمر من كل شيء. التجد: ما أشرف من الأرض.

(٩) الإرمال والوخد: ضربان من السير السريع.

عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يُضْجِي بِطَيِّبَةٍ
وَدَامَتْ كَأَنْفَاسِ الْوَرَى فِي تَرْدٍ
لَذِيكَ بِهَا وَفَدُو يُنْمِسِي بِهَا وَفَدُ
عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ التَّجِيَّةُ وَالرُّدُ

وقال، عفا الله عنه، يمدح أبا العباس المرسى^(١)، ويعزیه فی شیخه أبي الحسن الشاذلي^(٢)، وعليهم رحمة الله، آمين: [الكامل]

كتب المشيب

كَتَبَ الْمَشِيبُ بِأَبْيَضٍ فِي أَسْوَدٍ
خَجَلْتُ عُيُونُ الْخُورِ حِينَ وَصَفْتُهَا
وَلِذَاكَ أَظْهَرْتَ أَنْكِسَارَ جُفُونِهَا
يَا جِدَّةَ الشَّيْبِ الَّتِي مَا عَادَرَتْ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَسَوْفَ أَذْهَبُ مِثْلَمَا
إِنَّ الْفَنَاءَ لِكُلِّ حَيٍّ غَايَةٌ
وَارْخَمْتَ الْمُصَوِّرَ مُتَطَوِّرَ
قَدَفْتُ بِهِ أَيْدِي النَّوَى مِنْ حَالِقِي
مُسْتَوْجِشٍ فِي أَنْسِهِ مُتَعَاهِدِ
مَنْعَتُهُ أَسْبَبُ لَدَيْهِ رُجُوعُهُ
يَا لَيْتَهُ لَوْ دَامَ نَسِيَامَالُهُ
حَمَلَ الْهَوَى جَهْلًا بِأَثْقَالِ الْهَوَى
مَا إِنْ يَزَالَ بِمَا تَكَلَّفَ حَمْلُهُ
غَرَضًا لَأَمْرٍ لَا تَطِيشُ سِهَامُهُ
وَخَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُ

بِغَضَاءٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْخُرَيْدِ^(٣)
وَصَحَفَ الْمَشِيبُ وَقُلْنَ لِي: لَا تَبْعِدِ^(٤)
دَعْدُو آذَنَ خَدَّهَا بِتَوَرُّدِ
لِنَفْسِنَا مِنْ لَذَّةٍ بِمَجْدِدِ
ذَهَبَ الشَّبَابُ وَمَا امْرُؤٌ بِمُخْلِدِ
مَحْتَوَمَةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَكَأَنَّ قَدِ
فِي كُلِّ طَوْرِ صُورَةِ الْمُتَرَدِّدِ^(٥)
سَامِي الْمَحَلِّ إِلَى الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ^(٦)
بَحْنِيْنِهِ شَوْقًا لِأَوَّلِ مَغْهَدِ
فَاشْتَاقَ لِلْأَوْطَانِ شَوْقَ مُقَيَّدِ
مِنْ ذَا كِرَاوَانِهِ لَمْ يُوَلَّدِ
مُسْتَنْجِدًا بِعَزِيمَةٍ لَمْ تُنْجِدِ
فِي خُطَّتِي خَسْفَ يَرْوَحُ وَيَغْتَدِي
وَمُعَرَّضًا لِمُعْنُفٍ وَمُفْتَدٍ^(٧)
مُتَوَعِّدٌ فِيهَا وَعِيدَ الْهَذْهِدِ

(١) هو أحمد بن عمر المرسى أبو العباس، فقيه متصوف من أهل الاسكندرية، مات سنة ٦٨٦ هـ.

(٢) أبو الحسن الشاذلي، متصوف له طريقة منسوبة إليه، مات سنة ٦٥٦ هـ، ستأتي ترجمته.

(٣) الخرد: جمع الخريدة: البكر التي لم تُمسس، أو الخفرة الطويلة السكوت.

(٤) الخور: جمع الخوراء: من الخور وهو أن يشتد بياض العين وسواد سوادها.

(٥) الطور: التارة والحد بين الشيتين.

(٦) الأوهد: المنخفض.

(٧) مفتد: مكذب.

وَجَبَّ السُّجُودُ لَهُ فَلَمَّا انْصَحَى
وَتَبَثَّ بِهِ الْأَوْطَانُ فَهُوَ بِفَرْبَةٍ
أَنْفَاسِهِ تُحْصَى عَلَيْهِ وَعِلْمُ مَا
ابْتَدَأَتْ رَأَاهُ وَاجِدًا أَوْ عَادِمًا
يُمَسِّي وَيُصْبِحُ مَثَهُمَا أَوْ مُنْجِدًا
يَزِيْمِي بِهِ سَهْلًا وَوَعْرًا زَاجِرًا
مُتَخَوِّفًا مِنْهُ الْمَصِيرَ لِمَنْزِلِ
مَا إِنْ رَأَى الْجَانِي بِهِ أَغْمَالَهُ
حَسْبِي لَهُ حُبُّ النَّبِيِّ وَاللَّهِ
فَإِذَا أَجَبْتُ سَوْأَالَهُ فِي إِلَهٍ
وَأَمِنْ إِذَا قَامَ النَّبِيُّ مَقَامَهُ الْ
وَتَزَوَّدَ الثَّقَوَى فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ إِنْ صَلَاةً مَنْ
وَأَسْمَعَ مَذَائِحَ آلِ بَيْتِ الْمَصْطَفَى
صِنُّو النَّبِيَّ أَخُو النَّبِيِّ وَزِيْرُهُ
جَدُّ الْإِمَامِ الشَّاذِلِيِّ الْمُتَمِّي
أَسْمَاؤُهُمْ عِشْرُونَ دُونَ ثَلَاثَةِ
لِعَلِيِّ الْحَسَنِ انْتَمَى لِمُحَمَّدٍ
وَاخْتَارَ بَطَالًا لِوَزِيْرِيْوَشَعَا
وَبِحَاتِمٍ فُتِحَتْ سِيَادَةُ هُرْمُزٍ
وَبِعَبْدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ انْتَضَى
وَأَتَى عَلِيٌّ فِي الْعُلَايَشْلُوهُمْ
أَغْنِي أَبَا الْحَسَنِ الْإِمَامَ الْمُجْتَبَى

قَالَتْ خَطِيئَتُهُ لَهُ أَرْكَغٌ وَاسْجُدِ
مَا بَيْنَ أَعْدَائِهِ يَسْبِرُ وَخُسْدِ
يَفْضِي إِلَيْهِ غَدَالُهُ حُكْمُ الْغَدِ
فِي خَيْرَةٍ لَقَطَطَائِهِ الْمُنْشَدِ
لِمَعَادِهِ مَعَ مَثِهِمْ أَوْ مُنْجِدِ^(١)
بَطْنُ الْمِسْنِ بِهِ كَظْهَرِ الْمِبْرَدِ^(٢)
مُسْتَوْبِلُ الْمَرْعَى وَبِيءُ الْمَوْرِدِ^(٣)
إِلَّا تَمْنَى أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
عِنْدَ الْإِلَهِ وَسَيْلَةٌ لَمْ تُرْدَدْ
سَلْ تَغْطُ وَاسْتَمْدِدْ فَلَا حَاتِمِدِ
مَحْمُودٌ فِي الْأَمْرِ الْمُقِيمِ الْمُفْعِدِ
فَمِنْ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ تَزَوَّدِ
صَلَّى عَلَيْهِ ذَخِيرَةٌ لَمْ تَنْقُدِ
مِنْهُ وَدُونُكَ جَمْعُهَا فِي الْمَفْرَدِ
وَوَلِيُّهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ مُؤَيَّدِ
شَرَفًا إِلَيْهِ لِسَيِّدٍ عَنْ سَيِّدِ
جَاءَتْ عَلَى نَسَقٍ كَأَخْرِفٍ أَبْجَدِ
عَيْسَى وَبِرُّ مُحَمَّدٍ فِي أَحْمَدِ
وَبِيْوُسُفٍ وَاقِي قُصَيٍّ يَهْتَدِي
وَعْدَاتِمْ لِمَكْكَارِمٍ يَهْتَدِي
لِلْفَضْلِ عَبْدُ اللَّهِ أَيُّ مَهْتَدِ
فَاخْتِمَ بِهِ سُورَ الْعُلَا وَالسُّودِدِ^(٤)
مِنْ هَاشِمٍ وَالشَّاذِلِيِّ الْمَوْلِدِ^(٥)

(١) أَنَّهُمْ: أَتَى نِهَامَةً. وَأَنْجَدَ: أَتَى نَجْدًا.

(٢) زَاجِرًا: رَادِعًا.

(٣) وَبِيءٌ: مِنَ الْوَبَاءِ. مُسْتَوْبِلُ الْمَرْعَى: لَمْ يُوَافِقْهُ الْمَرْعَى.

(٤) السُّودِدُ: السِّيَادَةُ.

(٥) الشَّاذِلِيُّ هُوَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ هَرْمَزٍ بْنِ حَاتِمٍ بْنِ قَعْبِيٍّ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ

يُوشَعَ بْنِ وَرْدٍ بْنِ بَطَالٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَاتَ سَنَةَ ٦٥٦ هـ. بِمِصْرَ.

إِنَّ الْإِمَامَ الشَّاذِلِيَّ طَرِيقَهُ
فَانْقَلَبَ وَلَوْ قَدْ مَاعَلَى آثَارِهِ
وَاسْلُوكَ طَرِيقَ مُحَمَّدِيٍّ شَرِيعَةٍ
مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ سَنَاءَ يَلُوحُ مِنْ
فُتُوحِ أَتَى طُوفَانُهُ بِمَعَارِفِ
قَدْ نَالَ غَايَةَ مَا يَرْوَمُ الْمُنتَهِي
مُتَمَكِّنٌ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ دَهْشَةٍ
مَنْ لَا مَقَامَ لَهُ فَإِنْ كَمَالَهُ
قُلْ لِلْمُحَاوِلِ فِي الدُّنْيَا مَقَامُهُ
وَالْفَضْلُ لَيْسَ يَنَالُهُ مُتَوَسِّلُ
إِنْ قَالَ ذَاكَ هُوَ السَّادُّ أَوْ فَقُلْ لَهُ
بِمَشْيِ الْمُصَرِّفِ حَيْثُ شَاءَ وَغَيْرُهُ
مَنْ كَانَ مِنْكَ بِمَنْظَرٍ وَيَسْمَعُ
لِكُلِّهِمَا الْحُسْنَى وَإِنْ لَمْ يَسْتَوْوَا
كُلٌّ لِمَا شَاءَ الْإِلَهَ مُيَسَّرُ
وَإِذَا تَحَقَّقَتِ الْعَنَاءُ فَاسْتَرْخِ
أَفْدِيَّ عَلِيًّا فَرِحَ رَجُودُ وَكُلُّنَا
قُطْبُ الزَّمَانِ وَغَوْثُهُ وَإِمَامُهُ
سَادَ الرِّجَالِ فَقَضَّرَتْ عَنْ شَأْوِهِ
فَتَلَقَّى مَا يَلْقَى إِلَيْكَ فَنُطْقُهُ

فِي الْفَضْلِ وَاضِحَةً لِعَيْنِ الْمُهْتَدِي
فَلَمَّا فَعَلْتَ فَذَاكَ أَخَذَ بِالْيَدِ
وَحَقِيقَةٍ وَمُحَمَّدِيٍّ الْمَخْتَدِي^(١)
مِصْبَاحِ نَوْرِ نُبُوءَةٍ مُتَوَقَّدِ^(٢)
تُشَوِّرُهُمَا جُودِيَّ كُلِّ مُوَحَّدِ
مِنْ رَبِّهِ وَلَهُ اجْتِهَادُ الْمُبْتَدِي
أَوْ وَقْفَةٍ مَا فَوْقَهَا مِنْ مَشْهَدِ
لِلنَّاسِ يُزَجِّعُهُ رُجُوعُ مُقْلَدِ
مَا الْعَبْدُ عِنْدَ اللَّهِ كَالْمُتَعَبِّدِ
بِتَسْوِيعِ خَرِجٍ وَلَا يَسْتَرْهَدِ
كُخْلُ الصَّحِيحِ خِلَافَ كُخْلِ الْأَزْمَدِ
يَمْشِي بِحُكْمِ الْحَجَرِ حُكْمُ مُصَفَّدِ
أَيْحَالُ مِنْهُ عَلَى حَدِيثِ مُسْنَدِ
فِي رُتْبَةٍ فَقَدْ اسْتَوَوْا فِي الْمَوْعِدِ
وَالنَّاسُ بَيْنَ مُقَرَّبٍ وَمُشْرَدِ
وَإِذَا تَخَلَّفَتِ الْعَنَاءُ فَاجْهَدِ
بِوُجُودِهِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ نَفْتَدِي^(٣)
عَيْنُ الْوُجُودِ لِسَانُ سِرِّ الْمَوْجِدِ^(٤)
هِمَمُ الْمُؤَوَّبِ لِلْعُلَا وَالْمُسْنَدِ^(٥)
نُطْقُ بَرُوحِ الْقُدْسِ أَيُّ مُؤَيَّدِ^(٦)

(١) المحتد: الأصل. ويريد: اتبع هذه الطريقة المحمدية شرعاً ونسباً.

(٢) السنا: الضوء.

(٣) يقول: إنه يفدي أبا الحسن بالوجود، وكل إنسان ليتخلص من كل سوء بفضل بركة الشاذلي كـ يقول.

(٤) القطب عند الصوفية: الخليفة. وهو رجل واحد موضع نظر الله تعالى. ويسمى الغوث أياً باعتبار التجاء الملهوف إليه، وقوله: عين الوجود يعني سيد الوجود. والعين عندهم، إشارة إلى ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء.

(٥) الشار: السبق.

(٦) يعني أن الله أيده. بجبريل.

إِمَامَرَزَتْ عَلَى مَكَانٍ ضَرِيحِهِ
وَرَأَيْتَ أَرْضَافِي الْفَلَا مُخْضَرَّةً
وَالْوَحْشَ أَمِئَةً لَدَيْهِ كَأَنَّهَا
وَوَجَدْتُ تَغْظِيماً بِقَلْبِكَ لَوْ سَرَى
فَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَخْرَ النُّدَى الطُّ
يَاوَارِثَابِ الْفَرْضِ عِلْمَ نَبِيِّهِ
الْيَوْمَ أَحْمَدُ مِنْ عَلِيٍّ وَارِثُ
يُغْزَى الْإِمَامُ إِلَى الْإِمَامِ وَيَقْتَدِي
وَالْمَرْءُ فِي مِيرَاثِهِ أَتْبَاعُهُ
خَيْرُ الْوَرَى صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا
وَسَرَى السُّرُورَ إِلَى الْقُلُوبِ فَهَزَّهَا
شَوْقًا لِمُرْسِيَةِ رَسَتْ آسَاسُهَا
الْيَوْمَ قَامَ فَتَى عَلِيٍّ بَغْدَهُ
فَكَأَنَّهُ يُوشَعُ بَعْدَ مُوسَى قَائِمٌ
فَلِيَقْصِدِ الْمُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِهِ
فَلِذَا عَزَمْتَ عَلَى أَتْبَاعِ سَبِيلِهِ
فِنْظَامُ أَعْمَالِ الثَُّّةِ لَأَدَابُهَا
وَتَجَنَّبِ التَّأْوِيلَ فِي أَقْوَالِ مَنْ
قَدْ فَرَّقَ التَّأْوِيلَ بَيْنَ مُقَرَّبٍ

وَسَمِعْتُ رِيحَ النُّدَى مِنْ تَرْبِ النُّدَى^(١)
مُخْضَلَّةً مِنْهَا بِقَاعِ الْفَدْفِدِ^(٢)
حُشِرَتْ إِلَى حَرَمٍ بِأَوَّلِ مَنْسَجِدٍ
فِي جَلَمَدٍ سَجَدَ الْوَرَى لِلْجَلَمَدِ^(٣)
لَامِي وَيَا بَخْرَ الْعُلُومِ الْمُزِيدِ
شَرْقًا وَبِالْتَّغْصِيْبِ غَيْرِ مُفْتَدٍ^(٤)
حَظَنِي عَلِيٌّ مِنْ وَرَاثَةِ أَحْمَدٍ
لِلْمُقْتَدِي بِهَذَا فَضْلُ الْمُقْتَدِي
فَأَقْدِرْ أَذْنَ فَضْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
صَدَعَ الْأَسَى قَلْبًا بِسَجْعِ مُغْرَدٍ
مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْقَضِيْبِ الْأَمْلَدِ^(٥)
بِعَلِيٍّ أَبِي الْعَبَّاسِ فَوْقَ الْفَرْقَدِ^(٦)
كَيْمًا يُبْلَغُ مُرْشِدًا عَنْ مُرْشِدٍ
بِطَّرِيقِهِ الْمُثْلَى قِيَامَ مُؤَكَّدٍ
دَارَ الْبَقَاءِ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ^(٧)
فَاسْمَعْ كَلَامَ أَخِي النَّصِيْحَةِ تَرْشِدٍ
فَاصْحَبْ بِهَا أَهْلَ الثَّقَى وَالسُّودَدِ^(٨)
صَاحِبَتْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ تَسْعِدِ
يَوْمَ السُّجُودِ لِأَدَمَ وَمُبَعَّدِ^(٩)

(١) ضريح الشاذلي بصحراء عيذاب. بمصر. النَّد: طيب.

(٢) الفدند: الفلاة.

(٣) الورى: الخلق. الجَلَمَد: الصخر.

(٤) مفتد: مكذب.

(٥) السرى: السير عامة الليل. القضيب الأملد، أي: الناعم الغض.

(٦) الفرقد: النجم الذي يُهتدى به.

(٧) الطريق الأقصد: الطريق المستقيم.

(٨) السودد: السيادة.

(٩) المقرَّبون، أي الملائكة الذين سجدوا لآدم امتثالاً لأمر الله. والمبعد: إبليس الذي استكبر وأبى السجود.

وَحَذَارِ أَنْ يَشُقَّ الْمُرِيدُ بِنَفْسِهِ
فَالْوَصْفُ يَبْقَى حُكْمُهُ مَعَ فَقْدِهِ
إِنَّ الضَّئِينَ بِنَفْسِهِ فِي الْأَرْضِ لَا
وَيُظَنُّ إِنَّ زَكَاةً سَفِينَتُهُ عَلَى
فَاضِحَبْ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدًا أَخَذَا
فَلَمَّا سَقَطَتْ عَلَى الْخَبِيرِ بِدَائِهَا
وَأَذَابُ لَغَتْ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ مِنْ
فَمَتَى رَأَى مُوسَى الْإِرَادَةَ عِنْدَهُ
وَأَذَا الْفَتَى خَرِقَتْ سَفِينَةُ جَدِّهِ
وَتَبَدَّلَتْ أَبَوَا الْغُلَامِ بِقَتْلِهِ
وَأَقِيمَ مُنْتَقِضُ الْجِدَارِ وَتَحْتَهُ
فَلْيَهْنِ جَمْعَافِي الْفِرَاقِ وَوَضْلَةُ
مُغْرَى بِقَتْلِ النَّفْسِ عَمْدًا وَهُوَ لَا
لِلَّهِ مَقْشُولٌ بِغَيْرِ جَنَابَةٍ
مَا زَالَ يَغْطِفُهَا عَلَى مَكْرُوهِهَا
وَأَجِيبْ دَاعِيَهَا الرَّدَّ مُشْرِدٍ
لَمْ تَشْرِكِ الثَّقَوَى لَهَا مِنْ عَادَةٍ
فَلْيَهْنِ أَحْمَدُ كِيمِيَاءَ سَعَادَةٍ
جَعَلَتْهُ لَمْ يَرِ لِلْحَقِيقَةِ طَالِبًا
الْفَاطَةُ مَبْدُولَةُ بَذَلِ الْحَيَا
كُلُّ يَرْوُحٍ بِشَرْبِ رَاحِ غُلُومِهِ
ضَمَنَ الْوَقَارَ لَهَا اغْتَدَالُ مِزَاجِهَا

وَاخْزِمَ فَمَا الْإِصْلَاحُ شَأْنُ الْمُقْصِدِ
وَالْمَرْءُ مَزْدُودٌ إِذَا لَمْ يُفْقِدِ
يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ وَلَيْسَ بِمُضْعِدِ
أَمْوَاجِهَا وَرِيَا حَهَا لَمْ تَزْكُدِ
يَدْعَارِ فِي بِهِوَى الثُّفُوسِ مُنْجِدِ
فَاضِحِزْ لِمُرْدٍ وَآئِهِ وَتَجَلَّدِ
عِلْمِيهِ فَانْقَعِ غُلَّةُ الْقَلْبِ الصُّدِيِّ
خَضِرُ الْحَقِيقَةِ نَالِ أَقْصَى الْمَقْصِدِ
لَتَجَاتِيهَا وَجَدَ الْأَمْسَى غَيْرَ الدُّدِ^(١)
بِأَبْرَمْنَهُ لَوِ الْإِدْيَةِ وَأَرْشِدِ
كَتْزُ الْوُضُولِ إِلَى الْبَقَاءِ السَّرْمَدِيِّ^(٢)
مِنْ قَاطِعٍ وَتَرْقِيَامِنْ مُخْلِدِ
يُغْطِي إِلَى الْقَوْدِ الْقِيَادُ وَلَا الْيَدِ
كَلِيفَ بِحُبِّ الْقَاتِلِ الْمُتَعَمِّدِ
حَتَّى زَكَاةً وَصَفَتْ صَعْفَاءَ الْعَسْجَدِ^(٣)
مِنْ أَمْرِهَا طَوْعًا وَجَمْعَ مُبَدِّدِ
أَلْفَتْ وَلَا لِمَرِيضِهَا مِنْ عُودِ
صَحَّحَتْ فَلَانَا عَلَيْهِ تَغْتَدِي^(٤)
إِلَى أَيْمُدِ الْيَهْرَ رَاحَةً مُجْتَدِي^(٥)
وَمَصُونَةٌ صَوْنُ الْعَذَارَى الْخُرْدِ^(٦)
طَرِبَا كَغُضْنِ الْبَانَةِ الْمُتَأَوِّدِ^(٧)
فَشَرَابُهَا لَا يَنْبَغِي لِمُعَزِيدِ

(١) الدد: اللهور واللعب.

(٢) السرمدي: الدائم.

(٣) العسجد: الذهب.

(٤) الكيمياء: الأكسير.

(٥) الحقيقة، يعني ما يتعلق بالإيمان.

(٦) الخُرد: جمع الخريدة وهي البكر التي لم تُمسس.

(٧) البانة: ضرب من الشجر. المتأوّه: المعوج.

فَضَحَّتْ مَعَارِفُهَا مَعَارِفَ غَيْرِهَا
كَشَفَتْ لَهُ الْأَسْمَاعُ عَنْ أَسْرَارِهَا
وَأَزَتْهُ أَسْبَابُ الْقَضَاءِ مُبِينَةً
تَأْتِي عُلُومُكَ يَا قَتْنِي غَيْرَ التِّي
فَلِ لِلَّذِينَ تَكَلَّفُوا زِيَّ التَّقَى
لَا تَخْبَرُوا كُخْلَ الْعُيُونِ بِجَبِلَةٍ
مَا النَّخْلُ ذَلَّلَتْ الْهِدَايَةُ سُبُلَهَا
مَنْ أَهْمَلَتْ التَّقْوَى عَلَيْهِ وَأَنْفَقَتْ
وَأَبْيَكَ مَا جَمَعَ الْمَعَالِي وَإِدْعَا
إِلَّا أَبَوَالْعَبَّاسِ أَوْ خَدْعَضِرِهِ
أَقْنَنَتْهُ فِي التَّوْجِيدِ هِمَّةٌ مَا جَدِ
سَاحَتْ رِجَالٌ فِي الْقِفَارِ وَإِنَّهُ
وَلَهُ سِرَائِرُ فِي الْعُلَا خَطَارَةٌ
فَالْمُسْتَقِيمُ أَخُو الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ
وَأَجَلُ حَالٍ مُعَامِلٍ تَبَعِيَّةٍ
فَأَتَى مِنَ الطَّرْقِ الْقَرِيبِ مَنَالُهَا
مَسِيفٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مَا خَدَّه
أَتْنِي عَلَيْهِ بِبَاطِنٍ وَبِظَاهِرٍ
مِنْ مَغْشَرٍ نَصَرُوا النَّبِيَّ وَسَابَقُوا
وَقَتْنُوا أَعْنَتَهُمْ وَقَدَّرُوا الْعِدَا
مِنْ كُلِّ ذَمَرٍ كَالصُّبْحِ جَبِينُهُ
وَيَكُلُّ أَسْمَرَ أَزْرَقٍ فَوَلَادُهُ

وَالزَّيْفُ مَقْضُوحٌ بِتَقْدِ الْجَيِّدِ (١)
فَإِذَا الْوُجُودُ لِمَقْلَتَيْنِ بِمَرْصَدٍ
لِلْمُسْتَقِيمِ يَعْلَمُهَا وَالْمُلْجِدِ
هِيَ فَتُخْ غَيْبٌ فَتُخْهُ لَمْ يُسْتَدِ
وَتُخْئِرُ وَاللُّدْسُ أَلْفٌ مُجَلَّدِ
إِنَّ الْمَهَالَ تَكْتَجِلُ بِالْإِثْمِ
مِثْلَ الْخَمِيرِ تَقْوُدُهَا لِلْمُورِدِ
يَدُهُ مِنَ الْأَكْوَانِ لَا مِنْ مِرْوَدِ (٢)
جَمَعَ الْأَلُوفِ مِنَ الْحِسَابِ عَلَى الْيَدِ
أَكْرَمَ بِهِ فِي عَصْرِهِ مِنْ أَوْحِدِ
شَدَّتْ مَقَاصِدُهَا عَنِ الْمُتَشَدِّدِ
لَيْسِيخُ فِي مَلَكُوتِ طَرْفِ مُشْهَدِ
خَطَاؤُهَا وَرِكَابُهَا لَمْ تُشَدِّدِ
لَا كُلُّ مَنْ رَكِبَ الْأَسْوَدَ بِأَسْوَدِ
أَخَذَتْ إِلَى أَدَبِ الْمُرِيدِ بِمَقْوَدِ (٣)
وَأَتَى سِوَاهُ مِنَ الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ
فَاضْرَبَ بِهِ فِي النَّائِبَاتِ وَهَدَّدِ
لَا يَسِرُّ مِنْهُ بِمُغْمَدٍ وَمُجَرَّدِ
مَعَهُ الرِّيَّاحُ بِكُلِّ نَهْدٍ أَجْرَدِ (٤)
بِالطُّغْنِ بَيْنَ مُجَدَّلٍ وَمُقَدَّدِ (٥)
ذَرِبَ بِخَوْضِ الْمُغْضَلَاتِ مُعَوَّدِ (٦)
وَيَكُلُّ أَبْيَضَ كَالنَّجِيعِ مُوَرَّدِ (٧)

(١) التقد: التميز بين الجيد والرديء من الدراهم.

(٢) المزود: وعاء الزاد.

(٣) المرید: الذي انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن ذاته.

(٤) النهْد والنَّاهِد: الفرس الكريم. الأجرْد، أي: الفرس القليل الشعر.

(٥) مجدل: مصروع، مقدد: من قولك: قدَّه بالسيف، إذا ضربه به.

(٦) الذمر: الشجاع، ذرب: حاذ.

(٧) الأسمر: يعني الرمح. النجيع: الدم.

شَهِدَ النَّهَارُ لِفَاضِلٍ بِمَسَدِّ
وَتَمَخَّضَتْ ظُلُمُ اللَّيَالِي مِنْهُمْ
خَافَ الْعَدُوُّ مَغِيبَهُمْ لِشُهُودِهِمْ
السَّائِرُ وَالْعَوْرَاتِ مِنْ قَتْلَى الْعِدَا
وَالطَّاعِنُ النُّجْلَاءُ يُدْخِلُ كَفَّهُ
سَلًى مِنْ سَلِيلِهِمْ سُلُوكَ سَبِيلِهِمْ
مُسْتَمْطَرَأً بَرَكَاتِهِ مِنْ رَاحَةِ
فَمَوَاهِبِ الرَّحْمَنِ بَيْنَ مُصَوِّبٍ
يَأْمَنُ أَمْتًا لَهُ بِحِفْظِ ذِمَّتِهِ
مَوْلَايَ دُونَكَ مَا شَرَحْتُ بِوَزْنِهِ
فَاقْبَلْ شِهَابَ الدِّينِ عُذْرَ خَرِيدَةٍ
مَغْسُولَةٍ الْفَاطِظُهَا مِنْ كَامِلٍ
طَلَعَتْ مَجْرَةً فَضْلُهَا بِكَوَاكِبِ
رَامَ اسْتِخْرَاقَ السَّمْعِ مِنْهَا مَارِدٌ
مِنْ مَنَهْلٍ عَذْبٍ صَفَا سَلْسَالُهُ
بَعَثْتَ إِلَيْكَ بِهَا بَوَاعِثُ خَاطِرٍ
صَادَقَتْ دُرًا مِنْ صِفَاتِكَ مُشَمَّنًا
جَاءَتْ تُسَائِلُكَ الْأَمَانَ الْخَائِفِ
فَاضْمَنْ لَهَا ذِكْرَ الْمَعَادِ ضَمَانَهَا
فَإِذَا ضَمِنْتَ لَهُ فَلَيْسَ بِخَائِفٍ
جَاءَهُ النَّبِيُّ لِكُلِّ عَاصٍ وَاسِعٍ

مِنْ رَأْيِهِ وَلِطَّاعِينَ بِمَسَدِّ
عَنْ رُكْعٍ لَا يَسْنَأُمُونَ وَشُجْدٍ
وَالْمَوْتُ يَكْمُنُ فِي الْخُسَامِ الْمُتَعَدِّ
يَوْمَ الْحَفِيفَةِ بِالْقَنَا الْمُتَقَصِّدِ^(١)
فِي إِثْرِهَا الْأَسَى مَكَانَ الْمِرْوَدِ^(٢)
يُرْشِدُكَ أَحْمَدُ لِلطَّرِيقِ الْأَحْمَدِ
أَنْدَى مِنَ الْغَيْثِ السُّكُوبِ وَأَجُودِ
مِنْهَا الرَّاجِي رَحْمَةً وَمُضْغِدِ
وَيُحْسِنُ ظَنِّي فِيهِ لِي مُسْتَغْفِرِي
وَزَوِيهِ قَلْبَ الْكَنِيِّ الْأَكْمَدِ
عُذْرَاءُ تُزْرِي بِالْعَلَاوَى التُّهْدِ^(٣)
أَبْرِدُ خَشْيَ مِنْ رَيْقِهَا بِمُبْرِدِ
دُرِّيَّةٍ مَخْفُوقَةٍ بِالْأَنْعَدِ
لَمَّا أَتَيْتُكَ فَلَمْ يَجِدْ مِنْ مَقْعَدِ
لَا مِنْ صَرَى يَشْوِي الْوَجُوهَ مُصْرَدِ^(٤)
مُتَحَبِّبٍ لِحَنَابِكُةٍ مُتَوَدِّدِ
فَأَعْرَضَتْهُ مَتْنِي صِفَاتٍ مُنْقَدِ^(٥)
مِنْ رَيْقَةٍ بِذُنُوبِهِ مُتَوَعَدِ^(٦)
بِالْقُوزِ عَنْكَ لِسَامِعٍ وَلِغَمَشِيدِ
مِنْ مُبْرِقٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُرْعَدِ
وَالْفَضْلُ أَجْدَرُ بِاقْتِرَاحِ الْمُجْتَنِدِ^(٧)

(١) القَنَا المتقصد: الرمح المستقيم النافذ الذي يصيب فيقتل.

(٢) الطعنة النجلاء: أي النافذة الواسعة.

(٣) الخريدة: البكر التي لم تُمسس. التُّهْد: جمع الناهد وهي الفتاة التي تُهد ثديها.

(٤) السَّلْسَال: الماء العذب. الصَّرَى: الماء المنغير الطعم. المَصْرَد: المقتل.

(٥) المنقصد: ما وضع بعضه فوق بعض.

(٦) الرَيْقَةُ: المروة.

(٧) المجتدي: الذي يطلب العطاء.

وقال، رضي الله تعالى عنه، يمدح المقرّ العاليي الصاحبّي الزيني^(١) زين الدين،
رحمهما الله تعالى، وذلك من الكامل: [الكامل]

أهل التقى

أهلُ التقى والعِلْمِ أهلُ السُّؤْدِ
الصاحبُ ابنُ الصاحبِ ابنُ الصاحبِ
لا تُشْرِكَنَّ به امرأً في وَضْفِهِ
الشمسُ طالعةٌ فهل من مُبْصِرٍ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ مَوَدَّتْهُ نَفْسُهُ
وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُوا الْمَذَاهِبِ فِي الْعُلَا
وَقِي عُلُومِ الْأَوَّلِينَ حُقُوقُهَا
فَكَأَنَّهُ فِينَا خَلِيفَةُ آدَمَ
أَفْضَى بِهِ عِلْمُ الْيَقِينِ لَعِينِهِ
كُشِفَ الْغِطَاءُ لَهُ فَلَيْسَ كَحَائِرٍ
قَدْ كَانَ يَحْكُمُ فِي الْأُمُورِ بِعِلْمِهِ
لَوْلَا يُخَاطَبُ بِنَابِ قَدْرِ عُقُولِنَا
وَرِثَ النَّبُوءَةَ فَلَيْقُمْ كَقِيٍّ بِهِ
فَلِسَانُهُ الْعَضْبُ الْحُسَامُ الْمُتَنَضِّي
وَيَصِيرَةُ بِاللَّهِ يُشْرِقُ نَوْرُهَا
وَحَلَاتِقُ مَا شَابَهَا مَنْ شَانَهَا
فَلِبَابِ زَيْنِ الدِّينِ أَحْمَدُ فَلْيَسِرْ
هُوَ كَغَبَّةِ الْفَضْلِ الَّذِي قُضَادُهُ
لَمَّا وَرَدَتْ عَلَى كَرِيمِ جَنَابِهِ
لَمَّا وَرَأَيْتُ وَجْهَهَا أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ
أَعْرَضْتُ عَنْ لَهْوِ الْحَدِيثِ وَقُلْتُ يَا

فَأَخُو السِّيَادَةِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
جَبْرُ الْهُمَامِ السَّيِّدُ ابْنُ السَّيِّدِ
فَتَكُونُ قَدْ خَالَفْتَ كُلَّ مُوَحِّدٍ
وَالْحَقُّ مُتَضَيِّحٌ فَهَلْ مِنْ مُهْتَدِيٍّ
بِالْفَضْلِ لَا مَنْ سَادَ غَيْرُ مَسُودٍ
وَالْمَذْهَبُ الْمُخْتَارُ مَذْهَبُ أَحْمَدٍ
وَالْآخِرِينَ وَقَاءَ مَنْ لَمْ يَجْجِدِ
أَوْ أَدَمَ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ
وَرَأَاهُ حَاسِدُهُ بَعَيْنِي أَزْمَدَ
فِي دِينِهِ مِنْ أَمْرِهِ مُتَرَدِّدٍ
شَهِدَ الْمُحَقُّ لَدِينِهِ أَمْ لَمْ يَشْهَدْ
جَاءَتْ مَعَارِفُهُ بِمَا لَمْ نَعْهَدْ
مَنْ حَاوَلَ الْمِيرَاتِ أَوْ قَلْبِي قَعْدَ
وَبَيَانُهُ بَخْرٍ خَضَمَ الْمُزِيدَ^(٢)
وَيُضِيءُ مِثْلَ الْكَوْكَبِ الْمُتَوَقِّدِ
فَأَتَتْ كَمَا الْمُزْنُ فِي قَلْبِ الصَّيْدِيِّ^(٣)
مَنْ كَانَ بِالْأَعْدَارِ غَيْرَ مُقَيَّدِ
قَدْ حَقَّقُوا مِنْهُ بِلُوعِ الْمَقْصِدِ
فَوَرَدَتْ بِخَرِّ الْجُودِ عَذْبُ الْمَوْرِدِ
فَأَضَاءَ مِثْلَ الْكَوْكَبِ الْمُتَوَقِّدِ
مَذَحَ الْوَرَى عَنِّي فَمَا أَنَا مِنْ دَدِ^(٤)

(١) هو زين الدين أحمد حفيد الصاحب بهاء الدين بن حنا، عزله الملك السعيد سنة ٦٧٧ هـ.

(٢) الغضب: القاطع. وفي نسخة: وبيانه البحر الخضم. والخضم: البحر.

(٣) المزن: السحاب، أو ذو الماء. الصدي: العطشان.

(٤) اللد: اللهو واللعب.

وَعَزَمْتُ فِي يَوْمِي عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي
مَذَحُ إِذَا أَعْمَلْتُ فِيهِ مَقُولِي
أَبْقَى لَهُ الذُّكْرُ الْمُخْلَدُ عِلْمُهُ
فَاسْتَنْفَذْتُ بِوَجُودِهِ آمَالَهُ
شَغِفْتُ بِهِ الدُّنْيَا وَآثَرَ أَخْشَاهَا
وَأَتَى عَلَيْهَا جُودُهُ فَكَأَنَّمَا
فَإِذَا أَنْظَرْتُ إِلَى مَقَاصِدِهِ بِهَا
كَلِيفَ بِمَا يَغْنِيهِ مِنْ إِسْعَادِ ذِي الْكَ
يَطْوِي مِنَ التَّقْوَى حَشَاهُ عَلَى الطَّوَى
وَيَغْضُ مِنْ مَغْسُولَتَيْنِ بِدَمْعِهِ
عَوْنٌ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّهُ
وَاسْتَمْطَرَ الْبَرَكَاتِ مِنْ دَعَوَاتِهِ
وَاسْمَعْ لِمَا يُوحَى مِنَ الذُّكْرِ الَّذِي
صَدَرَتْ جَوَاهِرُ لَفْظِهِ مِنْ بَاطِنِ
فَأَرَاكَ يُخْرِجُ الْبَيَانَ مُنْضِجًا
مُتَحَلِّيًا بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي
فَالْقَصُّ مِنْهُ إِذَا أَتَاكَ تَعَدَّدَتْ
قُلْ لِلْإِمَامِ الْمُقْتَدِي بِعُلُومِهِ
يَا مَنْ يُزَاعِي لِلْفَضِيلَةِ حَقًّا
لَمْ تُضْغِ لِلْعُلَمَاءِ إِلَّا مِثْلَمَا
عَجِبْتَ لَزُهُدِكَ فِي الْوِزَارَةِ مَغْشَرُ
مَا ضَرَّ جَبْرًا قَلْدَنَهُ أُنْمَةُ
وَإِذَا سَمَا بِاسْمِ الْعُلُومِ فَلَا تَسَلْ

الْقَاهُ لِي نَفَمِ الذَّخِيرَةِ فِي هُدًى
جَاهَدْتُ عَنْ دِينِ الْهُدَى بِمَهْدٍ
أَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا أَمْرٌ يُبْخَلَدُ
وَاخْتَارَ عِنْدَ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْفَدِ
حُبًّا فَأَوْهَمَ رَغْبَةً بِشَرِّ هُدًى
لَهُوَ أَنَهَا فِي نَفْسِهِ لَمْ تُوجَدِ
أَبَدْتُ إِلَيْكَ حَقِيقَةَ الْمُتَجَرَّبِ
عَاجَاتٍ فِي الزَّمَنِ الْقَلِيلِ الْمُسْعَدِ
وَبَيْتِ سَهْرٍ أُنَامُ قَضِ الْمَرْقَدِ
مَكْحُولَتَيْنِ مِنَ الظَّلَامِ بِإِيمَدِ
أَهْلُ الْغَرِيبِ وَبَيْتُ مَالِ الْمُجْتَدِي ^(١)
حَيْثُ اسْتَقَلَّ سَحَابُ رَاخَتِهِ الثُّدِي ^(٢)
يُشْجِي الْقُلُوبَ لَوَانَهَا مِنْ جَلَمَدِ ^(٣)
صَافِي الثَّقَى مِثْلُ الْحَسَامِ الْمُغْمَدِ ^(٤)
بِيَدِ الْبَلَاغَةِ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَدٍ ^(٥)
يُغْنِي بِهَا حَدِيثَ عَنَاءٍ تَجَلَدِ
مِنْهُ الْمَعَانِي وَهُوَ غَيْرُ مُعَلَدِ
قَدْ فَازَ مَنْ أَضْحَى بِرَأْيِكَ يَفْتَدِي
لِثَلَاذِ الْقُضْلِ لَا لِتَزِيدِ
أَضْعَى سُلَيْمَانَ لِقَوْلِ الْهُدَى
فَأَجَبَتْهُمْ عَجَبًا إِذَا لَمْ يَزْهَدْ
أَنْ لَمْ يَكُنْ لِمَنَاصِبٍ بِمُبْلَدِ
عَنْ حَطِّ نَفْسٍ بِالْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ ^(٦)

(١) المجتدي: طالب الرزق.

(٢) استقل: حمل ورفع.

(٣) الجلمد: الصخر.

(٤) الحسام: السيف.

(٥) المنضد: ما وضع بعضه فوق بعض.

(٦) الأوهد: المنخفض.

مَا الْمَجْدُ إِلَّا حِكْمَةٌ أُولِيَّتُهَا
يَا رُتَبَةً لَا تُرْتَقَى بِسِلَاقِ
خَيْرِ الْمَنَاصِبِ مَا الْعِيُونُ كُلِّيلَةٌ
مَوْلَايَ دُونَكَ مِنْ ثَنَائِي حُلَّةٌ
جَاءَتْ مُسَارِعَةً إِلَيْكَ بِسَاعَةٍ
يَوْمَ اتَّصَلَ بِالْأَحْبَةِ، حَبُّدَا
مَا سِيرَتْ مَا بَيْنَ يَوْمَيْ مِثْلَمَا
يَا حَبُّدَا مَذْخُ لِّالِ مُحَمَّدٍ
إِنَّ الْجَلَالََةَ مُنْذَرُ مَتَّى مَدِيحُكُمْ
فَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَكُمْ سَادَاتِنَا

يَسْخَطُ عَنْهَا قَدْرُ كُلِّ مَمَجْدٍ
وَسِيَادَةُ مَا تُشْتَرَى بِالْفَسْجِدِ^(١)
عَنْهُ وَمَا الْإِيْدِي لَهُ لَمْ تُفْجِدِ^(٢)
تُبْلِي مِنْ الْأَيَّامِ كُلِّ مُجْدٍ
سَعِدَتْ مُطَالَعَةُ وَإِنْ لَمْ تُرْصِدِ
يَوْمَ بِهِ انْقَطَعَتْ قُلُوبُ الْخُجْدِ
قَدْ سُرَّ فِيهِ أَحْمَدُ بِي مُحَمَّدٍ
دُونَ الثُّغْرُلِ فِي غَزَالِ أَغْيَدِ^(٣)
لَمْ تُرْضَ لِي ذِكْرُ الْجِسَانِ الْخُرْدِ^(٤)
جَمَعَ السَّلَامَةَ فِي نَعِيمِ سِرْمَدِ^(٥)

وقال لما مدح اليهود وذم النصارى، وسيأتي ذكرها في حرف الراء، وهذه
النصارى، فالزموه فكتب: [مخلع البسيط]

ما للنصارى

مَا لِلنَّصَارَى بِي ذَنْبٌ وَإِنَّمَا الذَّنْبُ لِلْيَهُودِ
وَكَيْفَ تَفْضِيلُهُمْ وَفِيهِمْ سِرُّ الْخَنَازِيرِ وَالْقُرُودِ

وقال^(٦) في المركب التي فوق الإمام الشافعي: [الطويل]

قبة الشافعي

بِقُبَّةِ قَبْرِ الشَّافِعِيِّ سَفِينَةٌ رَمَتْ مِنْ بِنَاءٍ مُحْكَمٍ فَوْقَ جُلُودِ^(٧)

(١) القسجد: الذهب.

(٢) كُلُّ: نَبَا، وَكُلُّ بَصْرُهُ إِذَا ضَعُفَ.

(٣) الْأَغْيَدُ: النَّاعِمُ، الْمَائِلُ الْعُنُقُ الْوَسَنَانُ.

(٤) الْخُرْدُ: جَمْعُ الْخُرْدَةِ: الْبَكْرُ الَّتِي لَمْ تُمَسَّ.

(٥) السِّرْمَدِي: الدَّائِمُ.

(٦) كِتَابُ الْمُقْنَى لِلْمَقْرِئِي: ٧٦٦/٣.

(٧) الشافعي: محمد بن إدريس المتوفى سنة ٢٠٤هـ. الجلود: الحجر الصلب.

وَمُذْ غَاضَ طُوفَانُ الْعُلُومِ بِمَوْتِهِ اشْتَوَى الْفُلُكُ فِي ذَاكَ الضَّرِيحِ عَلَى الْجُودِيِّ^(١)

قافية الراء

وقال يمدح بها علي بن الصاحب^(٢): [الخفيف]

كم هداانا

حَيُّ بُلْبَيْسٍ مَنَزِلًا فِي الْعِمَارَةِ
فَالْبَيْتَاتِ فَالْحِرَازِ قُتُبَتِي
وَإِذَا جِئْتَ حَاجِرًا بَيْنَ بُلْبَيْسٍ
فَارْجِعِ السَّيْرَ بَيْنَ بِنَاهَا وَأَتِ
وَإِذَا مَا خَطَرْتُ مِنْ جَانِبِ الرُّفِ
وَشَمْتِدِيلٍ وَهِيَ مَنَزِلَةُ الْجِنِ
خَلَّنِي مِنْ هَوَى الْبِدَاوَةِ إِنِّي
وَاقِرُ تِلْكَ الْقُرَى السَّلَامِ فَإِنْ أَعَدَّ
إِنْ قَلْبِي أَضْحَى إِلَى سَاكِنِيهَا
أَذْكُرُ ثَنَا عَيْشًا قَدِيمًا نَزَعْنَا
وَزَمَانًا فِي الْحُسْنِ وَجْهَ عَلِيٍّ
صَاحِبَ لَا يَزَالُ بِالْجُودِ وَالْإِفِّ
كَمْ هَدَانَا مِنْ فَضْلِهِ بِكِتَابٍ
وَجْهَهُ مُسْفِرٌ لِعَافِيهِ مَا نَحْتَاجُ
يَدَهُ رُقْعَةَ الصُّبْحِ فَمَا أَعَدَّ
بِذِكْرِ الْوَعْدِ فِي أُمُورٍ وَلَا يَذْ
إِنَّمَا يَذْكُرُ الْعَطِيَّةَ مَنْ كَا

وَتَوَجَّهَ تَلَقَّاءُ بِشْرِ عِمَارَةٍ
تَفْشِيرُ الْبَيْتِومِ فَالْخُمَارِ^(٣)
مِنْ وَقْلِيوبٍ مِنْ خَرَابِ قَزَارِهِ
رَيْبٍ وَكُلِّ لَشَاطِيءِ الْبَحْرِ جَارِهِ
لِي بِفَاقُوسٍ فَاقْصِدِ الْخَطَارَ
مِنْ وَسْغَدَانَةٍ مَحَلِّ غَرَارِهِ
لَسْتُ أَهْوَى إِلَّا أَجْمَالَ الْخَضَارِ
يَشْكُ مِنْهَا عِبَارَةٌ فَبِإِشَارَةِ
بِاشْتِيَاقٍ وَمُتَهَجِّتِي مُسْتَطَارِهِ
هَلْ بَسَاكَ الْحَلَّةُ الْمُسْتَعَارِ
ذَابَهَا وَيَنْهَجَّةً وَنَضَارِهِ
ضَالٍ طَلَّقَ الْيَدَيْنِ حُلُومَ الْعِبَارِ
مُفْجِرٍ مِنْ عُلُومِهِ بِأَثَارِهِ
فِي الْجُودِ عِنْدَهُ لِسَفَارَةِ^(٤)
رَيْهَامٍ مِنْ سَلَامَةٍ وَطَهَارَةِ
كُرْجَدُوى وَلَوْ بِكُلِّ إِمَارَةِ
نَتَّعَطَايَاهُ تَارَةً بِمَعْدَتَارِهِ

(١) الجودي: اسم جبل بالعراق، يُقال إن سفينة نوح رست عليه بعد الطوفان.

(٢) هو الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن جثا.

(٣) البتيات، والحراز، وتبتيت: مواضع بمصر، وكذلك شبرا، والبيوم، والخمار، وتليب وقلوب، وبنها، وفاقوس.

(٤) العافي: طالب الرزق.

سَيِّدِي أَنْتَ تُصَرِّتِي كُلَّمَا شِئْتُ
شَابَ رَأْسِي وَمَا زَانَتْ كَانِي
وَإِبْنُ عِمْرَانَ وَهُوَ شَرُّ مَتَاعٍ
حَسَنَ الْقُرْبُ مِنْكُمْ قُبْحَ ذِكْرًا
فَهُوَ فِي الْمَذْحِ قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابِي
مَالَهُ مِيزَةٌ عَلَيَّ سِوَى أَنْ
وَعِيَاظُ تَذْوَى الدَّوَاوِينِ مِنْهُ
يَتَجَنَّبُنِي بِسُوءِ خُلُقِي عَلَى النَّاسِ
لَمْ تُهَذِّبْهُ كُلُّ قَاصِرَةِ الطُّ
وَإِبْنُ يَغْمُورٍ إِذْ كَسَاهُ مِنَ الْـ
طَبَعَتْ رَأْسَهُ دَمًا وَبَسَاطِي
وَسَلِيمَانُ كُلَّمَا قَرَعَ الْقَرْزُ
وَقَعَاتُ ثَنَسِي الْمُؤَرَّخِ مَا كَا
إِنْ جَهَلْتُمْ مَا حَلَّ فِي سَاحِلِ الشَّيْخِ
قَالَتِ الْبَغْلَةُ الَّتِي أَوْقَعَتْهُ
إِنْ هَذَا شَيْخٌ لَهُ بِجَوَارِيهِ
قُلْتُ لَا تَفْتَرِي عَلَى الشَّاعِرِ الْفَقْدِ
لَوْ أَنَّهُ فِي عَزِيهِ شَطْرُ قَسِ
قُلْتُ هَذَا شَاذُ الدَّوَاوِينِ، قَالَتْ
قُلْتُ ذِي غَيْرَةِ الْأُبَيْرَةِ أَلَا
قَالَتْ أَقْوَى وَكَيْفَ أَغْيَرُمْنِي

عَلَيَّ الزُّمَانُ بِالْفَقْرِ غَارَهُ
زَامِرُ الْحَيِّ أَوْ صَغِيرُ الْحَارَةِ (١)
لِلوَرَى فِي بَطَانَةٍ وَظَهَارَهُ (٢)
هُكَّتْ خَسِينِ الْمِسْكِ ذِكْرُ الْفَارِهِ
وَهُوَ فِي الْهَجْرِ مِنْ زِنَادِي شَرَارَهُ
لَهُ بَغْلَةٌ وَمَالِي جَمَارَهُ
لَا بِمَعْنَى كَأَنَّهُ طِنْجِي هَارَهُ
سِ وَنَفْسٍ ظَلُومَةٍ كَفَارَهُ
رَفِ اجَادَتْ بِأَخْذِ عَيْنِهِ الْقَصَارَهُ (٣)
مُدْرَةٌ دِرْعَاكَ كَأَنَّهُ غَفَارَهُ (٤)
جِلْدَةٌ أَوْ حَسِبَتْهُ جُلْنَارَهُ (٥)
عَةً طُنْتُ كَأَنَّهُ نَقَارَهُ
نَ مِنْ سُنْبِسٍ وَمِنْ زُنَارَهُ
مِنْ الصَّفْحِ فَاسْأَلُوا الْبَحَّارَهُ
أَنَا مَالِي عَلَى الْعُبُونِ مَرَارَهُ
مَعَ النَّاسِ كُلِّ يَوْمٍ صِهَارَهُ
بِهِ، قَالَتْ: سَلِ الْفَقِيهَ عُمَارَهُ
لِرَأْيِ الْبَيْعِ رَجَلَةٌ وَشَطَارَهُ
مَا أُولِي هَذَا عَلَى الْخَرَّارِهِ (٦)
تَشْتَهِي أَنْ تُفَارِقَ الْأَبَّارَهُ (٧)
عِنْدَ شَيْخٍ كُلِّ بَغِيرِ زَبَارَهُ

(١) إشارة إلى قولهم: زامر الحي لا يطرب، ويريد أن حاله لم تتغير.

(٢) ابن عمران: ناظر الشرقية في زمن البوصيري، وقد فصل البوصيري من وظيفته فعرض به.
الورى: الخلق.

(٣) الأخدعان: عرقان في المحجنتين.

(٤) الذرع: القميص والذرة التي يضرب بها.

(٥) الجلنار: زهر الرمان.

(٦) الخزارة: اسم قرية بمصر.

(٧) الأبارة: بائعة الإبر.

قُلْتُ: مَا تَكْرَهِينَ مِنْهُ؟ فَقَالَتْ
أَنَا فِي الْبَيْتِ أَشْتَهِي كَفَّ تَبْنٍ
وَعَلِي قِي عَلَيْهِ أَزْخَصُ مِنْ مَا
سَرَقَ النُّصْفَ وَاشْتَرَى النُّصْفَ بِالنُّصْفِ
لَا تَلُومُوا إِذَا وَقَعْتُ مِنَ الْجُودِ
مَا كَفَّاهُ مِنَ الطُّوْافِ بِبُلْبَنِ
أَهٍ مِنْ ضَمِيمَتِي وَمَا ذَاكَ إِلَّا
أَكْمَلْتُ خَلْقَتِي وَشَيْبِي وَمَالِي
أَيُّ شَيْءٍ رِيَّةَ أَلْدُوطَاءِ
غَيْرَ تَنِي بِهَا يَغَالُ الطَّوْاحِي
دُرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ عِنْدَ الْمَنَاجِي
وَلَقَدْ أَنَذَرْتُه فَرَأَيْتُهُ
وَقَوَّافِي لَيْسَ فِيهَا صِقَالُ
كُلِّ عَذْرَاءٍ مَا تَرُدُّ مِنَ الْكُ
سِرْنَ مِنْ حُسْنِيهِنَّ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ
لَنْ يَصِيدَهُنَّ النَّوَالُ مِنْ بَحْرِ فِكْرِي
غَيْرَ أَنِّي أَغْدَدْتُهَا لِحَايَا
أَوْلَمْ تَذَرِ أَنْ مَذَحَ عَلَيَّ

أَيُّ بُخْلٍ فِيهِ وَأَيُّ قَتَارَةٍ (١)
وَمِنْ الْفَرْطِ أَشْتَهِي نُؤَارَهُ (٢)
لِ الْمَوَارِيثِ فِي شِرَابِ بْنِ جُبَارِهِ
فَبِ وَأَفْتَى بِأَنْ هَذَا تَجَارِهِ
عَفَا نِي مِنَ الْخَوَى خَوَارَهُ (٣)
سَ إِلَى أَنْ يَطُوفَ بِي السَّيَّارَهُ
أَنْ مَالِي عَلَى الْغُبُونِ مَرَارَهُ
فِي حُجُورِ أَخْتٍ وَلَا فِي مِهَارِهِ (٤)
مِنْ رُكُوبِي وَأَيْمَاشِبَارِهِ
نَ، وَقَالَتْ تَمَثَّ عَلَيْكَ الْعِيَارَهُ
سَ فِيَا لَيْسَتْ أَنَّنِي دَوَارَهُ
جَاهِلِيًّا لَمْ تُغْنِ فِيهِ النُّذَارَةُ (٥)
مِنْ نَدَى لَا، وَلَيْسَ فِيهَا زَفَارَهُ (٦)
فَبِ بِعَيْنِي وَلَا زَوَالِ بَكَارِهِ
بِ فَكُنَّ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَهُ
أَوْ يَضْطَاذُ الدُّرُوبَ السُّنَّارَهُ؟
وَدُّنُوبِ أَشْلَفْتُهَا كَفَّارَهُ
مِثْلُ حَبْجٍ وَعُمْرَةٍ وَزِيَارَهُ

* * *

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الْمُؤَمِّلُ أَدْعُو
أَثَقَلْتُ ظَهْرِي الْعِيَالُ وَقَدْ كُنْتُ

لَكَ دُعَاءُ اسْتَغَاثَةٍ وَاسْتِجَارَةٍ
بِتُزْمَانِهِمْ خَفِيفَ الْكَارَةِ (٧)

(١) قَتَارَةٌ: رَائِحَةٌ.

(٢) النَّوَارُ: الزَّهْرُ، أَوْ الْأَبْيَضُ مِنْهُ.

(٣) الْخَوَى: خَلَرُ الْجُوفِ مِنَ الطَّعَامِ.

(٤) مِهَارٌ: جَمْعُ مِهْرٍ.

(٥) النُّذَارَةُ: الْإِنْدَارُ.

(٦) صِقَالٌ: مَصْقُولَةٌ.

(٧) خَفِيفَ الْكَارَةِ أَيُّ: خَفِيفَ الْحَمْلِ.

وَلَوَ أَنِّي وَخَدِي لَكُنْتُ مُرِيدًا
 أَحْسَبُ الزُّهْدَ هَيْئًا وَهُوَ حَزْبٌ
 لَا تَكْلُمَنِي إِلَى سِوَاكَ فَأَخِيَا
 وَوُجُوهُ الْقُصَاةِ فِيهِ حَدِيدٌ
 فَلِذَا فَارَزَكَفْ خُرْبِيرٌ
 إِنَّ بَيْتِي يَقُولُ قَدْ طَالَ عَهْدِي
 وَطَعَامُ قَدْ كَانَ يَغْهَدُهُ النَّاسُ
 فَالْكُورَانِيُّنَ مَا تَعَابُ مِنَ الْبَزْ
 لَا بِسَاطٍ وَلَا خَصِيرٍ بِدَهْلِي
 لَيْسَ ذَا حَالٍ مَنْ يُرِيدُ حَيَاةً
 قُلْتُ إِنَّ الْوَزِيرَ أَسْكَنَ غَيْرِي
 قَبْلَ إِنَّ الْوَزِيرَ لَنْ يَقْصِدَ الْفَسْدَ
 أَسْقَطْتَهُ مِنْ ظَهْرِ نَافَاؤُنَا
 ثُمَّ شَدُّهُ بِالْإِزَارِ فَخَلْنَا
 لَمْ يُفْضَلْ عَلَيْكَ غَيْرُكَ لَكِنْ
 فَسَاغِدُوبِهِ سَعِيدًا كَأَنِّي
 وَتَشْوِقُ الْأَضْيَافَ فِي بَادِئِ نَجْجٍ
 إِنَّ بَيْتًا يَغْشَاهُ كُلُّ فِقْرِ
 صَرَفَ اللَّهُ السُّوءَ عَنْهُ وَأَتَا

فِي رِبَاطٍ أَوْ عَابِدًا فِي مَغَارَةٍ (١)
 لَسْتُ فِيهِ وَلَا مِنْ النُّظَارَةِ
 زُرْمَانِي لَا يَمْنَحُونُ خِيَارَهُ
 وَقُلُوبُ الْأَجْوَادِ فِيهِ حِجَارَهُ
 فَهَوِ إِمَّا يَنْقُضُهُ أَوْ نَشَارَهُ
 بِدُخُولِ الثَّلَاثِينَ لِي وَالشُّكَارَهُ
 سُنْ مَتَاعًا لَهُمْ وَلَيْسَ يَارَهُ
 دِي طَبَّاحَةٍ وَلَا شُكَّارَهُ
 نَزِي وَلَا مَجْلِسِي وَلَا طِيَارَهُ (٢)
 لِعِيَالٍ وَلَا لِبَيْتٍ عَمَارَهُ
 فِي مَكَانِي وَلِي عَلَيْهِ إِجَارَهُ
 خُ، قَلِمَ لَا رَاجَعَتْ فِي الْخَرَارَةِ (٣)
 جَيْبُهُ لَا زِمَالِ بَطْنِ الْمَحَارَهُ
 هُ الْخِيَالِي مِنْ وَرَاءِ السُّتَارَهُ
 عَطَايَاهُ كَالْكُرُوسِ الْمُدَارَهُ
 لَا غَيْدَالِ الرَّبِيعِ لِلشَّمْسِ دَارَهُ
 مِنْ بَعِيدٍ قُرُونُهُ كَالْمَنَارَهُ
 مِنْ عَلِيٍّ فِي ذِمَّةٍ وَخِفَارَهُ (٤)
 هُ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلَامَا اخْتَارَهُ

وقال يمدح أَيْدُمُ عَزَّ الدِّين (٥)، ويعزيه فِي سَيْفِ الدِّين: [البسيط]

(١) المُرِيد: من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته. وفي الشطر الأول خلل عروضي.

(٢) الدَّهْلِي: ما بين الباب والدار.

(٣) الْخَرَارَةُ: اسم قرية من قرى الشرقية بمصر.

(٤) الْخِفَارَةُ: الإجارة والمنع.

(٥) هو السلطان عز الدين أيبك بن عبد الله الصالح النجمي المعروف بالتركماني، أول ملوك الترك بالديار المصرية. تولى السلطنة سنة ٦٤٨هـ. وقتل سنة ٦٥٥هـ. وسيف الدين أبو الحسن بن أبي الفوارس بن موسك القيصري، من أكابر الأمراء.

لله درك عز الدين

قد خسر بالفضل قطليجا وأيدمُر
 يخرانلو جاد بخر مثل جودهما
 هذرك عز السنين ليس وعسى
 ألقى الإله على الدنيا مهابة
 لو شئنا فضل شمس الدين مثقلا
 إن تحبي آثاره من بعدما درست
 وإن تكُن أنت خير الوارثين له
 وإن تكُن في العلا والفضل تخلفه
 أخرجلت بالجلم سادات الزمان فلم
 ولم تزل تستر الغيب الذي كشفوا
 لو أن السيرة الأيام ناطقة
 شرعت للناس طرقا ما بها عجز
 لو يستقيم عليها السالكون بها
 أكرم بأيدمُر الشفيعي من بطل
 تخاف منه وتزجوه كما فعلت
 معنى الوجود الذي قام الوجود به
 بناءه من نداء الغيث منسكب
 نهته عن لذو اللذ انزافته
 وليس يضجره قول ولا عمل
 يغيب ويضيق في تدبير مملكة
 يكفيه حمل الأمانات التي عرضت
 خاف الإله فخافته رعيته

وطاب منه ومنك الأضل والشمر
 بيعت بأزخص من أضدا فيها اللز
 له من البيض ناب والقناظفر
 فالبيض تزعد خوفه منه والشمر^(١)
 إليك منه وصح الخبر والخبر
 فإتاك النبل تخبي الأرض والمطر
 فما ينار عك في ميراية بشر
 فالشمس يخلقها إن غابت القمر
 يغفوا كمفورك عن قتب إذا قدروا
 ولم تزل تجبر العظم الذي كسروا
 أثنت على فضلك الأصل والبكر^(٢)
 يخاف سالكها فيها ولا يجبر^(٣)
 كما أمرت مشيت مشي المها الحمر
 بذكره في الوعى الأبطال تفتخر
 في قلب سامعها الآيات والصور
 وهل يغير المعاني قامت الصور؟
 وسيفه من سطاء النار تستعير
 وشرذم النوم من أجفانه الشهر
 وكيف يذكرك من لا يشعب الضجر
 أعين الخلائق فيها بعض ما يزر
 على الجبال فكاذت منه تنقطر^(٤)
 والمرة تجزى بما يأتي وما يذر

(١) البيض: يعني السيف. والشمر: أي الرماح.

(٢) الأصل: جمع الأصل: ما قبل الغروب، العشي. بكر: جمع بكرة: غلة.

(٣) الفجر: جمع الفجرة وهي موضع الفجر والمقلة في الغيبة ونحوها. والفجر والبجر: العيب

والأحزان. والبجرة في الأصل: الشزة، والمقلة في البطن والوجه.

(٤) تنقطر: تشقق.

واختارُهُ مَلِكُ الدُّنْيَا لِيُخْبِرَهُ
فَطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْ أَهْلِ الْفَسَادِ فَلَا
وَدَّ بَرُّ الْمُلْكِ تَذْبِيرًا يُقْصَرُ عَنْ
وَحِينَ طَارَتْ إِلَى الْأَعْدَاءِ سُمْفَتُهُ
فَمَا يُبَالِي بِأَعْدَاءِ قُلُوبِهِمْ
وَكُلَّ أَرْضٍ ذَكَرْنَاهُ بِهَا غَنِيَّتٌ
فَلَوْ تَجَرَّدُ مِنْ مِصْرٍ عِزَائِمُهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ تَرَى الْقَتْلَى بِصَارِمِهِ
كَأَنَّ صَارِمَهُ فِي كُلِّ مُفْتَرِكٍ
شُكْرَالِهِ مِنْ وَلِيِّ فِي وَلَا يَتِيهِ
عَمُّ الرِّعِيَّةِ وَالْأَجْنَادَ مَغْدَلَةٌ
وَسَرَّ أَسْمَاعُهُمْ مِنْهُ وَأَغْيُنُهُمْ
تَأْرَجَتْ عَنْ تَظْيِيرِ الْمِسْكِ نَظَرَتُهُ
مِنْ مَغْشَرٍ فِي الْعَلَا وَقَوَامُهُ وَدَهُمْ
تُرِكَ تَزَيَّنَتْ الدُّنْيَا بِذِكْرِهِمْ
حَكَّتْ ظَوَاهِرُهُمْ حُسْنًا بَوَاطِنُهُمْ
بِيضُ الْوَجْهِ يَجُنُّ اللَّيْلُ إِنْ رَكِبُوا
تَسْعَى لِأَبْوَابِهِمْ قُصَادُ مَا لَهُمْ
تَسَابَقُوا فِي الْعَلَا سَبَقَ الْجِيَالُ لَهُمْ
وَكُلُّ شَيْءٍ سَمِغْنًا مِنْ مَنَاقِبِهِمْ
مَوْلَى تَلَدْنَا أَخْبَارَ سُودْدِهِ
فَلَوْ أَدَارَتْ سُقَاةُ الرِّاحِ سِيرَتَهُ
يَا حُسْنَ مَا يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَيُنْفِقُهَا
لِكُلِّ شَرْطٍ جَزَاءٌ مِنْ مَكَارِمِهِ

فِي مُلْكِهِ وَهُوَ مُخْتَارٌ وَمُخْتَبَرٌ
غَيْنٌ لَهُمْ بَقِيَّتٌ فِيهَا وَلَا أَثَرُ
إِذْ رَأَى أَيْسَرَهُ الْأَفْهَامُ وَالْفِكَرُ
مَاتَ الْفَرْنَجُ بِدَاءِ الْخَوْفِ وَالتَّشَرُّ (١)
فِيهَا تَمَكَّنَ مِنْهُ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ
عَنْ أَنْ يُجَرَّدَ فِيهَا الصَّارِمُ الذَّكْرُ
إِلَى الْعِدَا بَطَلَ الْبَيْكَارُ وَالسَّقَرُ
كَأَنَّمَا نَجَرَتْ فِي مَوْسِمِ جُزُرٍ
تَذِيرُ مَوْتٍ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ النُّذُرُ
مَعْنَى كَرَامَتِهِ لِلنَّاسِ مُشْتَهَرُ
فَمَا شَكَاتُ فَرَامِنْ عَدْلِهِ نَقَرُ
وَجْهٌ جَمِيلٌ وَذِكْرُ طَيِّبٍ عَطَرُ
كَمَا تَأْرَجُ عَنْ أَكْمَامِهِ الزُّهْرُ (٢)
وَلَيْسَ مِنْ مَغْشَرٍ خَائِبٍ وَلَا غَدْرٍ
فَهُمْ لَهَا الْحَلِيُّ إِنْ غَابُوا وَإِنْ حَضَرُوا
فَهُمْ سَوَاءٌ أَسْرُوا وَالْقَوْلُ أَوْ جَهَرُوا
إِلَى الْوَعَى وَيُضِيءُ الصُّبْحُ إِنْ سَفَرُوا
وَجَاهِهِمْ زُمَرًا فِي إِثْرِهَا زَمَرُ
مِنْ الشَّنَاءِ الْحُجُولُ الْبَيْضُ وَالْفُرَرُ (٣)
فَمِنْ مَنَاقِبِ عِزِّ الدِّينِ مُخْتَصَرُ
كَأَنَّ أَخْبَارَهُ مِنْ حُسْنِهَا سَمَرُ
عَلَى النَّدَامَى وَحَيُّوهُمْ بِهَا سَكِرُوا
كَالْبَحْرِ يَحْسُنُ مِنْهُ الْوَرْدُ وَالصُّدْرُ (٤)
وَكُلُّ مُبْتَدَأٍ مِنْهَا لَهُ خَبَرُ

(١) الفرنج: يعني الصليبيين. والتتر: المغول القادمين من أواسط آسيا.

(٢) الأراج: تومج ربيع الطيب.

(٣) الحجول: جمع الحجل: البياض في قوائم الفرس. الفرر: جمع الفررة: البياض في الجبهة.

(٤) الورد: الإشراف على الماء. الصدر: الرجوع عن مورد الماء.

فَمَا نَظَمْتُ مَدِيحًا فِيهِ مُبْتَكَرًا
صَلَقْتُ فِي مَدْحِهِ فَاذْدَادَ رَوْقُهُ
أَعْنَتْ عَطَايَاهُ فَقَرَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ
لِذَاكَ أَثْنَوْا عَلَيْهِ بِالَّذِي عَلِمُوا
قَالُوا وَجَدْنَاهُ مِثْلَ الْكَرَمِ فِي كَرَمٍ
وَمَا يَزَالُ يُعِينُ الطَّائِعِينَ إِذَا
وَمَنْ أَعَانَ أُولِي الطَّاعَاتِ شَارَكَهُمْ
فَمَا أَتَى النَّاسُ مِنْ قَرْضٍ وَمِنْ سُتْنٍ
فَحَجَّ وَهُوَ مُقِيمٌ وَالْحِجَابُ بِهِ
وَجَاءَ هَدَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طَائِفَةٌ
وَأَطَعَمَ الصَّائِمِينَ الْجَائِعِينَ وَمِنْ
وَلَمْ تَفُتْهُ مِنَ الْأَوْدَانِ شَيْئَةً
يَطْوِي النَّهَارَ صِيَامًا وَهُوَ مُضْطَرِمٌّ
وَمَالُهُ فِي زَكَاةٍ كُلُّهُ تُصَبَّبُ
أَعْمَالُهُ كُلُّهَا لِلَّهِ خَالِصَةً
كَمْ عَادَ بَغْيِي عَلَى قَوْمٍ عَلَيْهِ بَغْوًا
لَمْ يَخَفْ عَنْ عِلْمِهِ فِي الْأَرْضِ خَافِيَةً
فَلَا يَظُنُّ مُرِيبٌ مِنْ جِهَالَتِهِ
عَصَتْ عَلَيْهِ أَنْاسٌ لَا خَلَا لَهُمْ
تَلَّثُمُوا ثَمَّ قَالُوا: إِنَّا عَرَبٌ
وَلَا غُهُودَ لَكُمْ تُزْعَى وَلَا ذِمَّةَ
وَأَيُّ بَرِّيَّةٍ فِيهَا بُيُوتُكُمْ
وَلَيْسَ يُنْجِي أَمْرًا أَمْوًا أَدِيَّتَهُ
يَشْكُو جَمِيعُ بَنِي الدُّنْيَا أَدِيَّتَهُمْ
يَرْزُونَ كُلَّ قَبِيحٍ مِنْهُمْ حَسَنًا
مِنْ لُؤْمٍ أَحْسَابِهِمْ إِنْ شَاتُمُوا رِيحُوا

(١) القتر: الغيرة.

(٢) لا خلاق لهم، يعني لا ينالهم خير. الخلاق: الخير.

إِلَّا أَنَا نِي جُودَ مِنْهُ مُبْتَكَرُ
فَمَا عَلَى وَجْهِهِ مِنْ رِيبةٍ قَتَرُ^(١)
فَسَلُّهُمْ عَنْهُ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُرُوا
خَيْرَ أَفِيَا حَسَنَ مَا أَثْنَوْا وَمَا شَكُرُوا
يَفِيءُ مِنْهُ عَلَيْنَا الظِّلُّ وَالشَّمْسُ
تَطْوِغُوا بِجَمِيلٍ، أَوْ إِذَا نَذَرُوا
فِي أَجْرِ مَا حَضَرُوا مِنْهُ وَمَا تَجَرُّوا
فَفِي صَحِيفَتِهِ الْغُرَاءُ مُسْتَظَرُّ
قَوْمٌ يُقِيمُونَ لَا حُجُوءَ وَلَا اغْتِمَرُوا
وَخَيْلُهَا مِنْهُ وَالْهِنْدِيَّةُ الْبُشُرُ
قَرِطُ الْخَصَاصَةِ فِي أَكْبَادِهِمْ سُغُرُ
فِي لَيْلَةٍ قَامَ يُخَيِّبُهَا وَلَا سَحَرُ
وَاللَّيْلُ يَطْوِي قِيَامًا وَهُوَ مُغْتَكِرُ
لَا الْخُمْسُ فِيهِ لَهُ ذِكْرٌ وَلَا الْعُشْرُ
وَتُضْحَهُ لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَذَرُ
وَحَاقَ مَكْرِبًا قَوْمًا بِهِ مَكْرُوءًا
كَأَنَّهُ لِلْوُجُودِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
بِأَنَّ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ عَنْهُ يَسْتَتِيرُ
الشُّؤْمُ شَيْمَتُهُمْ وَاللُّؤْمُ وَالذَّبَرُ^(٢)
فَقُلْتُ لَا عَرَبَ أَنْتُمْ وَلَا حَضَرُ
وَلَا بُيُوتَكُمْ شَعْرٌ وَلَا وَبَرُ
وَهَلْ هِيَ الشَّعْرُ قَوْلُوا لِي أَمْ الْمَدْرُ؟
مِنْهُمْ فِرَارٌ قَلِيلٌ كَلَّا وَلَا وَزَرُ
فَهُمْ يَطْرُقُهُمُ الْأَحْجَارُ وَالْحُفَرُ
وَلَمْ يُبَالُوا أَلَا مِ النَّاسُ أَمْ عَذَرُوا؟
وَمِنْ حَقَارَتِهِمْ إِنْ قَاتَلُوا خَسِرُوا

لَمَّا عَلِمْتَ بَأَن الرُّفُقَ أَبْطَرَهُمْ
 وَجَرَّتْهُمْ بِعَقُوبَاتٍ مُنَوَّعَةٍ
 كَأَنَّهُمْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ أَنَّهُمْ
 قَمْعَشَرَرُ كِبُورِ الْأَوْتَادِ فَانْقَطَعَتْ
 وَمَعَشَرُ قُطْعَتِ أَوْصَالِهِمْ قِطْعًا
 وَمَعَشَرُ بِالْظُّبَا طَارَتْ رُؤُوسُهُمْ
 وَمَعَشَرُ وَسْطُوا مِثْلَ الدَّلَائِلِ وَلَمْ
 وَمَعَشَرُ سَمُّوا فَوْقَ الْجِيَادِ وَقَدْ
 وَآخَرُونَ قَدَّوْا بِالْمَالِ أَنْفُسَهُمْ
 مَوَاتٍ سَوَاءٍ تَلَقَّوْهَا بِمَا صَنَعُوا
 وَقَدْ نَادَبَتِ الْمُسْتَخْدَمُونَ بِهِمْ
 فَعَفَّ كُلُّ ابْنِ أَنْثَى عَنْ خِيَانَتِهِ
 إِنْ كَانَ قَدْ صَلَحَتْ مِنْ بَغْدٍ مَا فَسَدَتْ
 لَوْلَا كَمَا عَدَلُوا مِنْ بَغْدٍ جَوْرُهُمْ
 وَلَا شَكَرَتْهُمْ مِنْ بَغْدٍ ذَمُّهُمْ
 وَكُنْتُ وَصِيَّتُهُمْ أَنْ يَحْذَرُوا كَمَا
 وَقُلْتُ لَا تَقْرَبُوا مَا لَا حَوْتَ يَدُهُ
 وَحَاذِرُوا مَعَهُ أَنْ تَكُونَ جُورًا
 وَلَا تَصْدُوا لِمَالٍ يَرْضُ خَاطِرُهُ
 فَبَانَ نُضْجِي لَهُمْ إِذْ مَاتَ نَاطِرُهُمْ
 مُقَدَّمَاتٍ: أَمَاتَاهُ وَأَقْبَرَهُ
 وَجَرَّ سَوْءَهُ عَلَى النُّعْشِ الَّذِي حَمَلُوا

وَالْمُفْسِدُونَ إِذَا أَكْرَمْتَهُمْ بِطَرُوقِ
 وَفِي الْعَقُوبَاتِ لِلطَّائِفِينَ مُزْدَجَرُ
 لَا يَشْرِكُونَ الْأَذَى إِلَّا إِذَا قَهَرُوا
 أَمَّاؤُهُمْ فَتَمَنَّوْا أَنَّهُمْ تُجَرُّوا
 فَمَا يُلْفِقُهَا خَيْطٌ وَلَا إِيرُ^(١)
 عَنِ الْجَسُومِ فَقُلْنَا إِنَّهَا أَكْرُ^(٢)
 تُزَيِّطُ حَبَالُ بِهَا يَوْمًا وَلَا بَكْرُ^(٣)
 شَدَّتْ جُسُومُهُمُ الْأَلْوَاخُ وَالْدُسُرُ^(٤)
 وَقَالَتِ النَّاسُ خَيْرٌ مِنْ عَمِي عَوْرُ
 وَمِنْ وَرَاءِ تَلَقَّيْهِمْ لَهَا سَقَرُ
 وَالْغَافِلُونَ إِذَا مَا ذَكَّرُوا وَادَّكَّرُوا
 فَلَمْ يَخُنْ نَفْسَهُ أَنْثَى وَلَا ذَكَرُ
 أَحْوَالُهُمْ بِكَ إِنْ الْكَسْرَ يَنْجَبِرُ
 عَلَى الرُّعَايَا وَلَا عَقُورًا وَلَا انْحَصَرُوا
 كَأَنَّهُمْ آمَنُوا مِنْ بَغْدٍ مَا كَفَرُوا
 وَصَّى الْحَكِيمُ بَنِيهِ وَهُوَ مُخْتَضِرُ
 فَالْقَحْ يَهْرُبُ مِنْهُ الطَّائِرُ الْحَذِرُ
 فَلَيْسَ يُخَمِّدُ مَنْ مَزَكُوبُهُ الْغَرَرُ^(٥)
 إِنْ التَّصَدَّى لِمَالٍ يَرْضُهُ خَطَرُ
 وَقَدْ بَدَتْ لِلْوَرَى فِي مَوْتِهِ عِبَرُ^(٦)
 مَشَاعِلِيَّانِ مَا أَدْرَا وَلَا نَصَرُوا
 مِنَ الْفِرَاشِ إِلَى الْقَبْرِ الَّذِي حَفَرُوا^(٧)

(١) يلفقها: يضم شقة إلى أخرى.

(٢) الظُّبَا: جمع الظُّبَّة: حد السيف.

(٣) وَسْطُهُ: قطعه نصفين.

(٤) الدُّسُرُ: جمع الدُّسَار: خيط ليف تُشد به ألواح السفينة.

(٥) الْغَرَرُ: التعرض للهلكة.

(٦) الْوَرَى: الخلق.

(٧) جَرَّ سَوْءَهُ: تكلموا عنه.

يَأْسُوهُ مَا قَرَّءُوا مِنْ كُلِّ مَخْزِيَةٍ
وَكَبُرُوا بِغَدَّتْ ضَغِيرِ جَرَائِمِهِ
وَكَانَ جَمْعُ أَمْوَالِهِمَا وَعَدَّدَهَا
فَأَذْنَتْ بِزَوَالِ عَنْهُ مُسْرِعَةً
وَرَأَى مِنْ خِدْمَةِ صِغَرِ الْيَدَيْنِ فَقُلَّ
مَا عَدَّ مَا شَرَّ مَشَى بِالظُّلَمِ فِي طَرِيقِ
إِذَا تَفَكَّرَتْ فِي الْمُسْتَحْدِمِينَ بَدَأَ
ظَنُّهُمْ عَمَرُوا الدُّنْيَا بِبَذْلِهِمْ
فَطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ خَبَثٌ
يَسِرُّ أَنْ شَرُّ كَفَانَا اللَّهُ شَرَّهُمْ
فَاخْتَدَّ كِبَارُ بَنِيهِمْ إِنَّهُمْ قُرْمٌ
فَالْفِيلُ تَقْتُلُهُ الْأَفْعَى بِأَضْعَفِهَا
وَاضْرِبْهُمْ بِقَنَا مِثْلَ الْحَدِيدِ بِهِمْ
وَلَا تَثِقْ بِوَفَاءِ مَنْ أَخِي حُمُقٍ
مِنْ كُلِّ مَنْ قَلْبُهُ فِي نَفْسِهِ أَبَدًا
يَصُدُّ عَنْكَ إِذَا اسْتَغْنَى بِجَانِبِهِ
كَأَنَّهُ الدَّلُوبُ يعلو حينَ تَمْلُؤُهُ
وَالدُّفْرُ يَرْفَعُ أَطْرَافًا كَمَا رَفَعَتْ
حَسْبُ الْمَحَلَّةِ لَمَّا زَالَ نَارُهَا
وَأَنَّ أَعْمَالَهَا لَمَّا حَلَلَتْ بِهَا
وَأَمَلَهَا فِي أَمَانٍ مِنْ مَسَاكِينِهَا
مَلَأَتْ فِيهَا بَيُوتَ الْمَالِ مِنْ ذَهَبٍ
وَالْمَالُ يُجْنَى كَمَا يُجْنَى الثُّمَارُ بِهَا
وَتَابَعَتْ بَعْضُهَا الْعَلَابَ فِي سَفَرٍ

عَلَى جَنَازَتِهِ جَهْرًا وَمَا هَجَرُوا
وَقَبَّحُوا مَا طَوَّوْا مِنْهَا وَمَا نَشَرُوا
وَوَلَّيْتُهَا الصُّرُوفَ الدُّفْرَ تَدَخَّرُ
كَمَا يَزُولُ بِخَلْقِ الْعَائَةِ الشَّعْرُ
لِلْعَامِلِينَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ اغْتَبَرُوا
رَأَى الْمَشَاءَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ غَبَرُوا
مِنْهُمْ لِعَيْنَيْكَ مَا لَمْ يُبْدِهِ النَّظَرُ
وَإِنَّمَا خَرَّبُوا الدُّنْيَا وَمَا عَمَرُوا
لَوْ يَغْسِلُونَهُمْ بِالْبَحْرِ مَا طَهَّرُوا
لَا يَرْحَمُونَ وَلَا يَنْبِقُونَ إِنْ ظَفِرُوا
وَاخْتَدَّ صِغَارُ بَنِيهِمْ إِنَّهُمْ شَرُّ
فِيهَا وَلَمْ تَخْشَهُ مِنْ سِنَّهَا الصُّغَرُ
فَلَيْسَ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ يَنْفَعُ الزُّبُرُ
فَالْحَمَقُ ذَا عِيَاءٍ بَرُوءُهُ عَسِيرُ
مُعْظَمٌ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مُحْتَقَرُ
وَلَا يَزُورُكَ إِلَّا حِينَ يَفْتَقِرُ
مَاءٌ وَيُفْرِغُ مَا فِيهِ فَيَنْحَلِزُ
أَذْنَابُهَا الْقَضَاءُ الْحَاجَةُ الْبَقَرُ
أَنْ زَالَ مُذْ زَالَ عَنْهَا الْبُؤْسُ وَالضَّرَرُ^(١)
تَغَارُ مِنْ طَيْبِهَا الْجَنَازَاتُ وَالثُّهَرُ
مِنْ قَوْقِهِمْ عُرْفٌ مِنْ تَخْتِهِمْ سُورُ
وَفِضَّةٌ صَبْرًا يَا حَبِذَا الصُّبْرُ^(٢)
حَتَّى كَأَنَّ بَنِي الدُّنْيَا لَهَا شَجَرُ
بَعْضًا إِلَى شُونَ ضَاقَتْ بِهَا الْخُلُرُ^(٣)

(١) المحلة: اسم بلد بمصر.

(٢) الصُّبْر: جمع الصُّبْرَة: الأرض ذات الحصباء، وقطعة من حديد أو حجارة.

(٣) شُونَ: جمع شُونَة: مخزن الغلّة. الخُدْر: جمع الخُدْر: الستر للجارية في ناحية البيت، والمكان المظلم.

وَسِيقَتِ الْخَبِيلَ لِلْأَبْوَابِ مُسْرَجَةً
وَالهُجْنُ تُخَسِبُهَا سُخْبًا مُقَوِّفَةً
وَكُلُّ مُقْتَرَحٍ مَا دَارَ فِي خَلِيدٍ
وَمَا مَمْنَتْ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُطْلَبِهِ
وَالْعَامِلُونَ عَلَى الْأَمْوَالِ مَا عِلِمُوا
وَمَا أَرَى بَيْتَ مَالٍ الْمُسْلِمِينَ ذَرَى
هَذَا وَمَا أَحَدٌ كَلَفَتْهُ شَطَطًا
بَلْ زَادَهُمْ فِيكَ حُبًّا مَا فَعَلْتَ بِهِمْ
فَإِنْ شَكُوا بَغْضَةً مِمَّنْ مَضَى سَلَفَتْ
فَالصَّبْرُ مِنْ يَدٍ مَنْ أَحْبَبْتَهُ عَسَلْ
لَقَدْ جَبَلْتَ عَلَى عَذْلِ وَمَعْرِفَةٍ
فَمَا حَكَمْتَ بِمَكْرُوهِهِ عَلَى أَحَدٍ
رَزَقْتَ ذُرِّيَّةً ضَاهَتْكَ طَيِّبَةً
فَلَيْتَ هَكَذَا الْيَوْمَ مِنْهَا الْفَضْلُ حِينَ عَدَا
عَلَى صِفَاتِكَ ذَلِكَ شَنَا جَابَتْهُ
مِيزَانُهُ فِي الثَّقَى مِيزَانُ مَعْدَلَةٍ
مَشَى صِرَاطًا سَوِيًّا مِنْ دِيَانَتِهِ
تَرْضِيكَ فِي اللَّهِ أَعْمَالٌ وَتَغْضِبُهُ
قَالَتْ لِي النَّاسُ مَاذَا الْخُلْفُ؟ قُلْتُ لَهُمْ:
أَمَا غَضَى أَمْرَ مُوسَى عِنْدَ سَفْكِ دَمٍ
وَقَدْ تَعَاطَى ابْنُ عَفَّانٍ لِأَسْرَتِهِ
وَلَنْ يَضِيرَ أُولِي الثَّقَوَى اخْتِلَافُهُمْ
مُسْمَرٌ فِي مَرَاغِي اللَّهِ مَجْتَهِدٌ

لَمْ تُخَصَّ عَدَاؤُ تُخَصِّي الْأَنْجُمُ الزُّهُرُ
فِي الْحَقِّ مِنْهَا أَفْضَاءُ الْجَوِّ مُنْخَصِرٌ^(١)
يَأْتِي إِلَيْكَ بِهِ فِي وَقْتِهِ الْقَدَرُ
إِلَّا تُسْرِرَ مِنْ أَسْبَابِهِ الْغَيْبُ
مِنْ أَيِّ مَاجِهَةٍ يَأْتِي وَمَا شَعَرُوا
مِنْ أَيْنَ تَأْتِي لَهُ الْأَكْيَاسُ وَالْبَدَرُ^(٢)
بِمَا فَعَلْتَ كَأَنَّ النَّاسَ قَدْ سَجَرُوا
مِنَ الْجَمِيلِ وَذَنْبُ الْحُبِّ مُغْتَفَرُ
فَمَا لِقَلْبٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مُضْطَبَّرُ
وَالشَّهْدُ مِنْ يَدٍ مَنْ أَبْغَضْتَهُ صَبْرُ
سَارَتْ بِفَضْلِهِمَا الْأَمْثَالُ وَالسَّيْرُ
حُكْمًا يُخَالِفُهُ نَصْرٌ وَلَا خَبْرُ
مِنْ طَيِّبَةٍ غَارَ مِنْهَا الْعَنْبَرُ الْعَطِرُ
دِينَ الْإِلَهِ بِسَيْفِ الدِّينِ مُنْتَصِرُ
وَبَانَ مِنْ أَيْنَ مَاءُ الْوَرْدِ يُغْتَصَرُ
وَحِكْمَةٌ لَا صَغَى فِيهَا وَلَا صِغَرُ^(٣)
فَمَا يَزَالُ بِأَمْرِ اللَّهِ يَأْتُمِرُ
وَمَا يَدُ إِلَيَّ أَمْرٌ مِنْكُمْ مَا نَكُرُ
كَمَا تَخَالَفَ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ
مَا فِي شَرِيعَةِ مُوسَى أَنَّهُ هَدَرُ
وَمَا تَعَاطَى أَبُو بَكْرٍ وَلَا عَمَرُ
وَهُمْ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ قَدْ فُطِرُوا
وَبِالْعَفَافِ وَتَقْوَى اللَّهِ مُؤْتَزَرُ^(٤)

(١) الخيل الهجن: غير العتيقة. مقوفة: فيها خطوط بيض.

(٢) البدر: جمع البدرية: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم.

(٣) الصغى: الميل.

(٤) المؤتزر: الذي وضع الإزار، الإزار: الملحفة.

وَقَعْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ مَهَابَتِهِ
وَقَصُرَتْ كُلُّ مَاتِي عَنْ مَدَائِجِهِ
فَأَقْبَلَ بِفَضْلِكَ مَذْحَاقًا أَتَاكَ بِهِ
فَمَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ غَيْبِ تُعَابُ بِهِ
وَالْبَسَ ثَنَاءً أَجَادَتْ نَسْجَهُ فِكْرُ
مِنْ شَاعِرٍ صَادِقٍ مَا شَانَهُ كُذْبُ
يَهِيمٍ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ مَدَائِجِهِ
لَا يَنْظُمُ الشُّغْرُ إِلَّا فِي الْمَدِيحِ وَمَا
مَا شَاقَهُ لِنُغْزَالٍ فِي الظُّبَاغِ زَلْ
مَدِيحُهُ فَيْكَ خُرْلَيْسٍ يَمْلِكُهُ
إِنْ الْأَدِيبَ إِذَا أَهْدَى كَرَائِمَهُ
تَبَا الْقَوْمُ قَدْ اسْتَغْنَوْا بِمَا نَظَّمُوا
فَلَوْ قَفَوْتُ بِأَخِذِ الْمَالِ إِثْرَهُمْ
خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ عِنْدِي مَذْحُ ذِي كَرَمٍ
فَالصُّفْرُ مِنْ ذَهَبٍ عِنْدِي وَإِنْ صَفِرَتْ
بَقِيَتْ مَا شِئْتُ فِيمَا شِئْتُ مِنْ رُتَبٍ
وَيَلْغَتْكَ اللَّيَالِي مَائَةً مُلَهُ
وَقَدْ دَعَيْتُكَ مَنِّي كُلَّ جَارِحَةٍ

وَقَالَتِ النَّاسُ مَنِتَّ مَسَّهُ كِبَرُ
وَقَدْ أَتَيْتُ مِنَ الْحَالِيْنَ أَعْتَدُ
شَيْخٌ ضَعِيفٌ إِلَى تَقْصِيرِهِ قَصْرُ
إِنْ أَنْخَنَتْ وَاسْتَقَامَ السُّهُمُ وَالْوَتْرُ
يَغَارُ فِي الْحُسْنِ مِنْهُ الْوَشْيُ وَالْجَبَرُ^(١)
فِي مَا يَقُولُ وَلَا عِيٌّ وَلَا حَصْرُ
عَلَى مَعَانٍ أَضَلَّتْ حُسْنَهَا الْفِكْرُ
غَيْرُ الْمَدِيحِ لَهُ سُؤْلٌ وَلَا وَطْرُ
وَالِغَايَةِ فِي طَرْفِهَا حَوْرُ^(٢)
مَنْ الْجَوَائِزِ أَثْمَانٌ وَلَا أَجْرُ
فَقَضَاهُ شَرَفُ الْأَنْسَابِ لَا الْمَهْرُ^(٣)
مِنْ امْتِدَاحِ بَنِي الدُّنْيَا وَمَانَتْ رُؤَا
لَعَوْ قَتْنِي الْقَوَافِي فَيْكَ وَالْفَقْرُ^(٤)
ذِكْرِي بِمَدْحِي لَهُ فِي الْأَرْضِ يَنْتَشِرُ
يَدِي وَإِنْ غَنِيَتْ سَيَّانٍ وَالصُّفْرُ
عَلِيَّةُ عُمُرِ الدُّنْيَا بِهَا عَمِرُوا
وَلَا تَعْدْتُ إِلَى أَيَّامِكَ الْغَيْرُ
وَبِالْإِجَابَةِ فَضْلُ اللَّهِ يُنْتَظَرُ

(١) الطَّرَرُ: جمع الطَّرَّة: طرف كل شيء وحرفه. والفُرور: جمع غراء أو غرة. وهي بياض في الجبهة.

(٢) الجَبَرُ: جمع الجَبرة: الوشي.

(٣) الحَوْرُ: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سوادها مع استدارة حذقتها.

(٤) الكرائم، يريد قصائده.

(٥) قفوت إثرهم: تبعتهم.

جَوَارِكُ مَنْ جَوَّرَ الزَّمَانَ يُجِيرُ
فَضَلْتُ بَنِي الدُّنْيَا فَفَضْلُكَ أَوَّلُ
وَأَنْتَ هُمَامُ دَبْرِ الْمُلْكِ رَأْيُهُ
إِذَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَاوَلَ نَصْرَهُ
فَلَا تُنْسِيهِ الْأَيَّامُ ذِكْرَكَ إِنَّهُ
إِذَا مَرَّ فِي أَرْضٍ بِجَيْشٍ عَرَمَرَمَ
وَتَخَسَّبُهُ قَدَسًا رَزَمِي بُرُوجَهَا
وَمَا قَلْبُهَا مِمَّا يَقْرُخُ قُوَّةُ
سَوَاءٍ عَلَيْهِ خَيْلُهُ وَرِكَابُهُ
لَقَدْ جَهِلْتُ دَاوِيَّةَ الْكُفْرِ بِأَسَةِ
فَلَا بُورِكُوا مِنْ إِخْوَةٍ إِنْ أَمَّهُمْ
فَإِنْ غَلَطْتُ مِنْهُمْ رِقَابٌ لِبُعْدِهِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا تَوَاصَلُ إِنْ جَفَوْا
يَظُنُّونَ خَيْلَ الْمُسْلِمِينَ يَصُدُّهَا
أَمَا زِلْتُ بِالْعَادِيَاتِ وَجَاءَهَا
أَتَوَابِطُ مِرَاتٍ مِنَ الْجُرْدِ سُيِّرَتْ
فَلَمْ يَزُقُّوا مِنْ صَرْحِهَا مَانَ مَرْقَبًا
وَضُبُّ عَلَيْهِمْ عَارِضٌ بِرِجَارَةٍ
وَسَامُوهُ خَسْفًا مِنْ نُقُوبٍ كَأَنَّهَا

وَيُشْرِكُ لِلرَّاحِي نَدَاكَ بِشِيرُ
وَأَوَّلُ فَضْلِي الْأَوَّلِينَ أَخِيرُ
خَيْرُ بِأَخْوَالِ الزَّمَانِ بِصِيرُ
كَفَى الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ مِنْكَ نَحِيرُ
بِهِ فَرِحَ بَيْنَ الْمَمْلُوكِ فَخُورُ
تَكَادَلَهُ أُمُّ الثُّجُومِ تَمُورُ^(٢)
بِخَيْلٍ عَلَيْهَا كَالْبُرُوجِ يُغِيرُ
وَلَا طَرْفَهَا حَتَّى يَعُودَ قَرِيرُ
وَسَرَجٌ إِذَا جَابَ الْفَلَاةَ وَكُورُ^(٣)
وَعَرَهُمْ بِالْمُسْلِمِينَ عَرُورُ^(٤)
وَلِنْ كَثُرَتْ مِنْهَا الْبَنُونَ نَزُورُ
فَمَا نَحَطَّ عَنْهَا إِلَّا مَذَلَّةٌ نِيرُ
وَأَنَا عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ نَزُورُ
عَنِ الْعَذُوفِ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ دُخُورُ^(٥)
مِنَ الثُّرَاكِ جَمٌّ لَا يَعْدُ غَفِيرُ^(٦)
وَرَجُلٌ لَهُمْ مِثْلُ الْجَرَادِ طُمُورُ^(٧)
بِهَامَتِهِ بَرْدُ السَّحَابِ بِكُورُ^(٨)
وَنَبِيلٌ وَكُلٌّ بِالْعَذَابِ مَطِيرُ
أَثَافٍ لَهَا تَلِكُ الْبُرُوجُ قُدُورُ^(٩)

(١) قال هذه القصيدة في مدح المنصور قلاوون الألفي بمناسبة بنائه المارستان الكبير، ومدرسة الحديث والقبة سنة ٤٨٦هـ. وقلاوون كان قد تولى السلطنة سنة ٦٧٨هـ.

(٢) المور: الموج والاضطراب.

(٣) الفلاة: المفازة لا ماء فيها، القفر. الكور: الرُّخْل.

(٤) الذوية: الفلاة.

(٥) الدحور: الطرد والإبعاد.

(٦) العاديات: جمع العادية: جماعة الفرسان. جم: كثير.

(٧) الطمرات: جمع الطمير: الفرس الجواد.

(٨) برد السحاب، يعني السحاب المصحوب بالبرد. وهامان: وزير فرعون.

(٩) ساموه: أذاقوه. أثاف: جمع إثفة: أحد أحجار الموقد حيث يوضع القدر.

فَدَا قَوَابِهِ مُرَّ الْحِصَارِ فَأَضْبَحُوا
يَصِيحُونَ أَعْلَى السُّورِ خَوْفًا كَصَافِنِ
وَمَا ذَا يُرَدُّ السُّورُ عَنْهُمْ وَخَلَقَهُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا إِلَى الْأَسْرِ مَلْجَأٌ
فَلَمَّا أَحْسَوْا بَأْسَ أَغْلَبِ هِمَّةٍ
دَعَوْهُ وَشَفَّلَ النَّصِيرُ مِنْهُمْ مُمَزَّقٌ
أَعَارَهُمْ أَقْرَنُ سَيْسٍ تِلْكَ وَسَيْلَةٌ
قَدَى نَفْسَهُ بِالْمَالِ وَالْآلِ وَأَنْثَى
فَلَا تَذْكُرُوا مَا كَانَ بِالْأَمْسِ مِنْهُمْ
فَلَوْ شَاءَ سُلْطَانُ الْبَسِيطَةِ سَاقَهُمْ
تُبَشِّرُ مِصْرَ دَائِمًا بِقُدُومِهِمْ
تَسُرُّهُمْ عِنْدَ الْقُفُولِ بِضَاعَةٌ
وَلَوْ شَاءَ مَدَّ النَّيْلَ سَيْلُ دِمَائِهِمْ
بِعِيدِ كَعِيدِ التَّخْرِيبِ أَحْسَنَ مَا يُرَى
وَلَكِنَّهُ مِنْ جِلْمِهِ وَاقْتِدَارِهِ
وَلَمْ يُبْقِهِمْ إِلَّا أَخْمِيرَ الْمَثَلِهَا
يَرَى الرَّأْيَ مُزَّ الرَّاحِ يُهْوَى عَتِيقُهُ
قَوْلُوا وَسَوْءُ الظَّنِّ يَلْوِي وَجُوسُهُمْ
وَقَدْ شَغَرَتْ مِنْهُمْ حُصُونُ أَوَاهِلٍ
فَلِلَّهِ سُلْطَانُ الْبَسِيطَةِ إِنَّهُ
وَيُغْمِدُنِي هَامَ الْمُلُوكِ حُسَامَهُ

لَهُمْ ذَلِكَ الْجِصْنُ الْخَصِينُ خَصِيرٌ
تَقَى عَنْهُ نَوْمَ الْمُقْلَتَيْنِ صَفِيرٌ^(١)
مِنَ الْخَيْلِ سُورٌ وَالصُّوَارِمُ سُورٌ
وَالْإِلَى ضَرْبِ الرُّقَابِ مَصِيرٌ
غَدُوًّا إِلَيْهِمْ بِالرُّدَى وَيَكُورُ
أَمَانًا وَجِلْبَابِ الْحَيَاةِ بَقِيرٌ^(٢)
رَأَى مُسْتَعِيرًا غَبَّهَا وَسَعِيرٌ
تَطِيرُ بِهِ مِنْ حَيْثُ جَاءَ فُلْيُورُ
فَذَاكَ لِأَحْقَادِ الشُّيُوفِ مُثِيرٌ
لِمِضِرٍّ وَتَحْتَ الْفَارِ سَيْنِ بَعِيرٌ^(٣)
إِذَا فَصَلْتَ مِنْهُمْ لِعَزَّةٍ عِيرٌ^(٤)
وَتَخَفِظُ مِنْهُمْ إِخْوَةً وَتَمِيرُ^(٥)
وَرَفَّتْ نُحُورُ مَاءَةٍ وَسُحُورُ
بِهِ مِنْ عُلُوجٍ كَالْعُجُولِ جَزُورٌ^(٦)
عَفُوٌّ عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ غَفُورُ
مَلِيكَ يَجِبُ الرَّأْيُ وَهُوَ خَبِيرُ
وَيَكْرَهُ مِنْهُ الْحُلُوءُ وَهُوَ عَصِيرٌ^(٧)
فَتَخَسِبُهَا صُورًا وَمَاهِي صُورٌ^(٨)
وَمَارَاعَهَا مِنْ قَبْلِ ذَاكَ شُغُورُ
مَلِيكَ يَسِيرُ النَّصِيرُ حَيْثُ يَسِيرُ
وَيَزْهَبُ مِنْ هَامِ الْمُلُوكِ غَفِيرٌ^(٩)

(١) الصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر.

(٢) بقير: مشقوق.

(٣) سلطان البسيطة، يعني الملك السلطان قلاوون.

(٤) فصل منهم: أخرجهم.

(٥) تمير: تجلبب الطعام.

(٦) العلوج: جمع العليج: الكافر من كفار العجم.

(٧) الراح: الخمرة. مَزَّ الراح: لذة طعم الخمرة.

(٨) صُور: جمع أضور: ماء. الحسام: السيف.

(٩) الحسام: السيف.

وَيَجْمَعُ مِنْ أَشْلَانِهِمْ مُتَفَرِّقًا
فَأَخْلَقَ بَأْنَ يَبْقَى وَيَبْقَى لِمُلْكِهِ
وَنَاتِيهِ خَيْلُ اللَّهِ فَالْبَعِيدُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
وَيَخْمِلُ كُلَّ الْمُلْكِ عَنْهُ وَإِضْرَهُ
أَخُو عَزَمَاتٍ فَالْبَعِيدُ مِنَ الْعُلَا
تَكَادُ إِذَا مَا أَبْرِمْتَ عَزَمَاتُهُ
دَعَانِي إِلَى مَغْنَاهُ دَاعٍ وَلَيْسَ لِي
فَقُلْتُ لَهُ دَعْنِي وَسَيَّرِي لِمَا جِدَ
إِذَا جِئْتُهُ وَخَدِي يَقُومُ بِئْضَرْتِي
فَتَنِي أَبْدَتِ الدُّنْيَا عَوَاقِبُهَا لَهُ
فَقَفَلْتُ مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ بِقِظَةٍ
وَمَا كُلُّ فَضْلٍ فِيهِ إِلَّا سَجِيَّةٌ
فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ النَّزَالِ مُحَرَّرُضٌ
هُوَ السَّيْفُ فَاحْذَرْ صَفْحَةَ لِغِرَارِهِ
مَهِيْبٌ وَهُوبٌ لِلْمُحَاوِلِ جُودُهُ
إِشَارَاتُهُ فِيمَا يَرُومُ صَوَارِمٌ
إِذَا مَجَرَ النَّاسُ الْهَجِيرَ لَكَرْبِهِمْ
وَهَلْ يَتَّقِي حَرَّ الزَّمَانِ ابْنُ غَادَةٍ
يُحَاذِرُهُ الْمَوْتُ الزُّوَامُ طَا
وَتَسْتَهْوُونَ الْأَهْوَالَ فِي الْمَجْدِ نَفْسُهُ

بِصَارِمِهِ جَمَعَ الْهَشِيمَ حَظِيرٌ^(١)
تُسَاءُ حَكَاةُ غُنْبَرٍ وَعَبِيرٌ
يُؤَيِّدُ مِنْهَا بِالْغَفِيرِ نَفِيرٌ
خَرِيٌّ بِشَذْبِيرِ الْأُمُورِ جَدِيرٌ^(٢)
لَدَيْهِ قَرِيبٌ وَالْعَسِيرُ يَسِيرٌ
لَهَا الْأَرْضُ تُطَوَّى وَالْجِبَالُ تَسِيرُ^(٣)
جَنَانٌ عَلَى ذَاكَ الْجَنَابِ جَسُورٌ
لَهُ اللَّهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ يُجِيرُ
قَبَائِلُ مِنْ إِقْبَالِهِ وَعَشِيرُ
وَأَفْضَتْ بِمَا فِيهَا الَّذِيهِ صُدُورُ
وَعَيْبَتُهُ عَمَّا يُرِيدُ حُضُورُ
يُشَارِكُ فِيهَا ظَاهِرٌ وَضَمِيرُ^(٤)
وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ الثُّوَالِ سَفِيرُ^(٥)
فَبَيْنَهُمَا لِلْأَمْسِينِ غُرُورُ^(٦)
جَوَادٌ وَلِلْبَيْتِ الْهَضُورِ هَضُورُ^(٧)
وَسَاعَاتُهُ عَمَّا يَسْغَنُ دُهْورُ
يَلْذُلُهُ أَنَّ الزَّمَانَ هَجِيرُ^(٨)
جَلِيلٌ عَلَى حَرِّ الزَّمَانِ صَبُورُ
وَلَكِنَّهُ مِنْ أَنْ يُلَامَ خَذُورُ^(٩)
وَتَسْتَحْقِرُ الْمَوْهُوبَ وَهُوَ خَطِيرُ

(١) الأشلاء: جمع الشلو: العضو. الهشيم: نبت يابس مكسر. حظير: يريد الحظيرة.

(٢) الإضر: الذنب والثقل.

(٣) أبرمت عزماته، يعني أحكمت: أبرم الحبل: جعله طاقتين ثم فتله.

(٤) السجية: الطبيعة.

(٥) الثوال: العطاء.

(٦) غرار السيف: حذره. ويريد بالغرور: الهلاك.

(٧) اللبث الهضور: الأسد.

(٨) الهجير: نصف النهار عند زوال الشمس.

(٩) الموت الزوام: الموت الكريه المجهز.

مَكَارِمُهُ لَمْ تُبْقِ فَقَرَأُوا رَأْيَهُ
كَفَفَتْهُ سَطَاهُ أَنْ يُجْهَزَ عَشْكَرًا
فَوَاطِنَ أَطْرَافِ الْبَسِيطَةِ ذَكَرَهُ
مُحْيَاةً طَلَّقَ بِاسْمِ رَوْضٍ كَفَفِهِ
حَكَى الْبَحْرَ وَصَفَاءِ مِنْ طَهَارَةِ كَفَفِهِ
وَمَا مَوَالِ الْأَكِيمِيَاءِ سَعَادَةً
بِهَاقَامٍ شَغَرِي لِلْخَلَاصِ فَمَا أَرَى
وَرُبَّ أَدِيبٍ ذِي لِسَانٍ كَمِ بَرْدٍ
أَرَادَ امْتِحَانًا لِي فَزَيْفَ لَفْظُهُ
إِذَا مَا رَأَيْتَنِي عَافِيَنِي وَاسْتَقْلَمَنِي
وَيُفْجِئُ بِهِ أَنِي نَحِيفٌ وَأَنَّهُ
وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ الدَّرَّ يَضْفُرُ جِزْمُهُ
فَقَامَ يَنْضُرِي دُونَهُ ذَوْنُ بَاهَةِ
وَلَا جَوْرَ فِي أَحْكَامِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
فَلَا تَنْظُرِ الْعُمَالُ لِلْمَالِ إِنَّهُ
وَأَنَّ عَذَابَ الْمُجْرِمِينَ بِعَذْلِهِ
لَهُ قَلَمٌ بِالْبَاسِ يَجْرِي وَبِالنَّدَى
تُحْلِي الطُّرُوسَ الْعَاطِلَاتِ سَطُورَهَا
أَجْلِي لِحَاظِي فِي خُمَائِي حُسْنِهِ

إِلَى بَعْضِهِ أَغْنَى الْمُلُوكِ فَقِيرُ
وَأَرَاؤُهُ أَنْ يُسَنَّ شَارَ وَزِيرُ
وَصِيْنَتْ خُصُونُ بِاسْمِهِ وَتُغَوِّرُ^(١)
أَرِيضُ وَمَاءُ الْبَشْرِ مِنْهُ نَمِيرُ^(٢)
فَقِيلَ لَهُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ طَهُورُ
وَوَضَفِي لَتَلْكَ الْكِيمِيَاءُ شُدُورُ^(٣)
لِشَغَرِي امْتِحَانُ النَّاقِدِينَ نَصِيرُ
بَدَأَ مِنْ قَمٍ كَالْكَبِيرِ أَوْ هُوَ كَبِيرُ^(٤)
نَتَانُ بَدَأَ مِنْ نَظْمِهِ وَخَرِيرُ^(٥)
كَأَنِّي فِي قَعْرِ الزُّجَاجَةِ سُورُ^(٦)
سَمِينُ يَسُرُّ النَّاظِرِينَ طَرِيرُ^(٧)
وَمَقْدَارُهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ خَطِيرُ^(٨)
حَلِيمُ إِذَا خَفَّ الْحَلِيمُ وَقُورُ
عَلَى الْخَائِنِينَ الْجَائِرِينَ يَجُورُ
عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ غُيُورُ
طَوِيلُ وَغَمْرُ الْخَائِنِينَ قَصِيرُ
فَفِي جَانِبَيْهِ جَنَّةٌ وَسَعِيرُ
كَمَا تَتَحَلَّى بِالْعُقُودِ نُحُورُ^(٩)
فَمِنْ خَيْرَةٍ لَمْ تَذَرِ كَيْفَ تَحُورُ^(١٠)

(١) البسيطة: الأرض.

(٢) النмир من الماء: الزاكي.

(٣) الكيمياء: الإكسير.

(٤) الكبير: زق ينفخ فيه الحداد.

(٥) الخريز: صوت الماء والريح.

(٦) السور: السور وهو بقية الماء في إناء الشارب.

(٧) الطرير: الشاب إذا طرَّ شاربهُ أي: طلع.

(٨) الدر: جمع الدرة: اللؤلؤة العظيمة.

(٩) الطروس: جمع الطرس: الصحيفة. النحور: جمع النحر: موضع الفلاة.

(١٠) الخمائل: جمع الخميلة: المنهبط من الأرض، وهي مكرمة للنبات.

خَكِي حَسَنَاتٍ فِي صَحَائِفِ مُؤْمِنٍ
فَكَانَتْ شُكُوكُهَا مِنْهُ زَانَتْ حُرُوفُهُ
فَقُلْتُ وَقَدِ رَاعَتْ بِفَضْلِ خُطَابِهِ
لِشْنِ جَاءَ هَمٌّ كَالْغَيْثِ مِنْهُ مُبَشِّرًا
فَوَيْلَ لِقَوْمٍ مِنْ يَسْرَاعِ كَأَنَّهُ
وَلَمْ يَلَا وَأَسَاذُ الْعَرِيسِ لِدَائِهِ
يَغْضُ لَدَيْهِ مُقْلَتَيْنِ ابْنُ مُقْلَةٍ
وَأَتَى لَهُ لَوْنَالُهُ مِنْ ثَرَابِهِ
وَقَدْ كَفَّ عَنْ كُوفِيَّةٍ كَفَّ عَاجِزٍ
وَوَدَّ الْعَذَارَى لَوْ يُعَجِّلُ نَحْلَهُ
رَأَى مَا يَرُوقُ الطَّرْفُ بَلْ مَا يَرُوعُهُ
بَنَى مَا بَنَى كَسْرَى وَعَادَ وَمُتَّبِعٍ
وَدَلَّ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ أَسَاسُهُ
جِجَارِيَّةُ الشَّخْبِ الثَّقَالِ يَسُوقُهَا
وَمِنْهَا نَجُومٌ فِي بُرُوجِ مَجَرَّةٍ
تَضِيقُ بِهَا السُّبُلُ الْفَجَاجُ فَلَا يُرَى
فَكَمْ صَخْرَةٍ عَادِيَّةٍ قَذَفَتْ بِهَا
وَمَنْ عُمِدَ فِي هِمَّةِ الدَّهْرِ قُوَّةُ
أَشَارَ لَهَا فَانْقَادَ سَهْلًا عَسِيرُهَا
أَتَتْ بِهَا أَنْدَى الرِّيَّاحِ وَدُونَ مَا

يُسْرُ كَيْسِرِي بِهَا وَضَعِي
حَسَابًا قُلْتُ مِنْهُ الصُّحَاخُ كُسُورُ
وَرَأَيْتُ عُيُونََ النَّاظِرِينَ سَطُورُ
لَقَدْ جَاءَ هَمٌّ كَالْمَوْتِ مِنْهُ تَذِيرُ
خِلَالِ يَرُوعُ الْأُسْدِ مِنْهُ ضَرِيرُ
يَكُونُ لَهُ مِثْلُ الْأَسْوَدِ زَيْبِرُ^(١)
كَمَا غَضَّ مَنْ فِي مُقْلَتَيْنِ بُثُورُ
لِيَكْخَلَ مِنْهُ مُقْلَتَيْنِ دُورُ^(٢)
وَفِيهِ نَظِيمٌ دُرَّةٌ وَنَشِيرُ^(٣)
إِلَيْهِمْ مِنْ تِلْكَ الْحُرُوفِ مُهُورُ^(٤)
فَخَارَ وَذُو الْقَلْبِ الضَّعِيفُ يَخُورُ
وَلَيْسَ سِوَا مُؤْمِنٍ وَكَفُورُ^(٥)
كَمَا ذَلَّ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُورُ^(٦)
عَلَى عَجَلٍ سَوْقًا صَبَا وَدُبُورُ^(٧)
عَلَى الْأَرْضِ تَبْدُوتَارَةٌ وَتَغُورُ
بِهَا لِلرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ مَسِيرُ^(٨)
إِلَيْهِ سُهُولٌ جَمَّةٌ وَوُغُورُ
وَفِي بَاعِهِ مِنْ طُولِهِمْ قُصُورُ
إِلَيْهِ وَمَا أَمَرَ عَلَيْهِ عَسِيرُ
أَتَتْ بِهَا أَنْدَى الرِّيَّاحِ ثَبِيرُ^(٩)

(١) اللدَّة: التَّزْب.

(٢) الدُّرُور: مَا يُذَرُّ فِي الْعَيْنِ.

(٣) الدُّر: جَمْعُ الدُّرَّةِ: اللُّوْلُؤَةُ الْعَظِيمَةُ. الثَّيْر: خِلَافُ الْمَنْظُومِ.

(٤) الثَّمَلَةُ: مَهْرُ الْمَرْأَةِ، وَالْعَطِيَّةُ.

(٥) كَسْرَى يَعْنِي الْمَلِكُ مِنْ مَلُوكِ الْفَرَسِ. عَادَ: الَّذِي ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ، مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، وَتَبَّعَ: الْمَلِكُ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ، وَمِنْ أَشْهُرِهِمُ الْمَلِكُ حُسَّانُ تَبَّعَ.

(٦) الطُّورُ: الْجَبَلُ، وَجَبَلٌ قَرَبُ أَيْلَةٍ يُضَافُ إِلَى سَيْنَاءَ.

(٧) الصُّبَا: رِيحٌ مَهِيهَا مِنْ مَطْلَعِ الثَّرِيَا إِلَى بَنَاتِ نَعَشٍ. الدُّبُورُ: رِيحٌ تَقَابِلُ الصُّبَا.

(٨) الْفَجَاجُ: جَمْعُ الْفَجِّ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ.

(٩) ثَبِيرُ: اسْمُ لَعْدَةٍ جِبَالٍ بِظَاهِرِ مَكَّةَ وَهِيَ: ثَبِيرُ الْخَضْرَاءِ، وَالنَّصْعِ، وَالزُّنْجِ، وَالْأَعْرَجِ، وَالْأَحْدَبِ، وَغَيْنَاءَ.

وما كان لولا ماله من كرامة
لما فيه من تقوى وعلم وحكمة
فمئذنة في الجو تشرق في الدجى
ومن حيثما وجهت وجهك نحوها
يمد إليها الحاسد الطرف حسرة
فكم حسدتها في العلوكواكب
إذا قام يذعو الله فيها مؤذن
فللناس من تذكاريه وأذانه
وقبة مارستان ليس لعلّة
صحيح هواء للنفوس ينشره
يهب فيهدي كل روح بجسمه
فلو تعلم الأجسام أن ثرايه
لسارت بمرضاها إليه أسيرة
وما عاد يبلي بعد ذلك ميثا
بجنتيه وزق ثراسل ماءه
وقد وصفت لي الناس منها عجائباً
محاسنها استدعت نسيبي ومادعا
وبات بها قلبي يمثّل - سنّها
ولا وصف إلا أن يكون لواصل
بدت فهي عند الصالحية جلق
ولو فتحت أبوابها لتبادرت

ليأتينا بالمفجزات أمير
بحر مبانيه الثلاث ثشير
عليها هدى للعالمين ونور
تلقتك منها نضرة وسرور
فيزجع عنها الطرف وهو حسير^(١)
وغارت عليها في الكمال بدور
فما هو إلا للنجوم سيمير
فطور على رجع الصدى وسحور
عليه وإن طال الزمان مروز
معادو للعظم الرميم نشور^(٢)
كان صباه حين ينفخ صور^(٣)
مهاذ حياة للجسوم وثير
وصارت بموتها إلى قبور
ضربح ولا يشكو المريض سرير
يشوق هديل منهما وهدير
كأوجه غيد ماله من سفور^(٤)
نسيبي غزال قبل ذاك غرير^(٥)
لغيني ونومي بالشهاد غرير^(٦)
ورود على موصوفيه وصدور
وفي تلك جنات وتلك قبور^(٧)
من الدردان إليه وخور^(٨)

(١) حسير: متعب.

(٢) العظم الرميم: البالي.

(٣) الصور: القرن ينفخ فيه.

(٤) الغيد: جمع الغيداء.

(٥) الغرير: الذي لا تجربة له، والغرير: الخلق الحسن.

(٦) الشهاد: قلة النوم.

(٧) جلق: اسم لمدينة دمشق.

(٨) الخور: جمع الخوراء وهي التي في عينها خور وهو اشتداد بياض العين وسواد سوادها.

وَمَذَرَمَةً وَذَالْخَوَرْنَقُ أَنَّهُ
مَدِينَةٌ عَلِيمٌ وَالْمَدَارِسُ حَوْلَهَا
تَبَدَّتْ فَأَخْفَى الظَّاهِرِيَّةُ نُورَهَا
بِنَاءً كَمَا أَنَّ النُّحْلَ هُنْدَسَ شَكْلُهُ
بِنَاهَا حَكِيمٌ لَيْسَ فِي عَزَمَاتِهِ
بِنَاهَا شَدِيدُ الْبَاسِ أَوْ حَدُّ عَضْرِهِ
فَمَا صَنَعَتْ عَادَ مَصَانِعِ مِثْلُهُ
ثَمَانِيَّةٌ فِي الْجَوِّي خَمِلُ عَرْشِهَا
يَرَى مَنْ يَرَاهَا أَنَّ رَافِعَ سَمَكِهَا
وَأَنَّ مَنَارَ أَقَائِمَ أَبْزَانِهَا
كَأَنَّ مَنَارَ اشْكَنْدَرِيَّةَ عِنْدَهُ
بِنَاهَا سَعِيدٌ فِي بَقَاعِ سَعِيدَةٍ
إِذَا قَامَ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مَوْذُنٌ
فَصَارَتْ بُيُوتُ اللَّهِ آخِرَ عُمرِهَا
ذَكَرْنَا لَدَيْهَا قُبَّةَ النُّسْرِ مَرَّةً
فَإِنَّ نُسْبَتَ لِلنُّسْرِ فَالطَّائِرُ الَّذِي
وَالْأَفْكَمُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَالٌ دُونَهَا
تَبَيَّنَتْ فِي مَخْرَابِهَا وَهِيَ كَالذَّمَى
وَقَدْ حُلِّيتْ مِنْهَا صُدُورٌ بِعَسَجِدٍ
بِهَاءِ مُدْكَائِرِ زُنْ أَيْامِ عَامِهَا
مَبَانٍ أَبَانَتْ عَنْ كَمَالِ بِنَائِهَا

لَدَيْهَا حَظِيرٌ وَالسِّدِيرُ غَدِيرٌ^(١)
قُرَى أَوْ نُجُومٌ بَذَرُهُنَّ مُنِيرٌ
وَلَيْسَ يَظْهَرُ لِلنُّجُومِ ظُهُورٌ
وَلَا تَلْتَلُهُ كَالشَّمْعِ مِنْهُ صُخُورٌ
فَتُورٌ وَلَا فِيمَا بِنَاهَا فُتُورٌ
خَلَّتْ حَقَبٌ مِنْ مِثْلِهِ وَغُصُورٌ^(٢)
وَلَا طَاوَلَتْهُ فِي الْبِنَاءِ قُصُورٌ
وَيَعُضُّ لِبَعْضٍ فِي الْبِنَاءِ ظَهِيرٌ
عَلَى فِعْلٍ مَا أَغْيَا الْمُلُوكُ قَدِيرٌ^(٣)
بَنَانٌ إِلَى فَضْلِ الْأَمِيرِ تُشِيرُ
نَوَاةٌ بَدَتْ وَالْبَابُ فِيهِ تَقِيرُ
بِهَاسِعِدَتْ قَبْلَ الْمَدَارِسِ دُورٌ
فَمَا هُوَ إِلَّا لِلنُّجُومِ سَمِيرُ
قُصُورٌ خَلَّتْ مِنْ سَادَةٍ وَخُدُورٌ^(٤)
فَمَا كَادَتْ تُسْرِ لِلْحَيَاءِ يَطِيرُ
لَهُ فِي الْبُرُوجِ الثَّابِتَاتِ وَكُورُ
إِلَى الْأَرْضِ عَقَبَانٌ هَوَتْ وَتُسُورُ
قَدُودٌ غَوَانٍ كُلُّهُنَّ خُصُورٌ^(٥)
وَلَقَّتْ لَهَا تَحْتَ الْحُلِيِّ شُعُورٌ^(٦)
وَمِنْ عَامِهَا لَمْ يَمُضْ بَعْدُ شُهُورٌ
وَأَغْرَبَ عَنْ وَضْعِ الْأَسَاسِ هَتُورٌ^(٧)

(١) السِّدِيرُ: نهر بناحية الحيرة. الْخَوَرْنَقُ: قصر للنعمان الأكبر.

(٢) الْحَقَبُ: جمع الحِقْبَةِ من الدهر: المدة لا وقت لها.

(٣) السَّمَكُ: السُّفْق.

(٤) الْخُدُورُ: جمع الْخُدْر: مِترٌ يُمدُّ لِلجَّارِيَةِ فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ.

(٥) الذَّمَى: جمع الذَّمِيَّة: الصَّنَم. الْمَخْرَابُ: صدر البيت. الْغَوَانِي: جمع الغَانِيَةِ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَاءُ

الَّتِي كُنَّتْ بِجَمَالِهَا.

(٦) الْعَسَجِدُ: الذهب.

(٧) الْهَتُورُ: من الهتَر: الأمر العَجَب.

عليها من الوشي البديع سُتُورُ
رُقُومٌ وَتَلْوِينُ الرُّخَامِ خَرِيرٌ^(١)
فَأَوْفَمْنَا أَنَّ الْحَقِيقَةَ زُورُ
تَدَفَّقَ مِنْهُمْ لِلْعِلْمِ بِحُورُ
عَلَى النَّاسِ مِنْ لَفْظِ الْكَلَامِ تُدِيرُ
عَرُوبٌ بِهِ وَالْفَضْلُ فِيهِ كَثِيرٌ^(٢)
لَا تُكْرِمُ مَوْلُودٌ نَمَثُهُ خُجُورُ
وَلَكِنْ بِهِ لِلْكَافِرِينَ ثُبُورُ^(٣)
فَغَارَتْ أُنَاجِيلُ وَغَارَ زُيُورُ^(٤)
وَكُلُّ بِأَخْبَارِ النَّبِيِّ خَبِيرُ
ذُكُورٌ لِلنَّغْمَاءِ إِلَهٍ شُكُورُ
يَدُومُ لَهُ ذِكْرُهَا وَأُجُورُ
يَزِينُ الْحَجَى وَالرَّأْيُ مِنْهُ وَقُورُ^(٥)
لَهُ فِي الَّذِي شَادَتْ يَدَاهُ نَظِيرُ
وَلَوْ كَانَ كَالسَّبْعِ الطُّبَاقِ حَصِيرُ^(٦)

سَمَاوِيَّةٌ أَزْجَاؤُهَا فَكَأَنَّمَا
تَوَهَّمُ طَرْفِي أَنْ تَجْزِيْعَ بُسْطَهَا
وَكَمْ جَاوَزَ الْإِبْدَاعُ فِي الْحُسْنِ حَدَّهُ
فَلِلَّهِ يَوْمٌ ضَمَّ فِيهِ أُنْمَةً
وَشَمْسُ الْمَعَالِي مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ
وَقَدْ أَغْرَبَتْ لِلنَّاسِ عَنْ خَيْرِ مَوْلِدٍ
فَأَكْرِمَ يَوْمٍ فِيهِ أَكْرَمُ مَوْلِدٍ
يُطَالِعُهُ لِلْمُسْلِمِينَ مَسْرَّةٌ
قَرَأْنَا بِهَا الْقُرْآنَ غَيْرَ مُبَدِّلٍ
وَتَثَبَّأَ أَخْبَارِ النَّبِيِّ رَوَاتُهَا
وَتَلَّتْ يَدْعُو اللَّهَ فِيهَا مَوْحَدٌ
وَمَا تِلْكَ لِلْسلْطَانِ إِلَّا سَعَادَةٌ
دَعَاها إِلَيْهِ وَافِرُ الرَّأْيِ وَالْحَجَا
فَهَلْ فِي مَلُوكِ الْأَرْضِ أَوْ خَلْفَائِهَا
عَلَى أَنَّهُمْ فِي جَنْبِ مَا شَادَ مِنْ عُلاَ

القصيدَةُ الْمُضَرِّيَّةُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ^(٧): [البسيط]

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْهَادِي وَثِيْمِيْنِهِ
وَجَاهِدْ وَامْعُهُ فِي اللَّهِ وَاجْتَهِدُوا
وَالْأَنْبِيَاءَ وَجَمِيعِ الرُّسُلِ مَا ذُكِرُوا
وَصَخْبِهِ مِنْ لَطِيْفِ الدِّينِ قَدْ تَشَرُّوا
وَهَاجَرُوا وَلَهُ أَوْزَاوُ قَدْ تَصَرُّوا

(١) الرُّقُوم: جمع الرُّقْم: ضرب مخطَّط من الوشي أو الخز.

(٢) العَرُوب: المرأة المتحبة إلى زوجها.

(٣) الثُّبُور: الهلاك.

(٤) أُنَاجِيل: جمع إنجيل. ويريد أن القرآن لم يحرف في حين تعرض الإنجيل والزبور إلى تغية وتحريف.

(٥) الْحَجَا: العقل.

(٦) السَّبْع الطُّبَاق: السماوات السبع. حصير: بخيل.

(٧) المِجْمَعَةُ الْكُبْرَى: ٧٠.

وَيَتَّبِعُوا الْفَرْصَ وَالْمَسْتُونَ وَاعْتَصِبُوا
 أَزْكَى صَلَاةٍ وَأَنَامًا وَأَشْرَفَهَا
 مَفْشُوقَةً بِغَيْرِ الْمِسْكِ زَاكِيَةً
 عَذَا الْخَصِي وَالشَّرَى وَالرَّمْلَ يَتَّبِعُهَا
 وَعَدَا حَوَاتِ الْأَشْجَارِ مِنْ وَرَقِ
 وَعَدَا وَزْنَ مَشَا قَيْلِ الْجِبَالِ كَذَا
 وَالطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْأَسْمَاكَ مَعَ نَعَمِ
 وَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ مَعَ جَمْعِ الْحَبُوبِ كَذَا
 وَمَا حَاطَ بِهِ الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَمَا
 وَعَدَا نَعْمَائِكَ الَّتِي مَنَنْتَ بِهَا
 وَعَدَا مِقْدَارِهِ السَّامِي الَّذِي شَرَفْتَ
 وَعَدَا مَا كَانَ فِي الْأَكْوَانِ يَا سَنَدِي
 فِي كُلِّ طَرْفَةِ عَيْنٍ يَطْرُقُونَ بِهَا
 مِلءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مَعَ جَبَلِ
 مَا أَعْدَمَ اللَّهُ مَوْجُودًا وَأَوْجَدَ مَعًا
 تَسْتَعْرِقُ الْعَدَمَ مَعَ جَمْعِ الدُّهُورِ كَمَا
 لَا غَايَةَ وَأَنْتَ هَاءِ بَاعَظِيمُ لَهَا
 مَعَ السَّلَامِ كَمَا قَدَمْتَ مِنْ عَدَدِ
 وَعَدَا أَضْعَافَ مَا قَدَمْتَ مِنْ عَدَدِ
 كَمَا تَجِبُ وَتَرْضَى سَيِّدِي وَكَمَا
 وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوبٌ بِحَقِّكَ فِي
 بَارَبِّ وَاعْفِرْ لِنَا لِيَهَا وَسَامِعِهَا
 وَالدِّينَا وَأَهْلِينَا وَجِيرَانِنَا
 وَقَدْ أَتَتْ بِذُنُوبٍ لَا عِدَا ذَلِهَا
 وَالْهَمُّ عَنْ كُلِّ مَا أَبْغَيْهِ أَشْغَلْنِي

لِلَّهِ وَاعْتَصِبُوا بِإِلَهِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَرُّوا
 يُعْطَرُ الْكَوْنُ رِيَاءَ شَرِّهَا الْعَطَرُ
 مِنْ طَيِّبِهَا أَرْجُ الرِّضْوَانِ يَنْتَشِرُ^(١)
 نَجْمُ السَّمَاءِ وَنَبْتُ الْأَرْضِ وَالْمَذَرُ^(٢)
 وَكُلُّ حَرْفٍ عَدَا يُثْلَى وَيُسْتَنْطَرُ
 يَلِيهِ قَطَرُ جَمِيعِ الْمَاءِ وَالْمَطَرُ
 يَثْلُوهُمْ الْجِنَّ وَالْأَمْلَاكُ وَالْبَشَرُ
 وَالشَّعْرُ وَالصُّوفُ وَالْأَزْيَاشُ وَالْوَبَرُ^(٣)
 جَرَى بِهِ الْقَلَمُ الْمَأْمُونُ وَالْقَدَرُ
 عَلَى الْخَلَائِقِ مُذْكَائُوا وَمُذْخَشِرُوا
 بِهِ النَّبِيُّونَ وَالْأَمْلَاكُ وَافْتَخَرُوا
 وَمَا يَكُونُ إِلَيَّ أَنْ تُبْعَثَ الصُّورُ
 أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ أَوْ يَذَرُوا
 وَالْفَرْشُ وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَمَا حَصَرُوا
 دُونَ مَا صَلَاةً دَوَامًا لَيْسَ تَنْحَصِرُ
 يُحِيطُ بِالْحَدِّ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
 وَلَا لَهَا أَمْدٌ يُقْضَى وَيُسْتَنْطَرُ
 رَبَّاءُ ضَاعَفَهَا وَالْفَضْلُ مُنْتَشِرُ
 مَعَ ضِعْفٍ أَضْعَافِهِ يَا مَنْ لَهُ الْقَدَرُ
 أَمَرْتَنَا أَنْ نُصَلِّيَ أَنْتَ مُقْتَدِرُ
 أَنْفَاسِ خَلْقِكَ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُرُوا
 وَالْمُرْسَلِينَ جَمِيعًا أَيْنَمَا حَضَرُوا
 وَكُلُّنَا سَيِّدِي لِلْعَفْوِ مُفْتَقِرُ
 لَكِنْ عَفْوُكَ لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ
 وَقَدْ أَتَى خَاضِعًا وَالْقَلْبُ مُنْكَسِرُ

(١) الأرج: تومج ربح الطيب.

(٢) المذر: قطع الطين اليابس.

(٣) الذر: صغار النحل. والوبر: الصوف.

أَزْجُوكَ يَارَبُّ فِي الدَّارَيْنِ تَرْحَمُنَا
يَارَبُّ أَعْظَمَ لَنَا أَجْرًا وَمَغْفِرَةً
وَكُنْ لَطِيفًا بِنَافِي كُلِّ نَازِلَةٍ
بِالْمُصْطَفَى الْمُجْتَبَى خَيْرِ الْأَنَامِ وَمَنْ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مَا طَلَعَتْ
ثُمَّ الرِّضَاعُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَتِهِ
وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ الْفَارُوقِ صَاحِبِهِ
وَجَدِ الْعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ مَنْ كَمَلَتْ
كَذَا عَلِيٍّ مَعَ ابْنَيْهِ وَأُمَمِهِمَا
سَعْدُ سَعِيدَيْنِ عَوْفِ طَلْحَةَ وَأَبُو
وَالْآلِ وَالصُّحْبِ وَالْآتِبَاعِ قَاطِبَةً

وقال : [الخفيف]

لا تطاوله

بَصَلِيلِ عِدَاهُ أَوْ بِصَرِيرِ^(٣)
لَوْزِيرِ صَرِيرُهُ كَالرَّزِيرِ
بَخْرَفِضِلِ أَمْوَاجِهِ مِنْ شُطُورِ
رَنْفِيسَامِنْ بَخْرِهِ الْمَسْجُورِ^(٤)
نَاطِرْفِي بَدِيعِ زَهْرِ نَضِيرِ
وَقُرَادَى مِنْ دُرِّهِ الْمَنْشُورِ
دَرْفِي الْفَخْرِ مُرْتَقَى لِفَخُورِ
تَبَغُّ بِهِ مِنْ لِسَانِ كُلِّ ذُكُورِ
لَيْنِ مِلءِ الْعُيُونِ مِلءِ الصُّدُورِ

ذَوِ رَاعٍ يَرُوعُ كَالسَّنِيفِ إِمَّا
مَا زَاىَ النَّاسُ قَبْلَهُ مِنْ يَرَاعٍ
فَإِذَا سَطَرَ الْكِتَابَ نَا
وَإِذَا اسْتَخْرَجُوهُ يَسْتَخْرِجُ الدُّرَّ
نَظَرَتْ مُقْلَتِي إِلَيْهِ كَأَنِّي
ثُمَّ شَرَفْتُ بِسَمْعِي بِتَوَامٍ
لَا تُطَاوِلُهُ فِي الْفَخَارِ فَمَا غَا
ذِكْرُهُ لَذَّةُ الْمَسَامِيعِ فَاسْتَمَّ
ثُمَّ مَغْنَى وَصُورَةٌ فَهَوْفِي الْحَا

(١) الداران، يعني الدنيا والآخرة.

(٢) الدياجي: الظلمات. جَنُّ: ستر.

(٣) الصرير: صوت القلم. اليراع: القصب، ويريد القلم.

(٤) البحر المسجور: البحر الذي ماؤه أكثر منه.

رُزْتُ أَبَوَابَهُ الَّتِي أَسْفَدَ اللَّهُ
 كُلُّ مَنْ زَارَهَا يَعُودُ كَمَا عُدْتُ
 وَكَفَانِي سَفِييَ إِلَيْهَا الْأَفْدَى
 إِنْ مَنْ دَبَّرَ الْمَمَالِكَ لَا يَغُرُّ
 كَانَ رِزْقِي مِنْ جَدِّهِ وَأَبِيهِ
 وَإِذَا كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ عَلَى الرِّوَا
 فَارِسِ الْخَيْلِ الْعَالِمِ الْعَامِلِ أَلَمْ
 لَمْ يَزَلْ مِنْ عُلُومِهِ وَتَقَاهُ
 أَبَدًا بِالصُّوَابِ يَنْظُرُ فِي الْمُنْمَا
 فَعَدَّ الْجُنْدُ وَالرُّعِيَّةُ وَالْمَا
 فَأَقْلُ الْأَجْنَادِ فِي مِصْرَ يُزْرِي
 قُلْ لِمَنْ خَابَ قَضْدُهُ فِي جَمِيعِ الدُّ
 يَمُمُ الصَّاحِبِ الَّذِي يُتَرَجَّى
 وَيَعِيدُ الْأُمُورَ مِثْلُ قَرِيبِ
 أَوْ مِمَّا لَقِيتُ مِنْ غَيْبَتِي عَنْ
 كَثَرِ الشَّاهِدُونَ لِي أَنِّي مُدْ
 مِنْ لَشَيْخِ ذِي عِلَّةٍ وَعِيَالٍ
 أَثْقَلُوهُ وَكَثَّفُوهُ مَسِيرًا
 فَهَوَّ فِي قَيْدِهِمْ يُذَادُ مِنَ السَّدِّ
 وَعَثَّتْ أُمُّهُمْ عَلَيَّ وَلَجَّتْ

بِهَاسِكُلْ زَائِرٍ وَمُزُورٍ
 تُبْفَضِّلُ مِنْهَا وَأَجْرُ كَثِيرٍ
 مِنْهُ بِالرُّشْدِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ
 رُزْتُ عَنْ حُسْنِ رَأْيِهِ تُذَبِّيرِي^(١)
 أَيُّ رِزْقٍ مُسَيَّرٍ مُزُورٍ
 رِثْ إِنِّي عَبْدُ الْعَبْدِ الشُّكُورِ
 حَبِيرُ الْهَمَامِ الْخَلَّاحِ الْتَحْرِيرِ^(٢)
 بَيْنَ تَاجٍ مِنْ سُودٍ وَسَرِيرِ^(٣)
 لَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِ مَالِهِ الْمَغْمُورِ
 لُبْخِيرٍ مِنْ سَفِييَةِ الْمَشْكُورِ
 مِنْ بِلَادِ الْعِدَا بِأَوْقَى أَمِيرِ
 لَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ وَمِنْ مَأْمُورِ
 فَتَحْتُ ثَغْرِيهِ وَسَدَّ ثُغُورِ
 عِنْدَهُ وَالْعَسِيرُ مِثْلُ يَسِيرِ
 وَمِنْ نَسَبَتِي إِلَى التَّقْصِيرِ
 تَوَفَّى الْبُعْدَ عَنْهُ قُلْ عَذِيرِي^(٤)
 ثَقُلْتُ ظَهْرَهُ بِغَيْرِ ظَهِيرِ^(٥)
 وَمِنْ الْمُسْتَحِيلِ سَيْرُ ثَبِيرِ^(٦)
 عِيْلِي لِتَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ كَالْأَسِيرِ
 فِي عُثُورٍ مِنْ كِبَرَتِي وَثُغُورِ^(٧)

(١) يغرب: يغيب.

(٢) الحَبِيرُ: العالم الحاذق. الْهَمَامُ: السيد الشجاع السخي. الْخَلَّاحُ: السيد الشجاع، أو الضخم الكثير المروءة. التَّحْرِيرُ: الحاذق العاهر.

(٣) السُّودُ: السيادة.

(٤) العَلِيرُ: العاذر.

(٥) الظَّهِيرُ: النصير.

(٦) ثَبِيرُ: اسم لعدة جبال بظاهر مكة وهي: ثبير الخضراء، والنُّصع، والزُّنَج، والأعرج، والأحذب، وغنياء.

(٧) عَتَا: استكبر، وجاوز الحد.

وَدَعَثَ دُونَهُمْ هُنَالِكَ بِالْوَيْدِ
حَسِبْتُ عَلَيَّ تَزُولُ فَقَالَتْ
كُنْ دَاءَ لَهُ دَوَاءٌ فَتَجُجُلُ
قُلْتُ مَهْلًا فَمَا يَمْلِحُ السَّقْنَقُورُ
سَقَطَتْ قُوَّةُ الْمَرِيضِ الَّتِي كَانَتْ
وَعَصَانِي نَظْمُ الْقَرِيضِ الَّذِي جَاءَ
وَأَزْدَرْتَنِي بِعَضِّ الْوَلَاةِ وَقَدْ أَضْ
وَعَسَلْتُ الَّذِي جَمَعْتُ مِنَ الشَّغَفِ
وَنَهَيْتَنِي عَنِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ
وَهَجَرْتُ الْكِرَامَ حَتَّى شَكَانِي
وَكَزُّ غَبِ الْقَطَا وَرَائِي فِرَاحُ
يَتَعَاوُونَ كَالذُّنَابِ وَيَنْقَضُ
وَقَتَاةُ مَا جُهِزَتْ بِجِهَازِ
وَأَقْتَضَتْنِي الشَّوَارِ بِغِيَا عَلَى مَنْ
هَذِهِ السُّورَةُ الَّتِي أَقَعَدْتَنِي
أَقَعَدْتَنِي بِقَرِيبةٍ أَسْلَمْتَنِي
كُلَّ يَوْمٍ مُنْغَصَصٍ بِطَعَامِ
وَرِفَاقِي فِي خِدْمَةِ طَوْلِ عُمَرِي
كُلَّمَا رَمْتُ أَنْسَهُمْ ضَرَبُوا
وَأَبَوُا أَنْ يُسَاعِدُونِي عَلَى قُوَّةِ
فَسَيُغْنِيَنِي إِلَّا لَهُ عَنْهُمْ بِجَدْوَى

لِي لِأَمْرِ فِي نَفْسِهَا وَالثُّبُورِ^(١)
يَا كَثِيرَ التَّهْوِينِ وَالتَّهْوِيرِ^(٢)
بِمُدَاوَاةِ دَاءِ غَضِّهِ وَخَطِيرِ
رَأْدِ أَوِي وَلَا يَلْخُمُ الذُّرُورِ^(٣)
نَتَقْدِمُ مَا تَزَادُ بِالْكَافُورِ
رُدُّي وَلَا عَلَى قَرِيضِ جَرِيرِ^(٤)
بَخِ شِعْرِي فِيهِمْ كَخَبْرِ الشَّعِيرِ^(٥)
رَبِّ قَرِيضٍ عَلَيْهِ غَسَلٌ صَخُورِ
شِدَّةُ الْبَاسِ مِنْ سَخَافِي مَسِيرِ
مِنْهُمْ كُلُّ عَاشِقٍ مَهْجُورِ
مِنْ إِنَائِ أَعْوَلُهُمْ وَذُكُورِ^(٦)
وَمِنْ قَرْطِ جُوعِهِمْ كَالثُّسُورِ
خُطِبْتُ لِلدُّخُولِ بَعْدَ شُهورِ
بَيْتُهُ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُ خَصِيرِ
عَنْكَ آيَاتُهَا قَعُودَ حَسِيرِ^(٧)
لِضْيَاعٍ مِنْ فِائِئِي وَكُفُورِ
أَوْزِ فَيْقٍ مُنْغَصَصٍ بِشُرُورِ
رِفْقَتِي فِي الْجِرَانِ مِثْلُ الْحَمِيرِ^(٨)
مِنْ وَخْشَةٍ بَيْنَهُمْ وَيَتَيْنِي بِسُورِ
تِ عِيَالِي بِخِلَافِ كَيْلِ بَعِيرِ
خَيْرِ مَوْلَى لَنَا وَخَيْرِ نَصِيرِ

(١) الريل والثبور: الهلاك.

(٢) التهوير: الوقوع في الأمر بقلّة مبالاة.

(٣) السَّقْنَقُور: دابة تنشأ بشاطئ بحر النيل، لحمها باهي.

(٤) جرير: الشاعر جرير بن عطية الخطفي.

(٥) يريد أن شعره قد كسد فلا يستسيغه بعض الولاة.

(٦) القطا: من الطيور.

(٧) حسير: كليل، ضعيف.

(٨) يقال: خَرَنْتِ الدَّابَّةَ جِرَانًا فَهِيَ خَرُونٌ إِذَا اسْتَدِيدَ جَرِيهَا، وَقَفَتْ.

صَاحِبٌ يَبْلُغُ الْمُؤْمِلُ مِنْهُ
 مِنْ أَنَاثِ سَادُو آبَنِي الدِّينِ وَالذُّنُ
 مَرَّتِ النَّاطِرِينَ مِنْهُمْ وَجَوَّة
 وَرَثُوا الْأَرْضَ مِثْلَ مَا كَتَبَ اللَّهُ
 فِيهِمُ الْقَائِمُونَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ
 وَمُؤْمِنُونَ وَالْوَارِثُونَ الْفِرْدَوْ
 عِبْدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
 وَأَخْبُوا آلَ النَّبِيِّ فَكَانُوا
 فِي مَقَامٍ مِنَ الصُّلَاحِ وَأَمِنَ
 أَهْلُ بَيْتِ مُطَهَّرِينَ مِنَ الرُّجَا
 حُجِبُوا بِالْأَنَافِثِ عَنَّا وَبِالزِّي
 لَيْسُوا الزِّي بِالْقُلُوبِ وَأَغْنُوا
 وَأَزَوْنَا أَهْلَ التَّقَى فِي الزَّوَايَا
 وَأَتَوَاكَلْتُمْ بِقَلْبِ سَلِيمٍ
 وَحَكَمْتُمْ دُرِّيَّةً كَالدَّرَارِيِّ
 يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ لَا الْجَزَاءِ
 عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ مَا جَهَلْنَا

كُلُّ مَارَامَةٍ بِتَفْسِيرِ سَفِيرِ
 يَأْفَمَا فِي الْوَرَى لَهُمْ مِنْ تَنْظِيرِ^(١)
 وَصِفَتْ بِالْجَمَالِ وَصَفَ الْبُدُورِ
 تَعَالَى فِي الذِّكْرِ بَعْدَ الزُّبُورِ
 لِإِلْقَاسِطِ وَالزَّمَانِ الْأَخِيرِ
 سِ وَالْمُقْلِحُونَ فِي التَّفْسِيرِ
 نَ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ نُورٍ
 مَعَهُمْ فِي مَغِيبِهِمْ وَالْحُضُورِ
 وَمُقَامٍ مِنَ التَّعْيِيمِ وَتَسِيرِ^(٢)
 سِ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ عَنِ التَّطْهِيرِ
 وَأَخْفُوا جَمَالَهُمْ بِالْخُدُورِ
 صِدْقُهُمْ عَنْ لِبَاسِ ثَوْبِي زُورٍ
 سَلَّمُوا فِي الْبَقَا لِأَهْلِ الْقُصُورِ
 وَأَتَى غَيْرُهُمْ بِثَوْبِ نَقِيرِ^(٣)
 مِنْ يُطُونُ زَكِيَّةً وَظُهُورِ^(٤)
 يَتَرَجَّوْنَهُ وَلَا لِشُكُورِ
 وَكَفَاهُمْ شُكْرُ الْعَلِيمِ الْخَبِيرِ

ومن قوله، وَكَانَ قَدْ أَشْبَعَ أَنَّهُ مَاتَ^(٥): [الخفيف]

عاش بعد موت

عَاشَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ الْبُوصِيرِي
 عَاشَ قَوْمٌ مَذْقِيلَ إِنِّي قَدْ مِتُّ
 لَسْتُ بِمَنْ يَمُوتُ أَوْ يَقْدُمُونِي
 وَحَيَاةُ الْكِلاَبِ مَوْتُ الْحَمِيرِ
 فَمَاتُوا قَبْلِي بِوَحْزِ الصُّدُورِ
 وَأَبْكِي عَلَيْهِمْ فِي الْقُبُورِ

(١) الْوَرَى: الْخَلْقُ.

(٢) التَّوْبِ: الْمَوْتَ.

(٣) الثَّوْبِ النَّقِيرِ: أَيِ الْمَنَقُورِ.

(٤) الدَّرِّيَّةُ: الْوَلَدُ. دَرَارِي: جَمْعُ دُرَّةٍ: لَوْلُؤَةٌ عَظِيمَةٌ

(٥) الْمُفْقَى لِلْمَقْرِيزِيِّ: ٢٥٠.

وَصَحِيحٌ بِأَنْفِي كُنْتُ قَدْ مِثْ وَأَخِيَانِي جُودُهُذَا الْوَزِيرُ

وقال فيمن على عينيه بياض: ^(١) [مجزوء الكامل]

عين بياض

اَنْظُرْ بِخَمْدِ اللَّهِ فِي طَمَسِ الْيَمِينِ يَكُوكِبِ
عَيْنَيْنِي سِرًّا أَيَّ سِرٍّ وَسَيَطُمَسُ الْيُسْرَى بِفَجْرِ

وقال: [الطويل]

ثناؤك أعطر

ثَنَاؤُكَ مِنْ رَوْضِ الْخَمَائِلِ أَغْطَرُ
وَمَغْفِيكَ مَقْبُولٌ مُقْبِلُ
وَجَاءَكَ مَا تَخْتَارُ مِنْ كُلِّ رَفْعَةٍ
وَقَدْ رُكَّ أَعْلَى أَنْ تُهْنَى بِمَنْصِبِ
فِيَا لَكَ شَمْسًا تَمْلَأُ الْأَرْضَ رَحْمَةً
لَقَدْ مِلَّتْ حُبًّا وَرَغْبًا قُلُوبُنَا
وَقَدْ أَذَعَتْ حَبَامِنَ الْجَوَارِحِ طَاعَةً
يَرُوعُ الْعِدَامِثِلَ الْبَغَايَا إِمَاءَةً
فِي أَيُّهَا الشَّمْسُ الَّذِي فِي صَفٍّ
تَعْلَمُ مِنْكَ النَّاسُ مَا مَدَّ حَوَابِهِ
وَأَنْتَ هُمَامٌ قَدْ مَشَتْ ثَلَاثَةٌ
وَوَجْهَكَ مِنْ شَخْسِ الْأَصَائِلِ أَنْوَرُ ^(٢)
وَكُلُّ مَرَامٍ رُمَتْ فَهُوَ مَيَّسَرُ
كَأَنَّكَ فِي أَمْرِهِ الْمَعَالِي مُخَيَّرُ
وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا أَجَلُ وَأَنْجَبَرُ
وَيَمْلَأُ مَا شَوْقَالَهُ حِينَ يُذَكَّرُ
بِهِ فَهُوَ بِالْأَمْرِ يَنْ فِيهَا مَصُورُ
لَهُ إِنْ سُلْطَانَ الْجَوَارِحِ مُنْقَرُ ^(٣)
إِذَا رَاغَبًا مِنْ رُمَحِهِ اللَّذِينَ مَثِيرُ ^(٤)
عُقُولُ الْوَرَى مِنْ دَفْئَةٍ تَتَحَيَّرُ ^(٥)
كَأَنَّكَ فِيهِمْ لِلْقَضَائِلِ عُصْرُ
لَهَا الْمُتَنَهَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَمُنْظَرُ ^(٦)

(١) فوات الرويات: ٣/٣٦٧.

(٢) الخمائيل: جمع الخميعة: المنهبط من الأرض، وهي مكرمة للنبات، الأصائل: جمع الأصل: القبي.

(٣) الجوارح: الأعداء. منقر: اسم المملوح، وهو المعروف بسنقر الأشقر وكان تسلطن بدمنة سنة ٦٧٩هـ: واستمرت سلطته حتى سنة ٦٨٥هـ حيث سلم لقلاوون.

(٤) الرمح اللدن: الرمح اللين.

(٥) الوري: الخلق.

(٦) الهمام: السيد الشجاع.

مِنَ الشُّرَكَاءِ فِي أَخْلَاقِهِ يَدْوِي
وَكَمْ فَتَنَتْ بَيْنَ الْعَشِيرِ أَزَالِهَا
فَأَخْمَدَ مَابَيْنَ الْخَلِيلِ بِرَأْيِهِ
وَقَدَرَتْ شَرَّ نِيرَ أَوْ قَبْضًا وَحَارِثًا
وَقَدْ أَخْرَجَتْ مَا لَيْسَ بِغَمْرٍ عَامِرٍ
وَلَوْلَا هَلَمْ تَحْمَدِ مِنَ الْقَوْمِ فِتْنَةً
إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَفْضُلَ أَمْرَهُ
فَلِإِنْ قَوَّضَ السُّلْطَانُ أَمْرَ بِلَادِهِ
وَأَمْسَ رَأَى حَالَ الْمَحَلَّةِ حَائِلًا
فَقَالَ لِأَهْلِ الرَّأْيِ مَنْ يُرْتَضَى لَهَا
فَمَا غَيْرُ شَمْسِ الدِّينِ يَخِمِي دِيَارَهَا
خَبِيرٌ بِأَحْوَالِ الْأَنَامِ كَأَنَّهُ
وَلَا يَشْرُ مَا بَيْنَ الرَّعَايَا وَبَيْنَهُ
فَلَمَّا زَاتِ أَهْلَ الْمَحَلَّةِ قَدْرَهُ
تَنَاجَوْا وَقَالُوا: قَامَ فِينَا خَلِيفَةٌ
هَلُمُّوا لَهُ فَهَوَ الرَّئِيسُ بِرَأْيِهِ
فَقُلْتُ لَهُمْ رَسُولٌ بِسِيَادَةِ
قُلِّ لِلرَّعَايَا لَا تَخَافُوا ضَلَامَةً
فَقَدْ جَاءَكُمْ وَالْبَرْقُ يُوقِظُ يَوْفَهُ
فَتَى حَسُنَتْ أَخْبَارُهُ وَاخْتِيَارُهُ
عَجِبْتُ لَهُ بِرُضِيهِ الرَّعَايَا أَتَضَاعُهُ
وَيَزِيهِ الْعِلْمُ مِنْ كَفِّهِ بِصَوَاعِقِ
وَيَجْمَعُ شِرَّ الْمَاءِ وَالنَّارِ سَيْفُهُ

لَهَا يَغْتَزِي زَيْدٌ وَعَمْرٌ وَوَعْنُشُرُ
وَكَانَ بِهَا لِلنَّاسِ يَغْتُ وَمَخْشُرُ
وَنَابِلُسَ النَّارِ الَّتِي تَشَقَّرُ^(١)
كِنَانَةٌ مِثْلَ الْكَرْمِ إِيَّانُ يُزَيَّرُ^(٢)
وَقَدْ قُتِلَتْ مَا لَيْسَ بِغَمْرٍ مَقْبَرُ
وَلَمْ يَنْتَعِدْ فِيهَا عَلَى الصُّلْحِ مَشُورُ
يُنْطَقُ ذَا رَأْيٍ بِهِ وَيُبْصُرُ
إِلَيْهِ فَمَا خَلَقَ بِهِ مِنْهُ أَجْدَرُ
وَاعْمَالُهَا وَالْجُورَ يَنْهَى وَيَأْمُرُ
فَقَالُوا لَهُ اللَّيْثُ الْهُمَامُ الْغَضَنْفَرُ^(٣)
سُطَاهُ كَمَا يَخِمِي الْغَرِيْبَةَ قَسُورُ^(٤)
بِمَا فِي نُفُوسِ الْعَالَمِينَ يُخْبِرُ^(٥)
وَلَكِنَّهُ جَلَمًا عَلَى النَّاسِ يَسْتُرُ
يُعَزِّزُ مَا بَيْنَ الْوَرَى وَيُوقِرُ
وَلَكِنْ لَهُ مِنْ صَبُوءِ الظَّرْفِ مِثْبَرُ
وَمِنْ يَدَيْهِ جُودٌ كَفَيْهِ جَعْفَرُ
وَصَارِيَهُ لِلنَّاسِ هَادٍ وَمُثْلِرُ
وَلَا تَخْزَنُوا مِنْ حُكْمِ جُورٍ وَأَبْشُرُوا
إِذَا لَمَعَتْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ مُنْكَرُ
وَطَابَ مَغِيبٌ مِنْ عِلَافِهِ وَمَخْضَرُ
وَيَغْظُمُ مَا بَيْنَ الرَّعَايَا وَيَكْبُرُ
وَأَتَمُّ لَهَا أَنْهَارُ جُودٍ تَحْلُرُ^(٦)
وَفِي الْعُودِ سِرُّ النَّارِ وَالْعُودُ أَخْضَرُ

(١) الخليل ونابلس: بللتان بفلسطين. ويشير إلى إخماد الفتنة هناك.

(٢) زير: رمي.

(٣) الليث، والغضفر، من أسماء الأسد.

(٤) القنور: الأسد.

(٥) الأنام: البشر.

(٦) الأتزل: جمع الأنثلة: رأس الإصبع.

وَيُخْبِرِي عَلَى وَفْقِ الْمُرَادِ أُمُورَهُ
وَتُفْقِلُ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِهِ فِكْرَهُ
وَيُسْتَفْظِمُ الظِّلْمَ الْحَقِيرَ فَلَوْ بَدَا
فَطَهَّرَ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ نَاسِدٍ
وَمَهَّدَهُ لِلْسَّالِكِينَ مِنَ الْأَدْيِ
فَشَرَّقَ وَغَرَّبَ فِي الْبِلَادِ فَكَمَلَهُ
وَمَا كَلَّ وَالْإِمْثَلُ فِيهِ يَفْظَةُ
أَنَامَ الرُّعَايَا فِي أَمَانٍ وَطَرَفُهُ
فَلَا الْخَوْفُ مِنْ خَوْفِ الْمَ بَارِضِهِ
أَتَى النَّاسَ مِثْلَ الْغَيْثِ فِي أَرْضِ جُودِهِ
وَكَانَتْ وِلَاةُ الْحَرْبِ فِيهَا كَعَاصِفٍ
وَكُلُّ أَمْرٍ بِهِ وَلَيْتُهُ فِي رَعِيَّةٍ
فَمَنْ حَسُنَتْ آثَارُهُ فَهُوَ مُقْبِلٌ
وَكَمْ سَعِدَتْ بِالطَّالِعِ السُّعْدِ أُمَّةٌ
فَمَا بَلَغَ الْقُضَا ذُغَايَةَ سُؤْلِهِمْ
وَمَنْ حَظَّهُ مِنْ حُسْنِ مَذْجِي وَافِرٍ
أَمْوَالِي غُذْرَافِي الْقَرِيضِ وَكُلُّ مَنْ
لَكَ الْهَمَمُ الْعُلْيَا وَكُلُّ مُحَاوِلٍ
تَبَاشَرَتْ الْأَعْمَالُ لَمَّازًا أَيْتَهَا
عَذَرْتُ الْوَرَى لَمَّازًا أَوْكَ فَهَلَّا
دَعَوْتُكُ بِهَا كَسْرِي وَكَمْ لَكَ نَائِبٌ
عَمَرَتْ بِهَا مَا لَيْسَ يَخْرَبُ بَعْدَهَا
تَفَاءَلْتُ لَمَّا قِيلَ: مَنْ سَخَا
فَيَمُنُّهُ مُسْتَبْشِرًا بِقُدُومِهِ

فَيَنْبَسُطُ فِيهَا مَا يَشَاءُ وَيَقْدُرُ
لَهُ وَقَدْ اغْتَنَصَتْ عَلَى مَنْ يُفَكِّرُ^(١)
كَمِثْلِ الْقَذَافِي الْعَيْنِ أَوْ هُوَ أَخْقَرُ
وَمَا خَلَقَتْهُ مِنْ قَبْلِهِ يَتَطَهَّرُ
فَلَيْسَ بِهِ الْأَعْمَى إِذَا سَارَ يَغْتَرُ
بِهَاعَابٍ يُثْنِي عَلَيْهِ وَيَغْبُرُ
وَلَا قَلْبُهُ بِاللَّهِ قَلْبٌ مُتَوَرِّدٌ
لِمَافِيهِ إِضْلَاحُ الرُّعِيَّةِ يَسْهَرُ
وَلَا الشَّرُّ فِيهَا بِالْخَوَاطِرِ يَخْطُرُ
يُرَوِّضُ مَا يَأْتِي عَلَيْهِ وَيُزْهِرُ
مِنَ الرِّيحِ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ تُدْمِرُ
بِمَافِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ يُؤَثِّرُ
وَمَنْ قُبِحَتْ آثَارُهُ فَهُوَ مُذْبِرٌ
وَكَمْ شَقِيَتْ بِالطَّالِعِ النَّحْسِ مَعْشَرُ
لَقَدْ خَابَ مَنْ يَزْجُو سِوَاهُ وَيَحْذَرُ
وَحَظِّي مِنْ إِخْسَانِهِ بِي أَوْفَرُ
شَكَ الْعَجْزُ عَنْ إِدْرَاكِ وَضْفِكَ يُعْذَرُ^(٢)
مَدَاهَا وَكَمْ بِالْمَذْحِ مِثْلِي مُقْصَرُ
بِمَزَاكِ وَالْوَجْهَ الْجَمِيلُ مُبَشَّرُ
لِمَطْلَعِ شَمْسِ الْفَضْلِ مِنْكَ وَكَبُرُوا^(٣)
يُقَرَّلُهُ فِي الْعَذْلِ كَسْرِي وَقِيَصَرُ
وَقَدْ أَخْرَبَ الْمَاضُونَ مَا لَيْسَ يَغْمُرُ
وَكُلُّ أَمْرٍ عَادِلٌ لِمُلْقَاهُ مُبَكَّرُ
وَطَائِرُ حَظِّي مِنْهُ بِالسُّعْدِ يُزْجَرُ^(٤)

(١) اعتناص الأمر عليه؛ اشتد.

(٢) القرِيض: الشعر.

(٣) الوري: الخلق.

(٤) زجر الطير: تفاعل به.

وَحَقَّقَ طَرْفِي أَنْ مَرَّ أَكْجَنَّةٌ
 وَلَوْلَمْ تَكُنْ شَمْسًا سِزَتْ فِي الضُّحَى
 وَاقْبَلَتْ تُحْيِي الْأَرْضَ مِنْ بَغْدِ مَوْتِهَا
 فَأَخْرَجَتْ مَرْعَاهَا وَأَجْرَيْتَ مَاءَهَا
 وَلَوْلَاكَ مَارَا عَثَبُ حُورٍ أَثْرَاهَا
 فَهَامِي تَخْكِي جَنَّةَ الْخُلْدِ نَزَاهَةً
 وَأَعْطَيْتَ سُلْطَانًا عَلَى الْمَاءِ عَالِيًا
 فَخُذْ آيَتِي مُوسَى وَعِيسَى بِقُوَّةٍ
 فَيَا صَالِحًا فِي قِسْمَةِ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ
 فَنِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِكَ الْمَاءِ رَاكِدٌ
 فَهَذَا هُوَ وَقْتُ وَحْدُمُعَيْنِ
 فَنِيْنَا لِابْنِ طَيْرٍ أَنْكَ زُرْتَهَا
 دَعَتْ لَكَ سُكَّانَ بِهَا وَمَسَاكِنُ
 وَصَلُّوا بِهَا شُكْرًا وَصَدَّقُوا
 فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بِالْعَدْلِ مُخَصَّبٌ
 أَتَيْتُكَ بِالْمَدْحِ الَّذِي جَاءَ مُظْهِرًا
 فَخُذْهُ ثَنَاءً يُخْجِلُ الزُّهْرَ نَظْمُهُ
 مِنْ الرَّأْيِ أَنْ يُهْدَى لِمِثْلِكَ مِثْلُهُ
 فَنَيْتُ بِشِعْرِي وَهُوَ كَالسُّخْرِ فَتَنَةٌ
 وَمَالِي أَرْكَى النَّفْسَ فِيمَا أَقُولُهُ
 وَهَذَا شَمْسُ الدِّينِ لِلْفَضْلِ بَاهِرٌ
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو أَنْ صَفْوَمَوْدَتِي
 وَإِنْ أَظْهَرَ الْأَصْحَابُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ
 وَإِنْ غَرِسَتْ فِي أَرْضِ قَلْبِي مَحَبَّةٌ

وَبَشِّرْكَ بِرِضْوَانٍ وَكَفُّكَ كَثْرَتَهُ (١)
 تَسُرُّ عُيُونَ النَّاطِرِينَ وَتُبْهِرُ
 وَفِي الْجُودِ مَا يُحْيِي الْمَوَاتَ وَيَنْشُرُ
 عُدَاةَ بِحَارِ الْأَرْضِ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
 وَلَا كَانَ مِنْ جِسْرِ عَلَى الْمَاءِ يُجَسِّرُ
 وَمِنْ تَخْتِهَا أَنْهَارُهَا تَنْفَجِرُ
 بِهِ يَزْخَرُ الْبَحْرُ الْخِضْمُ وَيُسْجَرُ (٢)
 وَكُلُّ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ تَحْسُرُوا
 وَلَانَاقَةٍ فِي أَرْضِهِمْ لَكَ تُغْفَرُ (٣)
 وَفِي بَلَدٍ مِنْ حُكْمِهِ يَتَّخِذُ
 وَهَذَا هُوَ وَقْتُ وَقْتُ مُقَدَّرُ
 وَشَرَفَهَا مِنْ وَقَعِ خَيْلِكَ عَنَبَرُ (٤)
 وَلَمْ يَذْغِ الْأَعَامِرُ وَمُعَمَّرُ
 وَحَقٌّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُصَلُّوا وَيَنْحَرُوا
 وَبِالْحَمْدِ وَالذِّكْرِ الْجَمِيلِ مُعْطَرُ
 إِلَى النَّاسِ مِنْ حُبِّكَ مَا أَنَا مُضْمِرُ
 وَهَلْ تُنْظِمُ الْأَزْهَارَ تُنْظِمِي وَتُنْشُرُ
 جَهْلَتُ وَهَلْ يُهْدِي إِلَى الْبَحْرِ جَوْهَرُ
 وَقُلْتُ كَذَا كَانَ أَمْرُ الْقَيْسِ يَشْعُرُ
 وَأَتَبَعُهَا فِيمَا يَذْمُ وَيُشْكُرُ
 وَلَيْسَ بِخَافٍ عَنْهُ لِلْفَضْلِ مَخْبِرُ
 عَلَى كَذْرِ الْأَيَّامِ لَا تَتَكْذَرُ
 فَإِنِّي بِمَا عِنْدِي مِنَ الْوَدِّ مُظْهِرُ
 فَلَيْسَ بِبُغْضٍ آخِرُ الدَّهْرِ تُثْمِرُ

(١) الكثرة: الكثير من كل شيء.

(٢) الخضم: البحر: يسجر الماء: يتفجر.

(٣) تغفر: تدبح.

(٤) ابنو طير: اسم بلد.

وَيَمْلِكُنِي خُلُقٌ عَلَى السُّخْطِ وَالرُّضَا
وَقَلْبٌ كَمِثْلِ الْبَحْرِ يَغْلُو غِيَابُهُ
إِذَا بُسِلَ الْإِبْرِيْزُ جَاشَ لِعَابُهُ
وَمَا خُلِقِيْ مَذْحُ اللَّئِيمِ وَإِنْ عَلَتْ
وَلَا أَبْتَغِي الدُّنْيَا وَلَا عَرَضَابَهَا
لِيَغْلَمَ أَغْنَى الْعَالَمِينَ بِأَنَّهُ
وَأَبْسَطُ وَجْهِي حِينَ يَقْطُبُ وَجْهَهُ
أَنْظِمُ هَذَا الدُّرِّيَّ جِيدَ جَاهِلٍ
وَعِنْدِي كَلَامٌ وَاجِبٌ أَنْ أَقُولَهُ
وَلَمْ تَرَنِي لِلْمَالِ بِالْمَذْحِ مُؤَثِّرًا
فِيَا مُضْذِرَ الْفَضْلِ الَّذِي الْفَضْلُ دَابُّهُ
بَرِثْتُ مِنَ الْمُسْتَخْدِمِينَ فَخَيْرُهُمْ
هَدَرْتُهُمْ مِثْلَ الرُّمَادِ لِكَيْذِبِهِمْ
فَلَا تُذَنِّهِ مِنْهُمْ وَاجِدْ أَمْنَكَ سَاعَةً
وَقَدْ قِيلَ كُتَابُ النَّصَارَى مَنَائِرُ
فَبَرِّدْ فَوَادِي بَانَتْ قَامِكُ مِنْهُمْ
مُنِغَتْ بِهِمْ حَظِي شُهُورٌ أَوَّلَمْ أَصِلْ
وَحَسْبُكَ أَتَى مِنْهُمْ مُتَضَوِّرُ
فَوَاعِجِبَا مِنْ وَاقِفٍ مِنْهُمْ عَلَى
يَقُولُونَ لَوْ شَاءَ الْأَمِيرُ أَزَالَ هُمْ
فَقَدْ قَهَرَ السُّلْطَانُ كُلَّ مَعَانِدٍ
وَمَا فِيهِمْ إِلَّا بَارَكَ اللَّهُ فِيهِمْ
إِنْ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ كَانَ أَقْلُهُمْ

جَمِيلٌ كَمِثْلِ الْبُرْدِ يُطَوَّى وَيُنَشَّرُ
وَيَزْخَرُ مِنْ غَيْظٍ وَلَا يَتَغَيَّرُ^(١)
وَيَضْفُو بِمَا يَطْفُو عَلَيْهِ وَيُظْهَرُ^(٢)
بِهِ رُتَبٌ لَا أَتْنِي مُتَكَبِّرُ
بِمَذْحِي فَإِنِّي بِالْقَنَاعَةِ مُكْثِرُ
إِلَى كَلِمِي مَنِي لِدُنْيَاةٍ أَفْقَرُ
فَيَحْسَبُ أَنِّي مُوسِرٌ وَهُوَ مُغْسِرُ
وَأُظْلِمُهُ إِنِّي إِذَنْ لَمْ يَبْطُرُ
فَلَا تَسْأَلُوا مِنِّي أَقُولُ وَتَسْخَرُوا
وَلَكِنِّي لِلْوُدِّ بِالْمَذْحِ مُؤَثِّرُ
فَمَا اشْتَقُّ إِلَّا مِنْهُ لِلْفَضْلِ مَضْذِرُ
لِصَاحِبِهِ أَغْدَى وَأَذَى وَأَنْكَرُ
وَعِنْدِي أَنَّ الْمَرْءَ بِالْكَذِبِ يُهْدَرُ
وَلَوْ فَاحَ بُرْدِي بِهِ مِنْكَ وَعَنْبَرُ
فَمَا مِثْلُ كُتَابِ الْمَحَلَّةِ مَنَسَّرُ^(٣)
فَقَدْ كَادَ قَلْبِي مِنْهُمْ يَتَفَطَّرُ^(٤)
إِلَى حَظِّهِمْ حَتَّى مَضَتْ لِي أَشْهُرُ
وَكُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ كَذَا يَتَضَوِّرُ^(٥)
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ مَعِيَ يَتَهَوِّرُ^(٦)
فَقُلْتُ زَوَالِ الْقَوْمِ لَا يُتَصَوِّرُ
وَمَا أَحَدٌ لِلْقَبْطِ فِي الْأَرْضِ يَقْهَرُ
أَخَوْقَلَمُ إِلَّا يَخُونُ وَيَغْدِرُ
عَلَى كُلِّ سُوءٍ يُعْجِزُ النَّاسَ أَقْدَرُ

(١) غِيَابُ الْبَحْرِ: كَثْرَةُ مَائِهِ، وَارْتِفَاعُ الْمَاءِ، أَوْ الْمَوْجُ.

(٢) الْإِبْرِيْزُ مِنَ الذَّهَبِ: الْخَالِصُ.

(٣) الْمَنَسَّرُ: الْمُنْقَارُ، وَيُرِيدُ أَنَّهُمْ لِمَوْصُوعُونَ.

(٤) يَتَفَطَّرُ: يَتَشَفَّقُ.

(٥) التَضَوُّرُ: التَّلَوُّيُّ مِنَ الضَّرْبِ، أَوْ الْجُرُوعُ.

(٦) الشِّفَا: الْحَافَةُ. الْجُرْفُ: مَا جَرَفَتْهُ السِّيُولُ وَأَكَلَتْهُ مِنَ الْأَرْضِ.

كَأَنَّهُمْ الْجَزَعُوثُ ضَعُفُوا وَجَزَاةُ
رِيَّاسَتِهِمْ أَنْ يُضَفُّوا وَيُجَرَّسُوا
وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الصَّرَفِ صَابِرٌ
وَمَذْكِرَةُ السُّلْطَانِ خِدْمَتُهُمْ لَهُ
إِذْ كَانَ سُلْطَانُ الْبَسِيطَةِ مِنْهُمْ
وَبِالرَّغْمِ مِنْهُمْ أَنْ يَرَوْا لَكَ كَاتِباً
وَيُعْجِبُهُمْ مَنْ جَدَّ جَدِّيهِ بِطَرَسٍ
بِأَنَّ النَّصَارَى يَزْعُبُونَ لِبَغْضِهِمْ
عَدَاوَتُهُمْ لِلْمَلِكِ مَا لَيْسَ تَنْقُضِي
وَمِنْهُمْ أَنَا يُظْهِرُونَ مَوَدَّتِي
وَكَمْ عَمَّرَ الْوَالِي بِلَاداً وَأَخْرَجُوا
وَقَالَ الْوَابِئُ مَسَاقٍ مُخَرَّرٌ
وَكَمْ زُورٍ قَوْلٍ قُلْتُمْ أَيُّ حُجَّةٍ
وَإِنْ تَنْصُرُونِي قُمْتُ فِيهِمْ مُجَاهِداً
وَالْأَفْئَانِي لِلْأَمِيرِ مُذَكَّرٌ
وَكَمْ مُشْتَكٍ مِثْلِي شَكَالِي مِنْهُمْ
وَكُنْتُ وَمَالِي عِنْدَهُمْ طَلَابَةٌ
وَمَا ضَرَّنِي إِلَّا مَعَارِفُ مِنْهُمْ
وَلَوْلَا حَيَاتِي أَنْ أَعَانِدُ مُنْسَكاً
فَإِنْ شَمَّرُوا عَنْ سَاقٍ ظُلْمِي فَإِنِّي
وَأَنْ حَمَلُوا قَلْبِي وَسَارُوا فَمِنْطِقِي
وَأَنْ يَسْبِقُوا إِلَيَّ دُونِي فَإِنَّهُمْ
فَإِنْ أَشْكُ مَا بِي لِلْأَمِيرِ فَإِنَّهُ
فَإِنْ أَشْكُتِ الْيَوْمَ تُلْقِي قِيَادَهَا
وَتُمْلِي عَلَيَّ أَعْدَائِهِ مَا يَسُوءُهُمْ

وَأَنْ يَشْبَعَ الْبُزْعُوثُ لَوْلَا يَعْدُرُ
وَدِينُهُمْ أَنْ يَصْلُبُوا وَيُسَمَّرُوا
وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى الدَّلِّ اضْبَرُّ
تَمَلَّى النَّصَارَى أَنَّهُمْ لَمْ يَنْصُرُوا
يَغَارُ عَلَى الْإِسْلَامِ فَاللَّهُ أَغْيَرُ^(١)
وَمَا أَحَدٌ فِي قَنْدِي مِنْهُ أَمِيرٌ
وَيَخْرُتُهُمْ مَنْ جَدَّ جَدِّيهِ جَحْدَرُ
وَمِنْ غَيْرِهِمْ كُلُّ يُرَاعٍ وَيُزْعَرُ^(٢)
وَذَنْبُ أَخِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ يُغْفَرُ
وَيُغْضِبُهُمْ لِي مِنْ قِفَائِكَ أَشْهَرُ
وَكَمْ أَنَسَ الْوَالِي قُلُوباً وَتَفَرَّوا
وَلَيْسَ لَهُمْ قَلَسٌ مَسَاقٍ مُخَرَّرُ
وَكَمْ حُجَجٍ لِلْخَائِنِينَ تَزُورُ
فَإِنَّهُمْ لَللَّهِ أَغْصَى وَأَكْفَرُ
بِمَا فَعَلُوهُ وَالْأَمِيرُ مُنْظَرُ
كَمَا يَشْتَكِي فِي اللَّيْلِ أَغْمَى وَأَعُورُ
أَزُودُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَسْفَرُ
ذُنُوبٌ وَدَادِي عِنْدَهُمْ لَا تُكْفَرُ
لِحَقِّي أَتَانِي الْحَقُّ وَهُوَ مُعَبَّرُ
لِذْمِهِمْ عَنْ سَاقٍ جَدِّي مُشَمَّرُ
يُحْمَلُ فِي آثَارِهِمْ وَيُسَيَّرُ
بِمَا صَنَعُوا بِالنَّاسِ أُخْرَى وَأَجْدَرُ
لَيَغْلَمُ مِنْهُ مَا أُسِرُّ وَأَجْهَرُ
إِلَيْهِ وَتَجْفُ مَنْ جَفَاةً وَتَهْجُرُ
وَتُوجِي إِلَى أَسْمَاعِهِ مَا يُخْبِرُ

(١) البسطة: الأرض.

(٢) زعير: قل وتفرق.

وقال يداهب بهاء الدين بن علي بن محمد بن سليم بن حنا^(١) : [الكامل]

أيها المولى

يا أيها المولى الوزير الذي
ومن له منزلة في العلا
أخلاقك الغر دَعَتْنَا إِلَى الْإِثْمِ
إِذْ لَمْ تَزَلْ تَضْفَحُ عَمَّنْ جَنَى
حتى لقد يخفى على الناس ما
إليك تشكروا حالنا إننا
أحدث المولى الحديث الذي
صاموا مع الناس ولكنهم
إن شربوا فالبيتر زير لهم
لهم من الخبيز مسلوقة
أقول مهما اجتمعوا حولها
وأقبل العيد وما عندهم
فازحمتهم إن أبصر وأكفكة
تشخص أبصارهم نخوها
فكم أقاسي منهم لوعة
كم قائل يا أبتا منهم
ما صرت تأنينا بفلس
وأنت في خدمة قوم فهل
يا خيبة المسعى إذ لم يكن
لقد تعجبت لها فطنة
وكيف يخلو الطفل من فطنة

أيامه طائفة أمرة
تكل عن أوصافها الفكرة
إذلاء في القول على غرة^(٢)
وتؤثر العفو مع القلوة
تجرب من أمر وماتكرة
عائلة في غاية الكثرة
جري عليهم بالخيط والإبرة
كانوا لمن يبصرهم عبرة
ما برحت والشربة الجرة^(٣)
في كل يوم تشبه التشرة
تنزهوا في الماء والخضرة
قمح ولا خبز ولا فطره
في يد طفل أوزا وأتمره
بشهوة تشبعها زفره
وكم أقاسي منهم حسره
قطعت عنا الخبز في كره
بيد زهم ورق ولا ثقره^(٤)
تخدمهم يا أبتا سخره
يجري لنا أجر ولا أجره
أتى بها الطفل بلاجره
وكل مولود على الفطره

(١) هو وزير كان من أكابر الرجال في عصره، استوزره الملك الظاهر بيبرس توفي سنة ٦٧٧ هـ.

(٢) الأخلاق الغر، يعني الأخلاق الحسنة. غرة: خدعة.

(٣) الزير: الدن.

(٤) الثقرة: القطعة المذابة من الذهب والفضة.

وَيَسُومُ زَارِثُ أَهْمُ أَخْتَهَا
وَأَقْبَلَتْ تَشْكُو لَهَا حَالَهَا
قَالَتْ لَهَا كَيْفَ تَكُونُ النِّسَاءُ
فَوَيْيَاطُ لَبِي خُفِّكَ مِنْهُ بِلَا
وَأَنْ تَأْبَى فَاخُذِي ذُقْنَهُ
قَالَتْ لَهَا مَا عَادَتِي هَكَذَا
أَخَافُ إِنْ كَلِمَتُهُ كَلِمَةٌ
فَهَوَّتْ قُدْرِي فِي نَفْسِهَا
فَاسْتَقْبَلَتْ نِي فَتَهَذَّتْهَا
وَبَاتَتْ الْفِتْنَةُ مَا بَيْنَنَا
وَمَا رَأَى الْعَبْدُ لَهُ مُخْلَصًا
فَحَقُّ مَنْ حَالَتُهُ هَذِهِ

وَالْأَخْتُ فِي الْغَيْرَةِ كَالْفُتْرَةِ
وَصَبْرَهَا مِنْ عِلَى الْغُشْرِ
كَذَا مَعَ الْأَزْوَاجِ يَأْغُرُهُ (١)
تَخْلِفُ مِنْكَ وَلَا فُتْرَهُ (٢)
ثُمَّ انْتَفِيَتْ بِهَا شَفْرَةُ شَفْرِهِ
فَإِنْ زَوْجِي عِنْدَهُ ضَجْرَهُ
طَلَّقَنِي قَالَتْ لَهَا: بَغْرَهُ (٣)
فَجَاءَتْ الزَّوْجَةُ مُخْتَرَهُ
فَاسْتَقْبَلَتْ رَأْسِي بِأَجْرِهِ (٤)
مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى بُكْرِهِ
إِلَّا وَمَا فِي عَيْنِهِ قَطْرَهُ
أَنْ يَنْظُرَ الْمَوْلَى لَهُ نَظْرَهُ

وله في عيد المسيح؛ لم يخبر ولا نبه النصارى لطعام العيد: [مخلع البسيط]

يَهُودُ بُلْبَيسَ كُلِّ عِيدٍ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنَ النَّصَارَى
أَمَّا رَى الْبَغْلَ وَهُوَ بَغْلٌ فِي فَضْلِهِ يَفْضُلُ الْجِمَارَا

قافية السين

قال يمدح صاحب شمس لدين بن الصاحب برهان الدين (٥): (الكامل)

لولا الصاحبين

إِنْ تُخِي آمَالِي بِرُؤْيَا عَيْسَى فَلَطَالَمَا أَنْصَتُ إِلَيْهِ الْعَيْسَا (٦)

- (١) الغيرة من النساء: التي لا تجربة لها.
(٢) فترة: ضعف.
(٣) البعر: رجيع الخُف والظلف.
(٤) الآجر: الحجر المصنوع، وهو من المعرَّب.
(٥) هو شمس الدين عيسى بن الصاحب برهان الدين السنجاري المتوفى سنة ٦٨٢ هـ. وكان ينوب عن والده في الوزارة.
(٦) أَنْصَتُ مِنَ النَّصْرِ: الهزال. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها سُقْرَةً، والواحدة عَيْسَاءُ.

وَحَظِيثٌ بَغْدَالِيَّاسٍ بِالْخَضِرِ الَّذِي
لَوْلَا وَجُودُ الصَّاحِبَيْنِ كُلِّهِمَا
كَمْ قُلْتُ لَمَّا تَجَبَّ الْأَبُ أَبْنَاهُ
لِلَّهِ شَمْسُ الدِّينِ شَمْسٌ أَطْلَعَتْ
رَدَّتْ لِنَايِدِهِ الْغُضُوبَ وَأَسْكَنْتْ
أَغْنَتْ مَكَارِمَهُ الْفَقِيرَ وَأَطْعَمَتْ
جَبْرَ تَصَدَّرَ لِلنُّوَالِ فَلَمْ يَزَلْ
دُعِيَ ابْنُ سِينَا بِالرَّئِيسِ وَلَوْ رَأَى
وَحَسِبْنَاهُ مِنْ بَأْسِهِ وَذَكَائِهِ
مِنْ مَعْشَرٍ لِيُسَارِعُونَ إِلَى الْوَعَى
لُدَّ الْخِصَامُ إِذَا تَشَا جَرَّتِ الْقَنَا
وَأَخُو الْبَسَالَةِ مَنْ غَدَا بِذِرَاعِهِ
يُوقُونَ مَا وَعَدُوا كَأَنَّهُمْ
يَأْتِيهَا الْمَوْلَى الْوَزِيرُ وَمَنْ لَهُ
هُنَّيْتُ تَقْلِيدًا أَتَاكَ مُجَدِّدًا
أُرْسِلْتَ مِنْهُ لِلْخَلَائِقِ رَحْمَةً
وَكَأَنَّ قَارِيَهُ بِيَوْمٍ عَرُوبَةٍ
وَتَنَظَّمَتْ شَمْلَ الْمُلِكِ بِالْقَلَمِ الَّذِي
وَيَسْتَرْكُ الْعُورَاتِ قَدْ كَشَبَ الْوَرَى
مِنْ كُلِّ مَشْدُودِ الْخِنَاقِ بِكُزْبَةٍ
أَطْفَأَتْ نِيرَانَ الْعَدَاوَةِ بَغْدَمَا

مَا زَالَ يَرْقَى أَوْ حَكَّى إِدْرِيسًا^(١)
صَارَتْ بُيُوتُ الْعَالَمِينَ رُمُوسًا^(٢)
لَا غَرْوَ أَنْ يَلِدَ الشُّفَيْسُ نَفِيسًا
فِيْنَا بُدُورَ الْإِلَهْدَى وَشُمُوسًا
بِالْعَدْلِ أَرَامَ الْكِنَاسِ الْخِيسَا
مَنْ كَانَ مِنْ خَيْرِ الزَّمَانِ يَثُوسَا
يَثْلُو عَلَيْهِ مِنَ الْمَدِيحِ دُرُوسَا
غَيْسَى لَسَمَّى نَفْسَهُ الْمَرْؤُوسَا
بِهَرَامٍ قَارَنَ فِي الْعَلَا بَرْجِيسَا^(٣)
مُتَنَازِعِينَ مِنَ الْحِمَامِ كُؤُوسَا
لَمْ يَجْعَلُوا لَهُمُ الْحَدِيدَ لَبُوسَا
لَا دِرْعَهُ يَوْمَ الْوَعَى مَخْرُوسَا
كَانَتْ يَمِينَا بِالْوَفَاءِ غَمُوسَا
جَكَمَ أَغَارَتْ مِنْهُ رَسْطَالِيسَا^(٤)
لِلنَّاسِ مِنْ سُلْطَانِهِمْ نَامُوسَا^(٥)
عَمَّتْ قِيَامًا مِنْهُمْ وَجَلُوسَا
لَكَ يُعَرِّبُ التَّسْبِيحَ وَالتَّقْدِيسَا^(٦)
خَلَّيْتُ مِنْهُ لِلْسُّطُورِ طُورُوسَا^(٧)
لَكَ بِالْدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ رُؤُوسَا
نَفْسَتْ عَنْهُ خِنَاقَةٌ تَنْفِيسَا
أَوْطَأَتْ مِنْهَا الْمُوقِدِينَ وَطِيسَا^(٨)

(١) إدريس يعني النبي إدريس عليه السلام.

(٢) رموس: جمع رَمَس: قبر.

(٣) بهرام: اسم المَرِيخ. البرجيس: اسم نجم، أو هو المشتري.

(٤) رسطاليسا: يعني أرسطو طاليس الفيلسوف اليوناني الحكيم.

(٥) الناموس: صاحب السر.

(٦) يوم عَرُوبَةٍ: يوم الجمعة.

(٧) الطُرس: الصحيفة.

(٨) الوطيس: الثور، ويقال: حَمِي الوطيس، أي اشتدت الحرب.

وَأَزَحَّتْهُمْ مِنْ فَتْنَةٍ تُحْيِي لَهُمْ
مَلَكَتْ جَدِيصٌ وَطَسْمٌ حِينَ تَعَادَتَا
يَابْنَ الَّذِي يَلْقَى الْقَوَارِصَ بِاسِمَاءَ
سَعِدَتْ بِكَ الْجُلَسَاءُ فَاخَذَ بَعْضُهُمْ
بِخُسُوفِ أَضْيُوفِ اللَّهِ عِنْدَكَ حَظُّهُمْ
وَأَعْبَدُ مَجْدَكَ أَنْ يَكُونَ بِطَائِفِ
فَاللَّهُ عَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ آدَمَاءَ
إِنَّ الْمُرَاجِلَ مَنْ أَضَاعَ أَجْوَرَهُ
فَارْغَبْ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ فَلِمَنْ
مَا أَنْتَ بِمَنْ تَسْتَبِيحُ صُدُورُهُمْ
أَذْعُوكَ لِلصَّفْحِ الْجَمِيلِ فَإِنْ تُجِبْ
وَمِنَ السِّيَاسَةِ أَنْ تَكُونَ مُرَاعِيَاءَ
قَوْمٍ إِذَا انْتَدَبُوا إِلَيْكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ
تَاللهِ مَا خَابَ أَمْرُ قَوْمٍ وَسَّوَّوْا
وَلَقَدْ أَتَيْتُكَ بِالْيَقِينِ فَلَا تَحُلْ
وَرَأَيْتُ مِنْهُمْ مَا رَأَيْتُ لِغَيْرِهِمْ
مَنْ كَانَ مُلْتَبِسًا عَلَيْهِ حَدِيثُهُمْ
مَا ضَرَّهُمْ قَوْلُ الْمُعَانِدِ إِنَّهُمْ
كَمْ دَمُهُمْ جَهْلًا وَأَنْكَرَ - أَلَهُمْ

فِي كُلِّ يَوْمٍ دَاجِسًا وَبَسُوسًا^(١)
وَكَأَنَّ طَسْمًا لَمْ تَكُنْ وَجَدِيصًا^(٢)
حَاشَاكَ أَنْ تَلْقَى الضُّيُوفَ عَبُوسًا
فَلَرُّنَا أَغْدَى الْجَلِيصِ جَلِيصًا
لَا كَانَ حَظُّكَ عَنْدهُمْ مَبْخُوسًا^(٣)
مِنْ حَاسِدٍ بِئِيمَانَةٍ مَفْسُوسًا
وَاطْعَاءَ آدَمُ نَاسِيًا إِنْ لَيْسَ
وَاعْتَاضَ عَنْهَا بِالنَّفِيسِ خَسِيصًا^(٤)
لَا يَسْتَوِي فِي الذِّكْرِ نِعَمٌ وَبِيسًا^(٥)
جَفَدًا وَلَا أَعْرَاضُهُمْ تَذْنِيصًا
أَحْكَمْتَ بُنْيَانًا عِلَاتًا بِسَا
لِلصَّالِحِينَ تَبَرُّهُمْ وَتَسُوسًا
أَلْفَيْتَ وَاجِدَهُمْ يَرُدُّ خَمِيسًا^(٦)
بِالْقَوْمِ فِي النُّعْمَى وَلَا فِي الْبُوسَى^(٧)
قَوْلِي ظَنُّونَا فِيهِمْ وَخُدُوسًا^(٨)
وَأَقَمْتُ دَفْرًا بَيْنَهُمْ جَاسُوسًا
أَذْهَبْتُ عَنْهُ مِنْهُمْ الثَّلَاثِينَ
بِفَعَالِهِمْ أَقْوَى الْأَنَامِ نَفُوسًا
قَوْمٌ يَلُونُ الْحُكْمَ وَالتَّذْرِيصًا

(١) داحس: اسم حصان لقيس بن زهير سيد عبس في الجاهلية. والبسوس: اسم امرأة هي خالة جناس بن مرة قاتل كليب وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر التغلبي. وبسبب داحس ثارت حرب بين عبس وذبيان، وبسبب البسوس وجار لها وناقة ثارت حرب البسوس بين بكر وتغلب.

(٢) طسم وحديس: من العرب البائدة.

(٣) بخسوا: أنقصوا.

(٤) الخسيس: القليل.

(٥) يريد أنه لا يستوي الحسن والسيء.

(٦) الخميس: الجيش.

(٧) البوس: أي البؤس.

(٨) الخنس: الظن والتوهم.

فَرَدَدْتُ قَوْلَهُمْ يَقُولِي ضَارِباً
وَعَلَى سُلَيْمَانَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ
وَعَلَى فَتَى الْحَسَنِ الَّذِي سَطَوَاتُهُ
يَارُبُّ ذِي عِلْمٍ رَأَى تُضْجِي لَهُ
لَمْ يَذَرِ أُنِي كُلَّمَا اسْتَفْطَفْتُهُ
لَوْ كُنْتُ أَزْضَى الْجَاهِلِيَّةِ مِثْلَهُ
وَنَفَخْتُ نَارَ عِدَاوَةٍ لَأَنْضَطَلَى
لَمْ يُبْقِ لِي خَوْفُ الْمَعَادِ مُعَادِيّاً
أَوْ مَا تَرَى حُبَّ السَّلَامَةِ جَاعِلي
أَمْ كَلَفِي نَظْمَ النَّسِيبِ وَقَدْ رَأَى
أَمَّا النَّسِيبُ فَمَا يُنَاسِبُ قَوْلُهُ
مَا هُمْ يَخْضِبُ شَيْبَهُ مُتَشَوِّقاً
لَمَّا رَأَى زَمَنَ الشَّبِيبَةِ مُذْبِراً
مَضَتْ الْأَجَبَةُ وَالشَّبَابُ وَخَلَفَا
أَذْكَرْتَنِي عَهْدَ الطَّعَانِ فَلَمْ أَجِدْ
أَيَّامَ عَزَمِي لَا تَفُوتُ سِهَامُهُ
ثَبَتِ السُّنُونُ سِنَانٌ صَغَدَتِي الَّتِي
فَقَنَاءُ حَزْبِي لَا أَرْدَتْ قَوِيَهَا
مَا حَالُ مَنْ مُنِعَ الرُّكُوبَ وَطَرَفُهُ
بِالْأَمْسِ كَانَ لَهُ الشَّمْسُ مِثْلُ مُذَلَّلٍ
لَا ذَرْدُ الشَّيْبِ إِنْ تُجْوَمُهُ

مَثَلًا عَلَى الْخَضِرِ السَّلَامُ وَمُوسَى
أَغْرَى رِحَالِيهِ عَلَى يُلْقِي سَا
مَرْتُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرَّ الْمُوسَى
فَأَجَابَنِي أَتَطْبُ جَالِيُنُوسَا^(١)
كَانَ الْحَدِيدُ وَكُنْتُ مِغْنَا طِي سَا
أَمَلَيْتُ مَا مَلَأَ الْقُلُوبَ نَبِي سَا^(٢)
بَلْ لَا يُطِيقُ لَهَا الْعَدُوُّ حَمِي سَا^(٣)
فَيَهِيحُ مِنِّي لِلْهِيَا جَ رَمِي سَا^(٤)
أَلْقِي السَّلَامَ مُسَالِمًا وَالْكِي سَا
عُودَ الشَّبَابِ الرُّطْبَ عَادِي بِي سَا
شَيْخًا أَبَدًا مَعْمُرًا مَنُكُوسَا
زَمَنَ الصُّبَا إِلَّا أَتَقَى التَّدْلِي سَا^(٥)
نَزَعَ السُّرَى وَتَدَرَّعَ الثَّغْرِي سَا^(٦)
لِي الْأَذْكَارُ مُسَامِرًا وَأُنِي سَا
رُمَحًا أَضُولُ بِهِ وَلَا ذُبُوسَا^(٧)
عَرَضًا وَمَنْهَمِي جُرْخُهُ لَا يُوسَى
لَمْ تَلْقُ رَادِفَةً وَلَا قَرِيُنُوسَا^(٨)
لِلطَّغْنِ الْأَرْدَاهَا تَقْوِي سَا
يَشْكُو إِلَيْهِ رِبَا طُهُ مَخْبُوسَا
وَالْيَوْمَ صَارَ لَهُ الدَّلُولُ شَمُوسَا
تَلَزَّ السُّعَيْدُ مِنَ الرُّجَالِ نَحِي سَا

(١) جالينوس: من علماء اليونان وأطبائهم.

(٢) النيس: الجوع الشديد، وغاية جهد الإنسان.

(٣) الحسيس: الصوت.

(٤) الرسيس: ابتداء الحب والحمى.

(٥) التدليس في البيع: كتمان عيب السلعة عن المشتري.

(٦) السرى: السير عامة الليل. التعريس: النزول آخر الليل للاستراحة.

(٧) الدبوس: ضرب من الأسلحة.

(٨) القريوس: حنو السرج.

كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى اجْتِمَاعِ جَاهِلٍ
 لَوْ كَانَ لِي فِي بَيْتِ خَالِي نُصْرَةٌ
 وَنَصِيحَةٌ أَغْرَبْتُ عَنْهَا فَأَتَيْتُ
 إِنَّ النَّصَارَى بِالسَّخْلَةِ وَدُفْمِ
 أَثَرِي النَّصَارَى يَحْكُمُونَ بِأَنَّهُ
 إِنَّ عَادَ إِسْحَاقُ إِلَيْهَا ثَانِيًا
 صَرَفَ إِلَهُ السُّوءِ عَنْكَ بِصُرْفِهِ
 أَقْدِي بِهِ الْمُسْتَخْدِمِينَ وَإِنَّمَا
 لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَمْرَهُمْ مِنْ غَيْرَتِي
 يَزْعَمُونَ أَمْوَالَ الرُّعْيَةِ بِالْأَذَى
 اللَّهُ أَرْسَلَهُمْ عَلَى أَقْوَاتِهِمْ
 مَلَأَتْ بُيُوتَهُمُ الْغِلَالُ فَلَا تَرَى
 مَنْ لَمْ يَقُمْ لِي مِنْهُمْ بِوِظِيفَتِي
 إِنِّي لَا تُذِرُ يَغْضَهُمْ وَكَأَنِّي
 لِي صَاحِبُ سَرَقِ اللَّصُوصِ ثِيَابَةٍ
 وَشَكَالِي الْحَرْبِ سَارِقِ بَيْتِهِ
 وَكَأَنَّهُ قَاضٍ يَقُولُ لَخَضْمِهِ:
 وَيَحُجُّهُ أَصْحَابُ رَيْعٍ عِنْدَهُ
 وَلَرُبَّمَا التَّمَسُّوهُ بِالْمَالِ الَّذِي
 مَلَأُوا الْبُيُوتَ بِمَالِهِ وَلَوْ اشْتَكَى
 كَمْ قُلْتُ إِذْ سَمِعَ الْوَلَاةُ كَلَامَهُمْ
 قَلْبَ الْعِيَانِ لَهُمْ وَكَمْ فِي عِلْمِهِ
 فَانْظُرْ لِمَنْ ذَهَبَ اللَّصُوصُ بِمَالِهِ

بَيْتِ الْفِرَاشِ بِسَاكِنِ مَا نُوَسَا
 جَمَعْتُ نَفْيَ الْخُدْرِ الْإِنْكِيَسَا (١)
 كَالصُّبْحِ يَجْلُو هُزْءُ الثَّغْلِيَسَا (٢)
 لَوْ كَانَ جَائِعُهَا يَكُونُ كُنْيَسَا
 مَنْ بِأَشْرَ الْأَخْبَاسِ صَارَ حَبِيَسَا (٣)
 ضَرَبُوا عَلَى أَبْوَابِهَا النَّافُوسَا
 فَاضْرَفَهُ عَنَّا وَاضْفَعِ الْقَيْسِيَسَا
 أَقْدِي بِثَنِيَسِ كَالْيَهُودِ ثِيُوسَا
 لَمْ أَبْقِ لِلْمُسْتَخْدِمِينَ ضُرُوسَا
 لَوْ يَخْلَبُونَ لِأَشْبَهُو الْجَائِمُوسَا
 سُوْسَا وَقَدْ أَمْسُوا عَلَيْهَا السُّوسَا
 مِنْهَا كَبَيْتِي فَارْغَامُ كُثُوسَا
 جَرَسَتْهُ بِمَلَامَتِي تَجْرِيَسَا
 فِي أُذُنِ بَغْلِ الْكُوسِ أَضْرِبُ كُوسَا (٤)
 لَيْلَافَاتِ بَيْتِهِ مَخْبُوسَا
 فَكَأَنَّمَا يَشْكُو لَهُ أَقْرَنِيَسَا
 هَذَا غَرِيْمُكَ أَثَبَتَ الثَّقْلِيَسَا
 وَيَقْدُمُوهُ فَيُظْهِرُ الثَّغْبِيَسَا
 سَرَقُوا فَاضْبَحَ لِمَسَامَلُمُوسَا
 مَلَأُوا بِأَوْلَادِ الْحَزِينِ حُبُوسَا (٥)
 أَتَرَى الْوَلَايَةَ تُفْسِدُ الْكَيْمُوسَا (٦)
 جَعَلُوا الدُّنَا نِيرَ الثَّقَالِ قُلُوسَا
 وَيَعْقِلُهُ يَغْنُو اللَّصُوصُ حُبُوسَا

(١) الْإِنْكِيَسِ: الضَّعِيفُ.

(٢) الثَّغْلِيَسِ: الدَّخُولُ فِي ظِلْمَةِ آخِرِ اللَّيْلِ.

(٣) الْحَبِيَسِ مِنَ الْخَيْلِ: الْمَوْقُوفُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

(٤) الْكُوسِ: الطَّبْلُ.

(٥) فِي الْأَصْلِ: مَلَأُوا الْبُيُوتَ، وَمَلَأُوا بِأَوْلَادِ.

(٦) الْكَيْمُوسِ: الْخَلَطُ: وَهِيَ مِنَ السَّرْيَانِي.

رَفَعُوا الْقَوَاعِدَ مِنْ شِوَارِثِيَاهُ وَاسْتَأْصَلُوا الْمَنْصُوبَ وَالْمَلْبُوسَا
 قَدْ كُنْتُ مِنْ خَوْفِ اللَّصُوصِ أَخَافُ أَنْ أَهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْقَرِيضِ عَرُوسَا^(١)
 لَا زِلْتُ طَوَّلَ الدَّهْرِ تُخَكِّبِي فِي الْعَلَا أَبَاءُكَ الْقُرَّ الْكَرَامِ الشُّوسَا^(٢)
 مَا دَامَ يَتَّبِعُ النُّجُومَ مُنْجَمٌ وَيُخْبِرُ الثُّلَيْثَ وَالثَّنْدِيْسَا

وقال في رجل مغربي عانده في الشعر، وشرع في هجائه وكان نزل عند ولي الدولة المستوفي قبيفا عنده، وكان يعمل شعره نخلة: [السرير]

قل لولي الدولة

قُلْ لَوْلِي الدَّوْلَةَ الْمُزْتَجَى وَالْمُتَّقَى فِي الْجُودِ وَالْبَاسِ
 فُزْتُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ حَتَّى حَكُوا عِنْدَكَ فُوزًا عِنْدَ عَبَّاسِ
 لَا سِيَّيْمَا هَذَا الْأَدِيبُ الَّذِي أَتَى مِنَ النُّظُمِ بِأَجْناسِ
 النَّابِئَةُ الْمُفْلِقُ فِي مَذْجِهِ وَمَخْجُوهِ وَالْجَارِحُ الْآيِسِي
 لَمْ أَرِ مِنْ قَبْلِ رُفُوفِي عَلَى مَا قَالَ نُشَابِئًا بِقِرْطَاسِ
 وَنَخْلَةٍ تَشْكُرُ جَذْوَاكَ مِنْ أَضْلِلِ وَمِنْ قَرْعٍ وَمِنْ رَاسِ
 شَاهِقَةٍ مِنْ دُونِ مَضْرُتْرَى وَهِيَ خَوَالِئِي قَرْبِ دَوَاسِ
 وَرُقْعَةُ الشُّطْرَنْجِ ثُمَّ انْتَهَى وَلَمْ أَكُنْ لِلْفَضْلِ بِالنَّاسِي
 حَالِيَّةً عَامِرَةً شُبَّهَتْ بِمَادِقٍ فِيهَا بِأَقْرَاسِ^(٣)
 قُلْ لِنَامِنِ ذَا الْأَدِيبِ الَّذِي زَادَ بِهِ حُبِّي وَوَسْوَاسِي؟
 إِنْ كَانَ مِثْلِي مَعْرِيًّا فَمَا فِي صُحْبَةِ الْأَجْناسِ مِنْ بَاسِ
 وَإِنْ مِثْلِي عِنْدَهُ السُّيُومُ كَالصُّ خُزَّةٌ عِنْدَ الْجَبَلِ الرَّاسِي
 وَيَمِينُ دَارِنَا كَمَا بَيْنَنَا وَأَيْنَ مُرَاكِشٍ مِنْ فَاسِ^(٤)
 وَإِنْ يُكَذِّبُ نِسْبَتِي جَنَّتُهُ بِجُبَّتِي الصُّوفِ وَدَقَائِمِي
 وَإِنْ يَجِدُ فِي لُغَتِي رِبَّةً أَكْتَمَ نَبَانَا زَعَتْ إِفْلَاسِي

(١) القريض: الشعر.

(٢) الشُّوس: جمع الأشوس: وهو الذي ينظر بمؤخر عينه تكبراً، أو تغيتاً.

(٣) البياذقة: الرُّجَالَة.

(٤) مُرَاكِش وفاس: مدينتان بالمغرب.

وقال^(١) يمدح أبا العباس المُرسي: [الكامل]

أما المحبة

أَمَّا الْمَحَبَّةُ فَهِيَ بِذَلِكَ نَفْسٌ	فَتَقْعِمِي يَأْمُهُ جَعَلِي بِالْبُوسِ ^(٢)
بِذَلِكَ الْمُحِبِّ لِمَنْ أَحَبَّ دُمُوعُهُ	وَطَوَى خَشَاءَهُ عَلَى أَحْرَزِ مَبِيسِ ^(٣)
صَدَقَ وَقُلْ مَنْ لَمْ يَقُمْ كَقِيَامِهِ	لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهُ أَمْرٌ وَبِجُلُوسِ
قَبِلَ إِلَهُ تَقَرُّبِي بِمَدِيحِهِ	وَتَوَجُّهِي لِجَنَابِهِ الْمَخْرُوسِ
زُمْتُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ أَغْجَزَنِي السُّرَى	وَأَبَاحَنِي مَرَاةَ غَيْرِ زُوسِ ^(٤)
أَكْرِمَ بِيَوْمِ الْأَزْبَعَاءِ زِيَارَةَ	لَكَ إِنَّهُ عِنْدِي كَأَلْفِ خَمِيسِ
كُلُّ اتِّصَالٍ السُّعِيدِ سَعِيدَةٌ	بِمَثَابَةِ التَّثْلِيثِ وَالتَّسْديسِ
شَرَفًا لِشَاذِلَةٍ وَمَرْسِيَةٍ سَرَتْ	لَهُمَا الرِّيَاسَةُ مِنْ أَجْلِ رَّئِيسِ ^(٥)
مَا إِنْ تَسَبَّحْتَ إِلَيْهِمَا شَيْخِيهِمَا	إِلَّا أَجَلَوْهُمَا جَلَاءَ عُرُوسِ

وقال فيمن اسمه عمرو، وعلى عينيه قص^(٦): [البسيط]

قافية الطاء

سَمُوهُ عَمْرًا قَصَّحْنَا اسْمُهُ عَمْرًا	فَبَيَّنَ الدَّهْرُ مَثَامُوعَ الْغَلَطِ
فَأَضْبَحَتْ عَيْنُهُ غَيْنًا بِنُقْطَتِهَا	وَطَالَمَا ارْتَفَعَ التُّضْحِيفُ بِالنُّقْطِ

في بعض تواريخ مصر أن الملك الظاهر^(٧) عين أربعة قضاة لكل مذهب قاضياً؛ فنظم البوصيري هذه الأبيات: [الطويل]

-
- (١) لطائف الجن: ٢٦/٢.
(٢) المهجة: الروح، أو بقية الروح، أو الدم.
(٣) الرئيس: ابتداء الحق.
(٤) السرى: السير عامة الليل.
(٥) شاذلة ومرسية: مدينتان بالأندلس.
(٦) فوات الرويات: ٣٦٤/٣.
(٧) هو الملك السلطان الظاهر بيبرس، تسلطن سنة ٦٥٨ هـ. وكان جعل قاضياً لكل من المذاهب الأربعة: الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، وذلك سنة ٦٦٣ هـ. النجوم الزاهرة: ١٠٩/٧ هـ.
ديوان البوصيري / ٨٢

الدين واحد

عَدَا جَامِعُ ابْنِ الْعَاصِ كَهْفَ أَيْمَةٍ قَلِيلَهُ كَهْفَ لِبَلَاءِ أَيْمَةٍ جَامِعُ
لَقَدْ سَرَرْنَا أَنْ الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ وَأَنَّكَ تَأْجِ الدِّينَ لِلْقَوْمِ رَابِعُ
بِهِمْ بَشِيَّةُ الْإِسْلَامِ صَحَّتْ وَكَيْفَ لَا تَصِيحُ وَهُمْ أَزْكَائُهَا وَالطَّبَائِعُ
فَهُمْ رُخْصَاءُ أَبَدٍ وَالنَّارُ عَزَائِمًا هُدَيْنَا بِهَا فَهِيَ التَّجُومُ الطُّوَالُ
فَلَا تَبْتَلِيَنَّ إِنْ وَسَّعَ اللَّهُ فِي الْهُدَى مَذَاهِبِنَا بِالْعِلْمِ وَاللَّهُ وَاسِعُ
تَفَرَّقَتِ الْأَرَاءُ وَالِدِّينُ وَاجِدٌ وَكُلُّ إِلَهٍ رَأَى مِنَ الْحَقِّ رَاجِعُ
فَهَذَا اخْتِلَافٌ جَرَى لِلْخَلْقِ رَاحَةٌ كَمَا اخْتَلَفَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

وقال^(١): [الوافر]

فداؤك

فِدَاؤُكَ مَنْ إِذَا رُمْتَ أَمِينًا عَلَيَّ لَهُ أَبَى إِلَّا أَمِينًا عَا
فَلَا عِنْدِي لَهُ نِعَمٌ تُجَازَى وَلَا لِي عِنْدَهُ ذِمَّةٌ تُرَاعَى
أَبَاسِطُهُ وَأَخَذَرُهُ كَأَنِّي أُمَارِسُ مِنْ خِلَائِقِهِ السُّبَاعَا
فَلَا أَنَا أَمِنْ مِنْهُ ضِرَارًا وَلَا هُوَ أَمِلُ مِنِّي انْتِفَاعَا
فَلَسْنَا أَوْدُهُ إِلَّا رِبَاءُ وَلَيْسَ يَسُودُنِي إِلَّا خِدَاعَا
أَضَعْتُ حُقُوقَهُ وَأَضَاعَ حَقِّي فَيَا لِكَ صُخْبَةٍ ذَهَبَتْ ضِيَاعَا

قافية الفاء

قال للقاضي حماد الدين، يجرسه على كناية: [الخفيف]

حديث خرافة

مَا أَكَلْنَا فِي ذَا الصَّيَامِ كُنَافَهُ أَوْ أَبْعَدَهَا عَلَيْنَا مَسَافَهُ
قَالَ قَوْمٌ إِنَّ الْعِمَادَ كَرِيمٌ قُلْتُ هَذَا عِنْدِي حَدِيثُ خُرَافَةٍ
أَنَا ضَيْفٌ لَهُ وَقَدْ مِثُّ جَوْعًا لَيْتَ شِعْرِي لِمَ لَا تُعَدُّ الضِّيَافَةُ
وَهُوَ إِنْ يُطْعِمَ الطَّعَامَ فَمَا يُطْعِمُهُ إِلَّا بِسُفْمَةٍ أَوْ مَخَافَةٍ

(١) الفاضل من إنشاء الفاضل، الورقة الأولى.

وَمَوْفِي الْحَرِّ وَالْخَرِيفِ وَفِي الْـ
فَاغْلَمُوهُ عَنِّي وَلَا تَغْتِيبُونِي
فَهُوَ إِنْ لَمْ يُخْرِجْ قَلِيلًا إِلَى الْحَا
بَيْتٍ يَجْمَعُ الْخُطَامَ كَالْجِرَافَةِ
إِنْ عِنْدِي فِي الصُّومِ بَعْضُ الْجِرَافَةِ
يُطْفِئُ لَيْلَتِي طُلُغْتُ الْقِرَافَةَ^(١)

ولما حضر الجناب السابق شيوخ صنعاء وخلق نصف لحية كل منهم، وعزم
على أن يخلصهم، دخلوا عليه فكتب له هذه الأبيات: [الرملة]

ذقون خلقت

أَخْبَرُونِي غَضَبَةً وَصَلَفًا
ثُمَّ قَالُوا عَنْ ذُقُونِ خُلِقْتَ
إِنَّ خَلْقَ الذُّقْنِ خَيْرٌ لِّلْفَتَى
وَالَّذِي خَلَقَ أَنْصَافَ اللَّحَى
خَلَقَ النُّصْفَ بِذَنْبٍ حَاضِرٍ
أَنْكُمْ رُخْتُمْ إِلَيْهِ مَرْصَفًا^(٢)
قُلْتُ لَا بُدَّ لَهَا أَنْ تُخْلَقَا
يَا بَنِي الْأَغْمَامِ مِنْ أَنْ تُنْتَفَا
كَانَ فِي الْأَحْكَامِ عَذْلًا مُنْصِفَا
وَعَقَابًا لِلنُّصْفِ عَمَّا سَلَفَا

قافية الكاف

ولما مات صاحب فخر الدين، ولد صاحب بهاء الدين، المشهور بابن حنا في
المحرم سنة ٦٧٢ وأنزل في لحدّه، قام البوصيري وأنشد: ^(٣) [الخفيف]

نم هنيئاً

نَمْ هَنِئِئاً مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ
لَمْ تَزَلْ عَوْنَنَا عَلَى الدُّهْرِ حَتَّى
أَنْتَ أَحْسَنْتَ فِي الْحَيَاةِ إِلَيْنَا
بِجَمِيلٍ قَدُمْتَ بَيْنَ يَدَيْكََا
غَلَبَتْ نَائِدُ الْمَثُورِ عَلَيْنَا
أَحْسَنَ اللَّهُ فَهِيَ الْمَمَاتِ إِلَيْنَا

فتباكى الناس، وكان لها محل كبير ممن حضر.

(١) القرافة، أي: المقبرة.
(٢) الصُّلَف: الادعاء والتكبر.
(٣) خطط المقرئ: ٢٩٩/٢.

وفي كتاب السلوك للمقرئزي ما نصه: (١)

واتفق أيضاً أن الشيخ شرف الدين البوصيري رأى في منامه قبل أن يخرج الأشرف (٢) إلى عكا قائلاً ينشده: [مخلع البسيط]

استعادة عكا

قَدْ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَكَا
وَأَشْبَعُوا الْكَافِرِينَ صَكَا
وَسَاقُ سُلْطَانِنَا إِلَيْهِمْ
خَيْلَاتُكَ الْجِبَالِ دَكَا
وَأَقْسَمَ التُّرْكُ مِنْ دُسَارِثِ
لَا تُرْكُوا لِلْفُرَنْجِ مُلْكَا

قافية اللام

قال هذه القصيدة، وسماها «المخروج والمردود، على النصارى واليهود» [الكامل]

نبوة المسيح

جاءَ الْمَسِيحُ مِنَ الْإِلَهِ رُسُولا
فَؤُمُّرُ أَوْ إِبْشَارُ كَرِيمٍ أَذْعَوْا
وَعِصَابَةُ مَا صَدَّقْتُهُ وَأَكْثَرْتُ
لَمْ يَأْتِ فِيهِ مُفْرِطٌ وَمُفَرِّطٌ
فَكَأَنَّمَا جَاءَ الْمَسِيحُ لِيَهُمْ
فَاعْجَبْ لَأَمْتِهِ الَّتِي قَدْ صَيَّرْتُ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ فِي ثَنَّةٍ مَغْشَرٍ
هُمُ بِجُلُوهٍ بِبَاطِلٍ فَاثْتَرَّةٍ
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَ الْعَقَائِدِ بَيْنَهُمْ
هُوَ أَدَمٌ فِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنَّهُ

فَأَبَى أَقْلُ الْعَالَمِينَ عُقُولَا
مِنْ جَهْلِهِمْ لِهَيْمٍ لَّهُ فِيهِ خُلُولا
بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ فِيهِ الْقِيَلَا (٣)
بِالْحَقِّ تَجَرِيحاً وَلَا تَغْدِيلاً
لِيُكَذِّبُوا الثُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَا
تَنْزِيلَهُهَا إِلَهُهَا التَّنْكِيلَا
وَأَضَلَّهُمْ رَأْيُ الْقَبِيحِ جَمِيلَا
أَعْدَاؤُهُ بِالْبَاطِلِ التَّبْجِيلَا
زُمَرُ أَلَمْ تُرْعِفْهُمَا مَخْلُولا
لَمْ يُغْطِ حَالِ الثَّفَخَةِ التَّكْمِيلَا

(١) خطط المقرئزي: ٢٩٩/٢.

(٢) الأشرف: هو السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون، تولى السلطنة ٦٨٩هـ، وقتل سنة ٦٩٣هـ.

(٣) الإفك والبهتان: الكذب.

لما رأيت كتب النصارى واليهود الآن مشحونة بما ينكرونه من بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها القول بخلاف ما يدعون من ألوهية المسيح، ومن صلبه، وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود، وما لا يخفى، تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما سهل نظم من ذلك، وأردت أن أورد تحت كل آيات منها ما أشارت إليه من النصوص التي لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها ولا بترتيبها. فمن ذلك:

ذكروا أن المسيح عبد الله ورسوله وواسطته بينه وبين الناس بلفظهم الذي رَضُوا إظهاره باللغة العربية، واعترفوا أنها لفظ الإنجيل. قوله في إنجيل لوقا: أنه لم يقتل أحد من الأنبياء في وطنه، فكيف يقتلونني؟! قوله حين خرج من السامرة: الحق بجلجال، إنه لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه. فهذا دليل على أنه ما جعل نفسه إلا نبياً. وكقوله في إنجيل مرقس^(١): إن رجلاً أقبل عليه وقال: أيها المعلم الصالح، أي خير أعمل لأنال الحياة الدائمة؟ فقال له المسيح: لم قلت لي صالحاً؟ إنما الصالح الله وحده. وفي إنجيل يوحنا: أن اليهود لما أرادوا القبض عليه وعلم بذلك، رفع بصره إلى السماء، وقال: ^(٢) «قد دنا الوقت يا إلهي! فشرّفتني لديك، واجعل لي سبيلاً إلى أن أملك كل ما تملكني الحياة الدائمة، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً. وبالمسيح الذي بعثت، فقد عظمتك على أهل الأرض، واحتملت ما أمرتني به» فشرّفتني لديك. وكفى بذلك تذلاًً لله وعبودية، وسؤالاً رُتافاً، واثماراً بأمر الله سبحانه وتعالى. وكقوله لتلاميذه: لا تنسوا أباكم في الأرض، فإن أباكم الذي في السماء وحده. وفي إنجيل لوقا^(٣) حين أحيا الميت بباب مدينة، قام حين أشفق لأمه، لشدة حزنها عليه، فقال الناس: إن هذا نبي عظيم. وإن الله يفيدك منه، فلو كان المسيح ادّعى أنه إله، لما قيل عنه خلاف ما ادّعاه في معرض الشكر والتصديق. وكقوله في إنجيل يوحنا: لست أقدر أن أفعل من ذاتي شيئاً، لكنني أجيبكم بما أسمع، لأنني لست أنفذ إرادتي، بل إرادة الذي بعثني؛ وكقوله في إنجيل يوحنا أيضاً لليهود: قد عرفتموني وموضعى، ولم آت من ذاتي، ولكنني بعثني بالحق وأنتم تجهلونني؛ فإن قلت إنني أجهله، كنت كاذباً مثلكم.

(١) إنجيل مرقس إصحاح ١٠.

(٢) إنجيل يوحنا إصحاح ١٧.

(٣) إنجيل لوقا إصحاح ٧.

وأنا أعلم أنني نبيه، وأنه بعثني. وكقوله لليهود: إن كنتم بني إسرائيل، فافتقروا أثره، ولا تريدوا قتلي، على أنني رجل أدبت لكم الحق الذي سمعته من الله تعالى، غير أنكم تفتقرون آثار آبائكم. وقال: لو أن أبائكم الله، لحفظتموني، لأنني رسول منه خرجت مقبلاً، ولم أقبل من ذاتي، ولكن هو بعثني إليكم، لكنكم لا تقبلون وصيتي. وفي الإنجيل أنه كان يوماً يمشي في أسطوان سليمان، فأحاطت به اليهود، وقالوا له: إلى متى تُخفي أمرَكَ؟ فإن كنت المسيح الذي يُنتظر كما علمنا بذلك، ولم يقولوا: إن كنت الله ولا الرب. وفيه أن اليهود أرادوا القبض عليه، فبعثوا إليه الأعوان، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم، فقالوا لهم، لم تأخذوه؟ فقالوا: ما سمعنا آدمياً أنصف منه. فقالت اليهود: وأنتم أيضاً مخدوعون. أترون أنه آمن به أحد من القواد، ومن رؤساء أهل الكتاب؟ إنما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب. فقال لهم يودنس القس: أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يُسمع منه؟ فقالوا له: اكشف الكتاب ترى أنه لا يجيء من جَلجال نبي قط؛ فلو ظهر عنه دعوى غير أنه بشر رسول، لما قالت الأعوان: ما سمعنا آدمياً أنصف منه، ولا قالت اليهود: إنه لا يجيء من جَلجال نبي قط، وكقوله لتلاميذه إنه ستأتي ساعة يظن كل من يقتلكم أنه يقرب إلى الله تعالى قرباناً، لأنه لم يعرف الله ولا أنا. وفي رسائل بولس: يسوع المؤتمن عند من خلقه. وقوله حكاية عن جبريل لأم المسيح: إنك ستعقلين جبلاً، وتلددين ابناً، ويدعى اسمه يسوع: هذا يكون عظيماً، ومعظماً لربه الإله، كرسى داود أبيه، وقال بولس الرسول: عندهم إله سيدنا يسوع المسيح، يعطيكم روح الحكم والبيان. وقال أناشدك الله سيدنا يسوع المسيح، والملائكة المصطفين: وقوله إن هذا الرسول عظيم، اختار إيماننا يسوع الذي صنعه مثل موسى وكقوله كما زعموا: إلهي إلهي، لماذا تركتني، وقوله يستطيع أن تقرأ عيني هذه الساعة. وكقوله: الآن كل شيء بقدرتك، أجرجني هذا الكأس الذي ليس كإرادتي يكون، بل كما تريد أنت. وكقوله: جرعت نفسي الآن، فماذا أقول يارباه، فسلمني من هذا الوقت. وقوله وقد سئل عن الساعة: إنما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا تعلمها الملائكة ولا الأمم، إلا الله وحده. وقوله لتلاميذه: آمنوا بالله، وآمنوا بي. وكقوله للذي سأل ماذا أصنع لأعمل أعمال الله تعالى؟ هذا هو عمل الله: أن يؤمنوا بمن أرسله. وفي زبور داود عليه السلام خطاباً من الله: «إنه سيولد لك ولد أذعى له أباء، ويدعى لي ابناً: فقال داود: اللهم ابعث جاعل السنة، كي يعلم الناس أنه بشر».

المفهوم من ذلك أن الله أطلع داود على من سيدعى بالمسيح، فقال: «اللهم ابعث

جاعل السنة يعلم الناس أنه بشر، وأن دعوى الربوبية له ما كان إلا بعد رفعه وموت حواريته بنحو من ثلاث مئة سنة، ولا أعلم الناس أنه بشر بعده إلا النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قول المسيح في الإنجيل: «اللهم ابعث البارقليط، ليعلم الناس أن الناس بشر».

وفي الزبور: سَلِّني لأعطيك الشعوب ترعاهم وقول بولس: «فالله واحد هو، والواسطة بين الله وبين الإنسان يسوع المسيح» وقوله: وليعف بعضكم عن بعض، كما عفا الله تعالى عنكم بالمسيح عليه الصلاة والسلام.

يَتَنَاوَلُ الْمَشْرُوبَ وَالْمَأْكُولَ	أَتَمِغْتُمْ أَنْ الْإِلَهَ لِحَاجَةٍ
وَيَرُومُ مِنْ خَرِّ الْهَجِيرِ مَقِيلًا ^(١)	وَيَتَأَمُّ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رَبَّهُ
صَرَفَ أَلَهُ عَنْهُ وَلَا تَخْوِيلًا	وَيَمْسُهُ الْأَلَمُ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِيعْ
مَنْ كَانَ بِالتَّذْيِيرِ عَنْهُ كَفِيلًا	بِالْيَتِّ شِغْرِي حِينَ مَاتَ بِزَعْمِهِمْ
مِنْ بَغْدِهِ أَمْ آثَرَ التَّغْطِيلِ	هَلْ كَانَ هَذَا الْكَوْنُ دَبَّرَتْ نَفْسُهُ
تُخْزُوا وَيَهُودًا آخِذًا بِزَطِيلِ ^(٢)	اجْزُوا الْيَهُودَ بِصُلْبِهِ خَيْرًا وَلَا
وَأَرَاهُ كَانَ الْقَاتِلَ الْمَقْتُولَ	زَعَمُوا الْإِلَهَ فَذَى الْعَبِيدِ بِنَفْسِهِ
مِنْهُمْ كَلِيمًا زُبْنًا وَخَلِيلًا ^(٣)	أَيَكُونُ قَوْمٌ فِي الْجَجِيمِ وَيَضْطَظُّ فِي
أَقْلَمَ يَكُنْ لِفِدَائِكُمْ مَبْدُولًا	وَإِذَا فَرَضْتُمْ أَنْ عَيْسَى رَبُّكُمْ
عَنْ أَنْ يُرَى بِيَدِ الْيَهُودِ قَتِيلًا	وَأَجَلُ رُوحَا قَامَتِ الْمَوْتَى بِـ
مِنْ كُتَيْبِكُمْ مَا وَاغَى التَّنْزِيلَ	فَدْعُوا حَدِيثَ الصُّلْبِ عَنْهُ وَذُونَكُمْ
أَفَتَجْعَلُونَ دَلِيلَهُ مَذْخُولًا	شَهِدَ الزُّبُورُ بِحِفْظِهِ وَنَجَاتِهِ
أَوْ مَنْ أَشْيَدُ بِنُضْرِهِ مَخْذُولًا؟	أَبَكُونُ مَنْ حَفِظَ الْإِلَهَ مُضَيِّعًا
سَبْحَانَ قَاتِلِ نَفْسِهِ فَأَقُولًا؟	أَبْجُوزُ قَوْلَ مَنْزِلِهِ لِإِلَهِهِ

(١) الهجير: نصف النهار عند زوال الشمس.

(٢) البرطيل: الرشوة.

(٣) الكليم: يعني موسى عليه السلام.

[قال الناظم:]

في زبور داود عليه السلام: «إن الله تعالى نجى مسيحه واستجاب له من سماء
قُدسه» وكذلك قوله «إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك» فإذا لم يكن ذلك الحفظ
وتلك النجاة من الصلب والقتل، فماذا يكون؟ وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتون
به، ولا رواية صحيحة، أن المسيح صلب، فإن أحداً ما حضره من أصحابه عندما أخذ
شبهه، ولا كانت اليهود يعرفونه، وإنما دلهم عليه رجل يقال له يهوذا، ويسمونه يودنس
الأسخريوطي، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد.

أَوْجَلْ مَنْ جَعَلَ الْيَهُودُ بِزَغَمِكُمْ	شَوْكَ الْقَتَادِ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا
وَمَضَى بِحِمْلِ صَلَيبِهِ مُسْتَسْلِمًا	لِلْمَوْتِ مَكْشُوفَ الْيَدَيْنِ ذَلِيلًا
كَمْ ذَا أَبْكُتُكُمْ وَلَمْ تَسْتَنْكِفُوا	أَنْ تَسْمَعُوا التَّبَكِيَّاتِ وَالتَّخَجِيلِ ^(١)
ضَلَّ النِّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَأَقْسَمُوا	لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الرُّشَادِ سَبِيلًا
جَعَلُوا الثَّلَاثَةَ وَاحِدًا وَلَوْ اهْتَدَوْا	لَمْ يَجْعَلُوا الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا
عَبَدُوا إِلَهًا مِنْ إِلَهٍ كَائِنًا	ذَا صُورَةٍ ضَلُّوا بِهَا وَهَيُولَى ^(٢)

[قال الناظم:]

وأعطوه على تعريفهم به ثلاثين درهماً، ثم بدا له، وردّ الدراهم وندم، وأن اليهود
جاءوا إلى المكان الذي فيه المسيح فخرج إليهم رجل، فقالوا له: أنت يسوع، فقال:
نعم. فأخذوه ومضوا، وكانوا يستفهمونه ويقولون: أنت هو المسيح؟ فيقول: أنتم
تقولون، فمضوا به يوم الجمعة، وقالت النصارى: إنه صلب في يوم... في الساعة
التاسعة، وقالت اليهود: إنه أقام عندهم محبوساً أربعين يوماً وهم يستخبرونه ويسألونه
إن كان هو هو، ويظهر لهم آية فلم يجيبهم إلى ما سألوه، لا في حال أخذه ولا في حال
صلبه، وقالت النصارى إن يودنس الذي دل عليه اليهود خنق نفسه ندماً، وتأولوا له أنه
قصد أن يموت قبل المسيح ليدخل النار، فإذا مات المسيح مضى إلى الجحيم فخلصه

(١) التبكي: الغلبة بالحجة.

(٢) الهيولى: القطن، وشبه الأوائل طينة العالم به.

من جملة بني آدم وبنيه، فإنهم كانوا بزعم النصارى منذ آدم وإلى ذلك اليوم في الجحيم، نبيهم ورسولهم، ومؤمنهم وكافرهم، وإنه أخرج الجميع وخلصهم. وصلبه، فما من اليهود من عرف المسيح، ولا من أصحابه من حضره حياً ولا ميتاً على زعمهم، وصدقوا فيه قول واحد مرتد، ثم إنه عدم فقالوا خنق نفسه، وتأولوا. وما يدريك أن الله أنقى شبه المسيح على ذلك الذي دل عليه بذنبه وبكفره. والله أعلم.

ضَلَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ فَلَا تَكُنْ	بِهِمْ عَلَى سُبُلِ الْهُدَى مَذْلُولَا
وَالْمُدَّعَوِ الثَّلَاثِيثِ قَوْمٌ سَوَّغُوا	مَا خَالَفَ الْمَنْقُولَ وَالْمَعْقُولَا
وَالْعَابِدُونَ الْعِجْلَ قَدْ فُتِنُوا بِهِ	وَدُّوا اتِّخَاذَ الْمُرْسَلِينَ عُجُولَا
فَإِذَا أَتَتْ بُشْرَى إِلَيْهِمْ كَذَّبُوا	بِهَوَى النُّفُوسِ وَقَتَّلُوا ثَقِيلَا
وَكَفَى الْيَهُودَ بَأْنَهُمْ قَدْ مَثَلُوا	مَغْبُودَهُمْ بِعِبَادِهِ تَمَثِيلَا
وَبَأْنُ إِسْرَائِيلَ صَارَ رُبُّهُ	وَرَمَى بِهِ شُكْرَ الْإِسْرَائِيلَا
وَبَأْنَهُمْ رَحَلُوا بِهِ فِي قُبَّةٍ	إِذَا زَمَعُوا نَحْوَ الشَّامِ رَجِيلَا

[قال الناظم]:

أي شبه كان، والله أصدق القائلين بقوله. وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن. وما أخرج أمره عن ذلك. وكذلك إخبارهم عن قيامه من القبر عن امرأتين مريم المجدلية ومريم أم يعقوب، أخبرتا أنهما أتيتا إلى القبر فوجدتا فيه رجلاً قال لهما إن يسوع المصلوب قام ولحق بجلجال، وأخبارهم في ذلك وفي عقائدهم مثل ذلك. هذه الأخبار كلها هذيانية.

(١) وفي التوراة ما يدل على التبديل: أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح.

(٢) وفيها أن الله سبحانه تصارع مع يعقوب، فضرب به يعقوب.

(٣) وفيها أن الله عز وجل لما أمرهم بالتوجه إلى الشام، وعدهم أن يتوجه معهم، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صورة كذا، ينزل فيها في سيره معهم. ثم أن موسى قال: يا رب إن هذه الأمة القاسية رقابها لا تمضي إلى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها، فقال الله تعالى: نعم اعملوا لي قبة، وعمل موسى القبة، وسماها قبة

العهد، ونزل فيها من عرشه، وسار معهم في داخل القبة، ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم. هذا نص ما ترجموه من التوراة وتتمة الحديث ما معناه أنهم حملوا أموالاً إلى موسى عليه السلام، وتولى إنفاقها على القبة، وأنهم حسبوا ما أنفق عليها فعجز ألف رطل وسبع مئة رطل، فاتهموا موسى حتى سمعوا صوتاً من الهواء يخبر أن ذلك الوزن انصرف في القبة ورأس العمدة.

وَيَأْنَهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ إِلَهِهِمْ	وَسَبِيلُهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا الْمَنُثْقُولَا
وَيَأْنَهُمْ ضَرَبُوا لِیَسْمَعَ رَبُّهُمْ	فِي الْحَرْبِ بِوَقَاتٍ لَهُ وَطَبُّوَلَا
وَيَأْنُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِدَالَهُ	فِي خَلْقِ آدَمَ يَالَهُ تَجْهِيلَا
وَبَدَالَهُ فِي قَوْمِ نُوحٍ وَأَنْثَنِي	أَسْفَا يَعْضُ بِنَائِهِ مَذْهُوَلَا

[قال الناظم:]

(١) وفيها أن جميع بني إسرائيل سمعوا كلام الله بلا واسطة، كما سمعه موسى، فأي فضيلة لموسى عليهم بذلك؟

(٢) ومما نسبوه إلى التوراة أن الله أمرهم أن يضربوا البوق في عسكرهم قليلاً قليلاً، حتى يلقوا عدوهم فحينئذ يضربون به بأشد ما يقدرون عليه ليسمعهم الله تعالى، فيؤيدهم على عدوهم. كأن الله تعالى وتقدس وتنزه؛ إنسان، سبحانه وتعالى عن قولهم.

(٣ و٤) ومما ترجموه فيها: أن الله تعالى ندم على خلق آدم، وخاف أن يأكل من شجرة الحياة، فيكون إلهاً مثله، ولذلك أخرجه من الجنة. وفيها: «ورأى أن كثر فساد الآدميين في الأرض فندم على خلقهم، فقال: سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والحشائش وطير السماء، لأنني نادمت على خلقهم جداً» وفيما ذكر ندمه على ما فعل قوم نوح بلفظ أبشع من هذا في الباري سبحانه وتعالى، وأشد استحالة.

وَبَأْنُ إِبْرَاهِيمَ حَاوَلَ أَكْلَهُ	خُبْرَ أَوْرَامَ لِرَجُلِهِ تَفْسِيلَا
وَبَأْنُ أَمْوَالِ الطَّوَائِفِ حُلَّتْ	لَهُمْ رِبَا وَخِيَانَةٌ وَغُلُولَا

[قال الناظم]:

(١) وفيها أن إبراهيم كان يوماً قاعدًا عند باب فسطاط الله تعالى، وأبصر ثلاثة رجال واقفين منه على مقربة، فخر إليهم ساجدًا، وقال: يا هذا إن كنت راضيًا عني فلا يحلف عندك حتى أسوق ما تغسلون به أرجلكم وتستقبلون حتى هذه الشجرة، وأقدم إليكم كسرة تقوّمون بها قلوبكم، وبعد هذا تذهبون. زعموا أن إبراهيم إنما دعا الثلاثة باسم الواحد، علماً بأنه الله سبحانه وتعالى، وجوّزوا على إبراهيم عليه السلام أن يطعم الله خبزًا، ليقوي بها قلبه، ويغسل رجله، تعالى وتقدس عن ذلك علوًا كبيرًا. وجعلت النصرى ذلك دليلًا على أن الثلاثة واحد، وهم الذين ذكرهم في القرآن بقوله تعالى وتقدس ﴿هل أتاك حديثُ ضيفِ إبراهيم المكرمين﴾^(١).

(٢) اليهود تزعم أن موسى عليه السلام أمرهم أن يأخذوا أموال خزائنهم من أهل مصر على سبيل الفدية، ثم قال لهم: يقول لكم اهربوا بها ففعلوا، وقالوا: هي أجرة سحرتنا مع فرعون وليست أجرتهم على الضعفاء والمساكين والعامّة، إنما أجرتهم على فرعون الذي استخدمهم. وفي التوراة: «فلا تَزُنْ لأجل أن يباركك الرب إلهك». وفيها «لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يفجر المرء أخيه» فتأولوا إخوان اليهود خاصة دون سائر بني آدم، وقد أخبر الله تعالى عنهم بذلك فقال: ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾^(٢) ومن أقوالهم: «احفظ سبيك، واصنع ما شئت».

فكَأَنَّهُمْ حَسِبُوا الْخُرُوجَ دُخُولًا	وَبَأَنَّهُمْ لَمْ يَخْرِجُوا مِنْ أَرْضِهِمْ
عَنْهُ وَخَلَّ غِطَاءٌ مَسْدُولًا	وَخَدِثُهُمْ فِي الْأَنْبِيَاءِ فَلَا تَسْلُ
لَوْ طِفْكَ كَيْفَ بِقَذْفِهِمْ زُوبِيلًا	لَمْ يَنْتَهُوا عَنْ قَذْفِ دَاوُدَ وَلَا
ذَكَرَ مِنْ الْفِعْلِ الْقَبِيحِ مَهُولًا	وَعَزَّوْا إِلَى يَغْقُوبَ مِنْ أَوْلَادِهِ
صَدِيقَةً حَمَلَتْ بِهِ وَيَتُولَا	وَالِى الْمَسِيحِ وَأُمُّهُ وَكَفَى بِهَا
لَغْنًا يَغُودُ عَلَيْهِمْ مَكْفُولًا	وَلَمَنْ تَعَلَّقَ بِالصَّلِيبِ بِزَعْمِهِمْ

(١) سورة الذاريات آية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٧٥.

[قال الناظم]:

(١) وفيها أن بني إسرائيل يمكثون في الأرض المقدسة إلى الانقراض، وإخراجهم منها دليل كذبهم على الله تعالى في كتبه.

(٢) ترجموا في التوراة التي بأيديهم الآن من قذف الأنبياء الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى ما لا يجوز ذكره ولا التنويه به، وذلك مما يدل على كذبهم، فإن الله تعالى حي كريم، عصم أنبياءه، لا يذكر عنهم الفواحش في كتبه التي تقرأ على ممر الأزمان، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً.

(٣) ومما يدل على كذبهم أنهم كتبوا في التوراة «ملعون ابن ملعون من تعلق بالصليب» تمهيداً لعذرهم بزعمهم أنهم صلبوا المسيح، وأنه ليس المسيح الذي شهدت به، وكذلك النصارى نسبوا إلى كتاب عاموص النبي: إذا سمر في ثلاثة أعواد، سمر في الأرض. فقال صهيون عبد لبدران الناموسي، ونصب عليها علم الخلائق، حينئذ يتلف بني إسرائيل بالخزي والجوع. وكلام النصارى في ذلك ضد كلام اليهود، وكلاهما باطل في حديث الصلب الذي ضلوا فيه بالشبه.

وَجَنُّوا عَلَى هَارُونَ بِالْعِجْلِ الَّذِي	نَسَبُوا لَهُ تَضْوِيرَهُ تَضْلِيلًا
وَبَأَنَّ مُوسَى صَوْرَ الصُّورِ الَّتِي	مَاحَلْ مِنْهَا نَهْيُهُ مَعْقُولًا
وَرَضُّوا لَهُ غَضَبَ الْإِلَهِ فَلَا عُدَا	غَضَبُ الْإِلَهِ عَدْوُهُ الضَّلِيلًا
وَبَأَنَّ سِخْرًا مَا اسْتَطَاعَ لآيَةٍ	مِنْهُ وَلَا اسْتَطَاعَتْ لَهُ تَبْطِيلًا
وَبَأَنَّ مَا أَبْدَى لَهُمْ مِنْ آيَةٍ	أَبْدَوْا إِلَيْهِ مِثْلَهَا تَخْيِيلًا
إِلَّا الْبَغْضَ وَلَا يَزَالُ مُعَانِدًا	لِلْإِلَهِ بِبَغْضَةٍ مَخْذُولًا

[قال الناظم]:

(١) وفي التوراة: أن هارون صاغ لهم العجل الذي عبده، وأمرهم أن يذبحوا له القرابين من دون الله تعالى، ففعلوا واتخذوا له عيداً، وجلسوا عنده يأكلون ويشربون ويتسابقون، فانظر هذا القول الذي لا يجوز نسبته إلى نبي اختاره الله تعالى لهداية خلقه. ولقد تحدثت مع بعض من أسلم منهم في ذلك، قال: ما عندهم خلاف في أن ذلك في

التوراة منصوح، وإنما الحلّي الذي أحضروه إلى هارون كان فيه خاتم ذهب من خواتم يوسف الصديق عليه السلام عمل في طالع الثور وعليه صورة الثور، فلما سأل هارون الزينة وقلبها تصور منها العجل. فانظر هذه الأقاويل، ما أضل قائلها!

(٢) وفي التوراة تحريم التصوير وعمل الأصنام، واللعنة لمن عمل ذلك والغضب عليه، ثم فيها أن موسى عمل صورة ملكين من الكروبيين من ذهب مفرغ، أجنحتها مبسوطة، ووجه كل منهما إلى الآخر، ونصبهما على صحيفة ذهب تسمى صحيفة التطهير بكلمة الله تعالى، ومن بينهما أنه أيضاً عمل صورة حية من نحاس.

(٣) معناه أن اللعنة والغضب في التوراة على من صور الصور، وقد نسبوا إلى موسى عملها. وفي التوراة أن الله غضب على موسى وهارون، ومنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة ثم تكرر ذلك في السفر الخامس، فقال موسى: وغضب الله علي أنا، وحلف لا أدخل إلى الأرض الصالحة التي وهبها ربكم لكم.

وفيها أن سحرة فرعون عملوا الآيات التسعة الأولى التي جاء بها موسى وأنهم ما قدروا أن يبطلوا شيئاً من آياته ولا أبطل شيئاً من سحرهم الذي جاءوا به، والله تعالى وتقدس قال: ﴿ما جئتم به السحر، إن الله سيبطله﴾^(١).

وَرَضُوا لِمُوسَى أَنْ يَقُولَ فَوَاحِشاً	خَتَمْتُ وَصِيَّتُهُ لِهَنْ فُضُولاً
نَقَلُوا فَوَاحِشَ عَنْ كَلِيمِ اللَّهِ لَمْ	يَكْ مِثْلُهَا عَنْ مِثْلِهِ مَنَقُولاً
وَأَظْنُهُمْ قَدْ خَالَفُوهُ فَعُجِّلَتْ	لَهُمُ الْعُقُوبَةُ بِالْخَنَائِتِ عَجِيلاً
وَشَكَّتْ رِجَالُهُمْ مَصَادِرَ ذَيْلِهَا	وَنَسَاؤُهُمْ غَيْرَ الْبُعُولِ يُعُولاً

(١) ومن التوراة عندهم أن موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل في الوصية التي وصاهم بها، فقال عند آخرها: وإن كفرتم وحدث عن سبيله وعبدت الآلهة الأجنبية، يبتليك الله بدواهي مصر، ويضرب الجرب من جسدك الذي يصدر عنه الذيل بالجرب والحكاك الذي لا دواء له، وتتزوج زوجاً ويضاجعها غيرك. ولا خلاف أن بني إسرائيل

(١) سورة يونس آية ٨١.

عبدوا الآلهة، فلما أن يكون هذا القول باطلاً، أو يكون قد ابتلوا بما أوعدهم الله به من علمه القطم والقرن، فإن الجرب والحكاك الذي لا دواء له وهو القطم، لأنه عين في مصدر الذيل من الجسد، وليس البواسير التي يولونها لأن البواسير مرض كالبرص والجذام، وكذلك أن يتزوج زوجة ويضاجعها غيره، فإن المقصود بذلك المعيرة في الموضعين، ولا معيرة في برص.

وتعالى الله عما يقولون، وتنزه في التوراة التي جعلها هدى ونوراً للإنسان كليم الله عز وجل عن ذكر هذه الفواحش.

لَعِنَ الَّذِينَ رَأَوْا سَبِيلَ مُحَمَّدٍ	وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ أَضَلَّ سَبِيلًا
أَبْنَاءَ حَيَاتِ السَّمْتَرَانِهِمْ	يَجِدُونَ دِرْيَاقَ السُّمُومِ قَتُولًا
مُذْفَرَقُوا الْعِجْلِ الَّذِي فُتِنُوا بِهِ	وَدُّوا اتِّخَاذَ الْأَنْبِيَاءِ عُجُولًا
فَإِذَا أَتَى بِشَرِّ إِلَيْهِمْ كَذَّبُوا	بِهَوَى الثُّفُوسِ وَقَتَّلُوا ثَقَاتِيلاً
أَخْلَوْا كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامِهِ	عَذَاوَكَانَ الْعَامِرَ الْمَأْهُولًا
جَعَلُوا الْحَرَامَ بِهِ حَلَالًا وَالْهُدَى	غَيَا وَمَوْصُولَ الثَّقَى مَفْضُولًا
وَدَعَاهُمْ مَاضِيَّ عُوا مِنْ فَضْلِهِ	أَنْ يَمْلِكُوهُ مِنَ الْكَلَامِ فُضُولًا
كَتَمُوا الْعِبَادَةَ وَالْمَعَادَ وَمَارَعَوْا	لِلْحَقِّ تَفْجِيلاً وَلَا تَأْجِيلاً

[قال الناظم]:

اعلم أن علماء المسلمين ذكروا أن التوراة والإنجيل لم يبق فيهما الآن إلا ما اختاره ضلال النصارى واليهود، بعد الحذف والاستدراك، والتحريف والتبديل، فالحق تعالى يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. وكفى بذلك. واليهود مقررون أن سبعين كاهناً منهم اتفقوا على أن يبدلوا من التوراة ثلاثة عشرة حرفاً اعترفت اليهود بثلاثة حروف، ومن اعترف بذلك فما ينكر ما قيل عنه من جنسه، وفيما تقدم من نصوصهم الدالة على ذلك الكفاية. ومما يدل أيضاً على ذلك ما أذكره، وهو ما لا ينكره أحد من اليهود، وذلك أن التوراة بأيديهم الآن ليس فيها ذكر البعث والقيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار، وكل ما ذكر من خير فيها إنما هو معجل في الدنيا، فيجزون كما زعموا على

الطاعة بنصر على الأعداء وطول العمر وطيب العيشة وسعة الرزق وطول المكث في الأرض المقدسة، ويجزون على الكفر والمعاصي بالموت ومنع قطر السماء ومنع الثمرة وظهور الأعداء عليهم، والشقاء والتعب والقروح والحميات والجرب والبرقان وريح السموم، وتكون السماء عليهم مثل النحاس، والأرض مثل الحديد، فينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ويسفي عليهم التراب من السماء ويكونون يلمسون الشيء نصف النهار كما يلمسه الأعمى لا يبصرونه ولا يستقيم لهم أمر، ويهربون ويسبون، وتصيبهم عين سوء في ركبهم وفي سوقهم، ولا يكونون لهم شفاء. وليس في كتابهم ذم الدنيا ولا الزهد فيها ولا وظيفة صلاة معلومة، بل فيها الأمر بالبطالة والأكل والشرب والقصف والغناء واللهو، كل هذا نص فيما يزعمون أنها التوراة، وأن موسى عليه السلام قال لله عز وجل: أطلب إليك يا رب أن ترسل في هذه الرسالة غيري، فاشتد غضب الله تعالى على موسى عليه السلام وقال الله تعالى: ولئن أنت غفرت لهم خطاياهم وإلا فامحني من سفرك الذي كتبت: أي امحني من النبوة، وفيها أن بني إسرائيل يمتحنهم الله بأنبياء كذابين يأتون بالآيات والعجائب، وأن الله تعالى يأخذ الأبناء بذنوب الآباء إلى ثلاثة خلوف، إلى غير ذلك مما يعلم كل ذي بصيرة أن ذلك القول لا يأتي عن الله تعالى مثله وفي التوراة أن الله تعالى قال لموسى: «أنا هو الذي أدخل يدك في حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج» وإذا أخرجها مبروصة فأية آية منها، إذ يياض البرص، موجود في الناس، والله أخبرنا في محكم كتابه العزيز أنه قال: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾^(١).

وفي التوراة عن اللوحين: أنهما منقوشان بأصبع، والله تعالى يقول: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) وفي التوراة أن إسحاق هو الذبيح، وإنما الذبيح إسماعيل، ودليل ذلك أن النحر والذبيح بمنى موطن إسماعيل، فإن قرون الكبش كانت معلقة في الكعبة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فحرقت، وفي التوراة أن الحية أغوت حواء في أكل الشجرة، فقال لها الله تعالى: سأجعل العداوة بين نسلك ونسلها، وترصدين أنت أبداً عقبها وترصد أبداً رأسك لتقطعه، إلى خبر كثير هو مثل خرافة. والله تعالى يقول:

(١) سورة النمل آية ١٢.

(٢) سورة الاعراف آية ١٤٥.

﴿فَنُوحٍ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيَسْلُبَ لَهَا مَا وَوَرَّى عَنْهَا مِنْ سَوَاتِمَا﴾^(١)، وفي التوراة أيضاً عن نوح عليه السلام أنه رقد وأولاده أمامه فانكشفت عورته، فضحك ابنه حام من ذلك، فنجاء ابنه سام وألقى قفاه إلى جهة عورة أبيه يمشي إلى وراء، حتى غطاهما واستيقظ نوح عليه السلام ودعا على حام: سيسود لونك ويكون أولادك عبيداً لأولاد أخيك، إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان. وفي التوراة أن سليمان بن داور عليه السلام ختم أمره بالسحر وعبادة الأوثان، وسب نساءه وبنيه وغير ذلك من الفواحش المنسوبة إلى الأنبياء وأبناء الأنبياء عليهم السلام، ما يمنع من تسطيره والنظر به الحياء من الله سبحانه وتعالى، والإشفاق على أعراض رسله الكرام المعصومة، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

عَجِبَ أَلَهُمْ وَالسَّبَبُ بَيْنَهُمْ	لَمْ يَلْقَ مِنْهُ الْمُسْتَرُونَ مَقِيلًا ^(٢)
هَلَا عَصَوَانِي السَّبَبُ يَوْمَئِذٍ إِذْ عَدَا	يَدْعُو جُنُودًا لِلْوَعَى وَخِيُولًا
أَوْ خَالَفُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي	عَجْنٍ لَهُ لَمْ يُبْدِعْ عَنْهُ نُكُولًا ^(٣)
أَوْ أَحَقُّوَابِهِمَا الْمَسِيحَ وَسَوْغُوا لَدَّ	حَرِيمٍ فِي الْحَالِئِينَ وَالتَّخْلِيلِ
أَوْ أَتَبَشُّوا التَّنْخِغَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ	قَدْ نَصَّ عَنْ شَفَاوَعْنِ يُوئِيلَا
أَوْ لَمْ يَرَوْا حُكْمَ الْعَتِيقَةِ نَائِيحًا	أَحْكَامَ كُتُبِ الْمُرْسَلِينَ الْأُولَى

[قال الناظم:]

وفي التوراة تمسكوا بالنسب ما دامت السموات والأرض، وفيه من التغليب والتشديد ما لا يخفى. واليهود تقول: إن الله تعالى أمرنا بمعصية كل نبي ادعى دينا يتضمن نسخاً لبعض ما شرعه في جميع الأيام المتصلة، وأمرهم بتضعيف المحاربة يوم السبت، وأن يلبثوا فيه إلى أن يجتمع الأئمة وسائر العساكر سبع مرات بأشد المحاربة، فقال في نص التوراة: ويحيطون بالمدينة للقتال، ويتسورون عليها مرة واحدة ويصنعون ذلك في ستة أيام، ويحمل سبعة أيام أبواق، والشمع بين يدي الصندوق، وفي اليوم

(١) سورة الأعراف آية ٢٠.

(٢) مقيل: من إقالة البيع أي فسخة.

(٣) النكول: الخبن.

السايع يحيطون بالمدينة سبع مرات والأئمة يضربون الأبواق. وفي التوراة يأمر هارون أن يذبح في يوم السبت كبشين أصيلين ابني سنة كاملة ومكيال سميد يعجن بالزيت، فاعجب لهذا التناقض: كون حكم التوراة أن لا ينقض السبت، وأي نبي جاءهم بما ينقض شيئاً من أحكامها لا يطاع، وقد أطاعوا شعباً وهارون فيما نهوا، وحلّلوا ما حرمت التوراة مع منعهم النسخ، وأنكروا على المسيح إحياء الميت في يوم السبت، وكفروا به، لأنهم أنكروا ما في الكتابين ولا وافقوا ما فيهما وكل من الثلاثة نبي.

قُولَا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى مَنْحُولَا ^(١)	أَقْبَانُفُ الْكُفَّارُ أَنْ يَسْتَذِرْكُوا
يَذَرُ الثَّرَى مِنْ أَذْمُعِي مَبْلُولَا	لَا تَذَرُكُمْ فَإِنْ كَلَامُهُمْ
تُكَلِّي وَمُوجَعَةٌ تُصِيبُ غَوِيَلَا	فَكَأَنِّي الْقَيْثُ مُقْلَةٌ فَاقِيدِ
وَرَمَوْا إِنَائِي بِالْأَذَى وَقُحُولَا	ظُنُّوا بِرُبِّهِمُ الظُّنُونُ وَرُضِيلِهِ
فَلَا وَسِعَتْهُمْ الْجَزَاءُ مَكِيلَا	إِنْ يَبْخُسُوهُ بِكَيْلٍ زُورٍ حَقُّهُ
صِدْقِي وَلَسْنَا فِي الْكَلَامِ شُكُولَا ^(٢)	وَمِنَ الْغَيْبَةِ أَنْ يُجَازَى إِنْكَهَمُ

[قال الناظم:]

وفي التوراة: أن ملك الله قال لهاجر: إني أكثر ولدك، ولا يحصى عددهم نكثرتهم، وقال لها: إنك حامل، وستلدين غلاماً، وتدعين اسمه إسماعيل، فإن الله تعالى قد سمع تعبدك ويكون هو وحش الناس، يده على كل يد، ويد كل به، ويحلى على سهمي وإخوته كلهم. وفي نسخة هذا الكلام: ويكون عظيماً في الأمم، وفي نسخة: وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، فهذه بشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إسماعيل لم يحل على سهم إخوته، ولا بسطوا أيديهم إليه بالخضوع، ولا كانت يده على أيدهم، ولا يده على كل يد، ولا يد كل به، لأن في التوراة أن إسماعيل وأمه خرجا منفيين مطرودين، ولم يورث إسماعيل مع إسحاق

(١) خير الورى: خير البشر والخلق، أي النبي محمد صلى الله عليه وسلم. منحول: منسوب، ونخله القول: نسه إليه.

(٢) الإفك: الكذب.

شيئاً، ولم يقل أحد إن إسحاق وولده خضعوا لإسماعيل وولده، ولم تنزل الفترة والملك في ولد إسحاق، حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فبسط بنو إسحاق حينئذ أيديهم بالخضوع له، وعلت يده وأيدي بني إسماعيل على كل يد، وصارت يد كل بهم، فكان ذكر إسماعيل مقصود به ولده.

لَوْ يَضُدُّونَ لَمَّا أَتَتْ رُسُلَ لَهُمْ	أَتَرَى الطَّبِيبَ غَدَا يَزُورُ عَلِيلاً
إِنْ أَنْكَرُوا فَاضْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّمَا	أَزْخُوا عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ سُذُولا
اللَّهُ أَكْبَرُ إِنْ دِينَ مُحَمَّدٍ	وَكِتَابُهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيلاً
طَلَعَتْ بِهِ شَمْسُ الْهِدَايَةِ لُورَى	وَأَبَى لَهَا وَضْفُ الْكَمَالِ أَفُولاً
وَالْحَقُّ أَبْلَجُ فِي شَرِيعَتِهِ الَّتِي	جَمَعَتْ فِرْعَوْنَ وَاللُّورَى وَأَصُولاً
لَا تَذْكُرُوا الْكُتُبَ السُّوَالِفَ عِنْدَهُ	طَلَعَ النَّهَارُ فَأُطِفُوا الْقِنْدِيلَ
دَرَسَتْ مَعَالِمُهَا الْأَفَاسَتْ خَبِرُوا	مِنْهَا رُسُومًا قَدْ عَفَتْ وَطُلُّوا
تُخْبِرُكُمْ التَّوْرَةَ أَنْ قَدْ بَشَّرَتْ	قَدْ مَا بِأَخْمَدَ أَمْ بِإِسْمَاعِيلَ
وَدَعَتْهُ وَخَشَّ النَّاسُ كُلُّ نَدِيَّةٍ	وَعَلَى الْجَمِيعِ لَهُ الْأَيَادِي الطُّوَلَى
تَجِدُوا الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ فَطَالَمَا	صَدَقَ الْحَبِيبُ هَوَى الْمَحِبِّ نُحُولاً
مَنْ مِثْلُ مُوسَى قَدْ أُقِيمَ لِأَهْلِهِ	مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ سِوَاهُ رَسُولاً
أَوْ أَنَّ إِخْوَتَهُمْ بَنُو الْعِيسَى الَّذِي	نُقِلَتْ بَكَارَتُهُ لِإِسْرَائِيلَ
تَاللَّهِ مَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ فَنَاءً	مُوسَى وَلَا عِيسَى وَلَا شَمُوزِيلاً
إِذْ لَنْ يَقُومَ لَهُمْ نَبِيٌّ مِثْلُهُ	مِنْهُمْ وَلَوْ كَانَ النَّبِيُّ مِثْلِيلاً
طُوبَى لِمُوسَى حِينَ بَشَّرَ بِاسْمِهِ	وَلِسَامِعٍ مِنْ فَضْلِهِ مَا قِيلاً
وَجِبَالُ فَارَانَ الرُّوَايَةِ إِنَّهَا	نَالَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ التَّفْضِيلَ ^(١)

[قال الناظم:]

وكما أن في مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب، والمقصود به ولد يعقوب، فمن ذلك قوله في السفر الخامس: «يا إسرائيل، لأن تخشى الله ربك، وتسلك في سبيله،

(١) فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي اسم لجبال مكة.

ونعمل له» فهذا خطاب لبني إسرائيل باسم أبيهم، وذلك قوله في السفر الخامس: فسمن إسرائيل وأبر وجمع الأموال ونسي الله الذي خلقه، وأسخط السيد الذي خلصه وأغضبه بالإنسان إلى ذبح الشياطين، وذلك قوله لقوم موسى: «اسمع إسرائيل ثم احفظ واعمل ويحسن إليك وركم وينعم» وفي التوراة يقول لإبراهيم: وفي إسماعيل «قد سمعتك وباركته وكرمته جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأعطيه شعباً جليلاً، وفي نسخة أخرى «وإسماعيل قد سمعت دعاءك فيه، وباركت عليه، وعظمته جداً جداً» وفي نسخة «طيباً طيباً» وقل حمداً حمداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأجعله لأمة عظيمة» فهل كانت لإسماعيل أمة عظيمة، لكن الأمة العظيمة لولده محمد ﷺ.

وفي التوراة: «فدعا مَلَكُ الله هاجرَ وقال لها: مالكِ يا هاجر! لا تخشي فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو، فقومي فاحملي الغلام وشدي يديك به، فإنني جاعلة لأمة عظيمة» وفي التوراة: «هذه بركة موسى التي بارك بني إسرائيل قبل وفاته قال: جاء الله من طور سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوة من الطهور من عن يمينه» وفي نسخة: «تجلى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران» فهذه إشارة نبوة عيسى ومحمد ﷺ. فإن الطور مكان خص الله فيه موسى بناجاته، وساعير جبل الشام، منه ظهرت نبوة المسيح عليه السلام بقرب الناصرة، وهي البلدة التي ولد فيها، وفاران مكة لا يخالف في ذلك أحد من أهل الكتاب وفيها أقبل السيد من سيناء، ومن البر تراءى لنا من جبال فاران ومعه الألف من الصالحين، ومعه كتاب باري وهو جيم الأجناس و- يع الصالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه بسبب من عمله. وفي السفر الخامس من التوراة، قال الله لموسى بن عمران: إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي عليّ فيه، فمن عصاه انتقمته منه. وفي نسخة: والله ربك يقيم نبياً من إخوتك فاسمع له كالذي سألت ربك في حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربي لثلاث أموت، فقال الله لي: نعم قالوا، وسأقيم لهم نبياً مثلك من إخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء أمرته، وأبما رجل لم يطع من تكلم باسمي فإنني أنتقم منه. فإن قلت إن ذلك إنما هو يوشع بن نون، فقد قال الله في آخر التوراة: لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى. وفي نسخة: لا يقوم في بني إسرائيل أحد مثل موسى. وفي نسخة أخرى: مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبداً. وانظر إلى من هم إخوة إسرائيل، فلا محالة أنهم العرب والروم. فأما بنو إسرائيل فلم يكن منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلا

يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب فهو محمد ﷺ. وقد قال الله سبحانه وتعالى في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب، إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته. فكفى عن بني إسماعيل بإخوة إسماعيل، كما كفى عن العرب بإخوة بني إسرائيل في قوله: سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك، ولم يكن يوشع كفواً لموسى، بل كان خادماً له في حياته، مؤكداً لدعوته بعد وفاته، ولكن كفواً موسى محمد ﷺ فإنه مماثل في نصب الدعوة، والتحدي بالمعجزات، وشرع الأحكام، وإجراء النسخ على الشرائع السالفة. وقوله أجعل كلامي في فمه إشارة إلى محمد ﷺ: معناه أوحى إليه من غير ألواح ولا صحف، لأنه أُمِّي لا يقرأ الكتاب، ولا يخطه بيمينه.

وَاسْتَخْبِرُوا الْإِنْجِيلَ عَنْهُ وَحَازِرُوا مِنْ لَفْظِهِ التَّخْرِيفَ وَالتَّبْدِيلَ

[قال الناظم]:

(١) ذكر بعض العلماء أن سبب التحريف والتبديل في الإنجيل، وفساد عقائد النصارى، أن الحواريين لما توفوا، وتفرق شمل النصارى، واختلفت أقوالهم، واستضعفوا حتى لا يوجد أحد منهم إلا قتل ومثل به، بعد انقضاء أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام تمادت أعمال دينهم إلى نحو ثلاث مئة سنة، وقيل مئتين وثلاثاً وثلاثين سنة، وفي ذلك الزمن اضطربت مملكة قسطنطين ملك الروم، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلوكهم، ويؤلف متفرقهم. فاستشار من لديه من أهل النظر، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه، ويزيد بجيشهم في نصره، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض تواريخهم خبراً عن رجل كان منهم، هم أن ينسخ حكمة التوراة، ويتفرد بالتأويل فيها، فعمدوا إليه وهو في نفر من تبعه، وظفروا بواحد منهم، وشهد رجل واحد أنه ذلك المطلوب، فصلبوه وما عندهم تحقيق أنه ذلك المصلوب بعينه، إلا أن فقدهم إياه من حينئذ، فعمد قسطنطين إلى من وجد من أمة عيسى، وقد اختلفت دعائها بعد المسيح بأربعين سنة، فاستخرج قسطنطين ما تبقى رسم الشريعة بأيديهم، وجمع عليه وزراءه، فأثبت ما شاء وما رآه، موافقاً لاختياره، كالقول بالصلوبية، ليتبعه قومه بطلب دم، والقول بترك الختان، لأنه شأن قومه، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر، فجميع أنصاره ورعاياه من الروم ذكر لهم

انه كان يرى في منامه آتيا آتاه، فيقول له بهذا الرسم تغلب، وتعرض عليه هيئة صليب، فأعظم ذلك العامة، وانفعلت لما سمعت منه. ثم بعث إلى امرأة كانت في ذلك الزمان كانت فيها روح كهانة، وكانت ذات جأش وقوة، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى، وقوي تصديق العامة لذلك، وفي ذلك كله لا يرون لذلك الرسم تأويلاً، ولا كان فلسطين كشف لهم شيئاً من أمره، وخرج بهم إلى عدوه، ووعظهم وهون عليهم أمر الرسم، فحصل لهم كل ما أرادوا من جد القوم واجتهادهم معه، فلما عادوا إلى أوطانهم سألوه عن تأويل ذلك الرسم، ولجوا عليه فيه، فقال: إنه قد أوحى في نومي أنه كأن الله تبارك وتعالى هبط من السماء إلى الأرض، وصلبته اليهود، فهالهم ذلك كثيراً مع ما حصل عندهم من تصديقه، وعظم عليهم الخطب فيه، وانقادوا إلى فلسطين انقياداً حسناً، وصح له منهم ما أراد، وشرع لهم هذه الشرائع على بعض ما هي عليه، وقد ظهر لجماعة من أهل العلم في ذلك الزمان غير أولي الشرائع، أن هذا الشخص الذي تعظمه النصارى وتصفه بالإلهية، لم يكن وجوده في العالم، ولكن فلسطين ابتدع لهم ذلك كله، واتفق مع نفر من أحبار اليهود وعلمائهم على أن يبذل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود، فصلبته، وأن يضع الأحبار ذلك مسطوراً عند اليهود. ففعلت وألفت من أخباره شيئاً، وشهدت أن ذلك القول جميعه بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل، فبقيت النصارى على ذلك الإحداث في شريعتهم، مع السماعات بمنامات تدعيها النساء والصبيان، ومن لا يوثق به بدون ذلك وإبدال ما كان بأيديهم، ورأوا ما في الإنجيل من إجراء صفات البشرية على المسيح، فقالوا بالحلول. واختلفوا في تلك العقائد، وسوغوها بالفاظ فلسفية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولا شهد بها كتاب قبل ذلك. وفي الإنجيل من تناقض الأقوال ما يدل على التبديل كثيراً؛ فمن ذلك قول المسيح: «أنا الباب، فمن دخل عليّ يسلم ويجد فرجاً أبداً، فمن عرض بمن قتله من الأنبياء فجعلهم لصوصاً وسراقاً، فقال آمين آمين، أقول لكم أنني أنا باب الضأن، والقادمون عليكم كانوا لصوصاً وسراقاً، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئاً ويقتل، وأنا قدمت لتحياهم وتزدادوا أجراً»، وفي الإنجيل منه: «إني كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق، لأنني أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب» وكيف تكون شهادته حقاً وباطلاً، ومقبولة وغير مقبولة، وكيف يجمع بين هذين في كتاب ينسب إلى الله تعالى. وفي الإنجيل أنه «حين استشعر بوقوف اليهود عليه بظلمكم، قال قد جزعت نفسي الآن، فماذا أقول يا أبنا؟ فسلمني من هذا الوقت» وأنه

حين رفع في الخشبة صاح صيحاء عظيمًا «إلهي إلهي: لماذا تركتني؟» وفي موضع آخر من الإنجيل أنه قال قبل ذلك: «من أحب أن يقفو أثري فليذهب، فحرض على إتلاف النفوس، فكيف يجزع مما حرض عليه؟ أم كيف يكون إلها ويجزع نفسه؟ أم كيف يكون ابن الله ويدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت، فلم يستجب له.

وفي الإنجيل عن يوحنا الحواري حين ذكر نسب عيسى عليه الصلاة والسلام من يوسف بن يعقوب بن أليعازر بن اليود بن أخيم، وعدّ إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أبًا. ثم في إنجيل لوقا الحواري أنه ابن يوسف بن هالي بن لاوي بن ملحان بن يتابن بن حنان، وعدّ إلى إبراهيم نيفا وخمسين أبًا، فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله؟ وفي أنه كان يوماً نهاهم عن التجارة في بيت المقدس، وأن اليهود قالت له يومئذ: أي علامة تظهر لنا؟ قال: تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالت اليهود بيت بني في خمس وأربعين سنة، تبنيه أنت في ثلاثة أيام؟ وفي موضع آخر منه لما ظفرت به اليهود بظنكم، وحمل إلى بلاد عامل قيصر، واسترعت عليه البنية أن شاهدي زور جاء وقالوا: هذا يقول أنا قادر على بنيان هذا البيت في ثلاثة أيام، أجز لي كيف استخرتم أن تسموهما شاهدي زور، وقد شهد نص كتابكم أنه قال ذلك! فإن قلت إن اليهود ظنوا بهذا القول عما عني عيسى عليه السلام فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل، إنما شهدا على لفظه وما نطق به لسانه.

ومما هو نص في كتابكم، وأي تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود، من أن البيت المعني فيه ست المقدس، إنما أراد جسمه، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام. ومن عجيب الأشياء انكم تأولتم على اليهود في ذلك ما أقررتم أنهم لم يقصدوا له، وذلك حين قال لهم عيسى: اهدموا هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالوا: بيت بني في خمس وأربعين سنة تبنيه في ثلاثة أيام! فقلتم في معنى ذلك إنها التربة التي صنعت منها الخمسة وأربعون من أقطار الأرض، وإن الأحرف التي في ابتداء السطر إذا حصلت وجدت آدم، وأكدتم التصديق بهذا الهذيان الذي لا يؤدي إلى معنى، بإخراج العدد من اسم آدم حين نزلت حروفه بحساب أبي جاد، على خمسة وأربعين من العدد، وأعجب الأشياء من هذا، ولكن أسلافهم جرى بينهم وبين المسيح هذا المجلس. وفيه أن يحيى قال: «فيه أنه يكثر ولا ينقص» وكيف تجوز الزيادة والنقص على من كان إلها. وفيه عن لوقا أن عيسى عليه السلام قال لرجلين من تلاميذه: «اذمبا إلى الحصن الذي يقابلكما، فإذا دخلتماه فتجدان فلواً مربوطاً لم يركبه أحد، فحلاه

وأقبل به إليّ وفيه لمن يذكر أنها كانت حمامة متعبة، وكفى بذلك شكاً. وفيه للوقا
 يخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلي عيسى عليه السلام وشق ذلك على
 التلاميذ، وقالوا هلا تصدقت به، وفيه لمتى: أنها إنما صبت الطيب على رأس المسيح
 عليه السلام فما أبعد اليقين من كتاب فيه مثل هذا الاختلاف! وفيه أن أم ابني سيدة
 جاءت إلى عيسى عليه السلام ومعها ابناها، فقال: ما تريدان؟ فقالت: أريد أن تجلس
 ولدي: أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك إذا جلست في ملكك، فقال: تجهلين
 السؤال، أبصبران على الكأس التي أشربها، فقالا: نصبر، فقال: سيشربان بكأسي،
 وليس إلى تجليسكما عن يميني وعن شمالي إلا بمن وهب ذلك إلي، فها هو ذا عيشي
 عليه السلام قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء. ومن تناقض إنجيلكم أنه قال: لا تحسبوا
 اني قدمت لأصلح بين أهل الأرض. لم آت بصلاحكم لكن لألقي المحاربة بينكم، إنما
 قدمت لأفرق بين المرء وأبيه والبنت وأمها، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته. وفيه عنه
 أنه قال: لم آت لأنقض شريعة من قبلي إنما جئت لأتمم. ثم فيه بعد ذلك نقض التوراة
 وأحكامها بقوله: أما علمتم أنه قيل للقديسين لا تقتلوا، ومن قتل استوجب القتل، وأنا
 أقول كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة، ومن قذف أخاه فقد استوجب
 النفي من الجماعة، ومن رماه بالخرق فقد استوجب نار جهنم. أما علمتم ما قد قيل
 للقديسين: من فارق امرأته فليكتب لها كتاباً بطلاق، وأنا أقول لكم من فارق امرأته منكم
 فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنى، ومن تزوج بمطلقة فهو فاسق، وقوله: أما بلغكم أنه قد
 قيل للقديسين: العَيْنُ بِالْعَيْنِ، وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ، وأنا أقول لكم: لا تكافئوا أحداً بسيئة؟
 ولكن من لَطَمَ خدك الأيمن فانصب له الأيسر، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك
 فزده رداءك، ومن سخرك ألف باع فاصحبه مثلها، ومن سأل شيئاً فأعطه، ومن
 استسلفك شيئاً فأسلفه. وفيه لمتى عن المسيح أنه قال لبيطره: طوبى لك يا شمعون بن
 الحمامة وأنا أقول لك إنك الحجر، وعلى هذا أبتني بيعتي، وكلما أحلته على الأرض
 يكون محلولا من السماء، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً في السماء. ثم فيه بعد
 أحرف يسيرة: يقول له بعينه: اذهب عني يا شيطان، ولا تعارض فإنك جاهل، فكيف
 شيطان يطيعه صاحب السماء؟ وفيه أيضاً أنه لم تلد النساء مثل يحيى، هذا في إنجيل
 متى. ثم في إنجيل يوحنا أن يحيى بعث إليه من اليهود من يكشف له عن أمره،
 فسألوه: أهو المسيح؟ قال: لا، فقالوا: أنت نبي؟ قال: لا، قالوا: أخبرنا من أنت؟
 قال: صوت كلام مناد في المغار، إلى كلام كثير ينفي عن نفسه كونه نبياً، ولا يجوز لنبي أن

ينكر نبوته في هذا الكلام. وقد ذكر عيسى عليه السلام أنه لا يصلح أن يحل شراره نعله، وسماء خروف الله، وأنتم تقولون هو الله، ولذلك تتأولون من الإنجيل الذي بأيديكم أنه لا نبي بعده. وفيه أيضاً من جهة أخرى أنه يبعث أنبياء في قوله لليهود: وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدون في حماكم وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى، ولبي كتبكم أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء، منهم ياربنا وشمعون ولوقبوس ومانالي، وكذلك في كتبكم أنه قدم أنبياء من بيت المقدس، وتكلم أحدهم وكان يسمى أنحيانوس، وقال إنه يكون في البلاد فجاجة وقحط شديد، وفيها أن جرجيس الذي كان من بعده وبعث إلى ملك الموصل وهو من أهل فلسطين، وكلفه أنز لبعض الحواريين وأنتم القائلون أن لا نبي بعد المسيح، وأنتم مصدقون نبوة هؤلاء كلهم، ولم يكن من الذكر في الكتب ولا النبوات مثل الذي كفرتم به.

فَلَقَدْ دَعَا قَبْلَ ذَلِكَ إِيلَا ^(١)	إِنْ يَدْعُهُ الْإِنْجِيلُ فَاِرْقَلِي طُهُ
يُثَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً	وَدَعَا رُوحَ الْحَقِّ لِلْوَحْيِ الَّذِي
أَرْقَفْتُ عَنْكُمْ لِأَلِهٍ مَقُولاً	وَأَرَاهُ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا إِذَا
لِيَجِيئَكُمْ مَنْ تَرْتَضَوْنَ بَدِيلاً	إِنْ أَنْطَلَقَ عَنْكُمْ يَكُنْ خَيْرٌ لَكُمْ
مَا كَانَ مَوْعِدَ بَغْيِهِ مَمْنُطُولاً	يَأْتِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ مِنْهُ مُبَارَكٌ
وَيَرُدُّ أَمْثَالِي بِهِ التَّأْوِيلَ	يَتْلُو كِتَابَ الْبَيِّنَاتِ كِتَابَهُ
وَكَفَاهُمْ بِخَطِيئَةٍ تَخْجِيلاً ^(٢)	وَيَقْنُدُ الْعُلَمَاءُ تَوْبِيخاً لَهُمْ
لِيُبَيِّحَهُ أَهْلَ الثَّقَى وَيُنِيلاً	وَيُزِيحُ مُلْكَ اللَّهِ مِنْكُمْ عَنْوَةً
صَارَ الْعَلِيمُ بِمَا أَتَيْتُ جَهُولاً	وَكَمَا شَهِدْتُ لَهُ سَيِّئُ شَهْدَائِي إِذَا
وَيَسْوسُكُمْ بِالْحَقِّ جِيلاً جِيلاً	يُبْدِي الْحَوَادِثَ وَالْغُيُوبَ حَدِيثَهُ
تَبْغُوا لَهَا إِلَّا النُّجُومَ وَغُولاً	هُوَ صَخْرَةٌ مَارُوجِمَتْ صَدَمَتْ فَلَا
أَخْذُوا عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ جَزِيلاً	وَالْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ قَقُومُهُ
لَكُمْ فَلَيْسَ مَجِيئُهُ مَجْهُولاً	وَالْمُنْخَمِرِينَ لَا تَشْكُوا إِنْ أَتَى
يَخْتَارُ مَا لِكُهُ عَلَيْهِ وَكِيلاً	وَهُوَ الْمُؤَكَّلُ أَخْرَابُ الْكَرَمِ لَا

(١) إيل: اسم الله تعالى.

(٢) يقنُد: يكذب.

[قال الناظم]:

فمن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الإنجيل وشارة المسيح عليه السلام قوله: «اللهم ابعث الفارقليط يعلم الناس أن ابن الإنسان بشر» وفيه عن يوحنا: «الفارقليط»^(١) لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء ولح العالم عن الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكنه مما يسمع يكلمكم، ويسوسكم بالحق، ويخبركم الحوادث والغيوب.

إلى أن قال عنه: وسيعظمني. وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا، وتمادى في وصفه بكلام بين وقال: هو سيشهد لي كما شهدت له «وأنا أجبتكم بالأمثال، وهو يحكم بالتأويل» وفيه عن يوحنا أن المسيح قال للحواريين: «من أبغضني فقد أبغض الرب. ولولا أنني صنعت لكم بحضرتي صنائع لم يصنعها أحد، ولم يكن لهم ذنب» ثم قال: «فلو قد جاء المنحمن، فهو الذي يرسله إليكم من عند الرب روح القدس، فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي، هذا قولي لكم كيلا تشكروا إذا جاء المنحمن» بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية الفارقليط، وهو بالعربية محمد ﷺ. وفيه أنه قال: لليهود، وأنا أقول لكم: لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له مبارك، يأتي على اسم الله» وفيه: «إنما النبوة والكتاب إلى يحيى، ومن بعده يكثر ملك الله وتوجد عنوة» فهذا بشارة بمحمد ﷺ «في الأرض الذي قهر الأجناس، وقتل من قتل بالسيف من اليهود، وصابر الكفرة انتقاماً من الله. وتكاملت عليهم دماء المؤمنين المتفرقة على الأرض، من دم هايل الصالح، إلى دم يحيى بن زكريا الذي قتلوه عند المذبح آمين آمين» أقول: «إنه سيأتي جميع ما وصف على هذه الأمة بؤساً، ثم تقتل الأنبياء، ورحم من بعث إليك. قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فراريها تحت جناحيها» وفيه عن متى: «أنه لما حبس يحيى بن زكريا عليه السلام بعث تلاميذه إلى المسيح، وقال لهم قولوا له أنت الآتي أم نتوقع غيرك فأجابهم المسيح، وقال: الحق اليقين أقول لكم إنه لم يقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا. وإن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي، حتى جاء يحيى، وأما الآن فإن شتم فافعلوا، فإن إيليا المزمع أن يأتي. فمن كان له أذنان سامعتان فليسمع» فهذه بشارة بمحمد ﷺ. فإن زعمت أنه إنما بشر بالناس النبي، فهذا من أعظم الجهل والكذب على الله تبارك وتعالى، لأن الناس تقدم إرساله

(١) الفارقليط: كلمة يونانية معناها محمد.

إلى قومه وصار إلى الله تعالى قول المسيح عليه السلام إن إيليا مززع أن يأتي قائل هو الله تعالى، فمجيء الله تعالى هو مجيء رسوله بكتابه وأمره، كما قال في النوراة «جاء الله من طور سيناء» وفيه «أقول لكم إنه سيزاح عنكم ملك الله، ويعطى الأمة المطيعة العاملة» ثم ضرب مثلاً بصخرة «من سقط على هذه الصخرة سينكر، ومن سقطت عليه يتهشم» يريد بذلك محمداً ﷺ من ناواه وحاربه أظهره الله عليه. وفيه أنه ضرب مثلاً للدنيا كمثّل رجل غرس كرماً وسبّخ حوله، وجعل فيه معصرة، وشيد فيه قصراً، ووكل به أعواناً، وتغرب عنه فلما دنا أوان انقطافه بعث عبيده إلى أعوانه الموكلين بالكرم. وضرب المسيح مثلاً للأنبياء، ثم لنفسه في كلام كثير، ثم محمداً ﷺ وجعل الموكّل آخر بالكرم، وأفصح عن أمة محمداً ﷺ وشرف وكرم.

وهو الذي من بغدي يحيى جاءهم
وسلوا الزبور فإن فيه الآن من
فهو الذي نعت الزبور مقلداً
قرئت به نيته شريعة دينه
فاضت على شفّته رجمة ربه
ولغالب من حمده وبهائه
في أمة خضت بكل كرامة
وعلى مضاجعهم وكل ثنية
رهبان ليل أشد حزن لم تليج
كم غادروا الملك الجليل مقيداً
فالله منتقم بهم من كل من
أعجبت من ملك رأيت مقيداً

إذ كان يحيى للمسيح رسيلاً^(١)
فضل الخطاب أو أميراً وفصولاً
ذاشفرتين من السيوف صقيلاً^(٢)
فأراك أخذ الكافرين وبسلاً^(٣)
فاستشف من تلك الشفاء عليلاً
ملاً الأعادي ذلة وخملاً
وتفياث ظل الصلاح ظليلاً
كل يسر وتغلين التهليل^(٤)
إلا القنايؤم الكريهة غيلاً^(٥)
والقرم من أشرافهم مغلولاً^(٦)
ينبغي على الحق المبين عدولاً
وشريف قوم عندهم مغلولاً

(١) الرسيل: يعني الرسول.

(٢) السيف الصقيل، أي: المصقول.

(٣) وبيل: شديد.

(٤) ثنية: العقبة، أو طريقها.

(٥) الغيل: الأجمة.

(٦) القرم: السيد.

خَضَعَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ طَائِعَةً لَهُ
 مَا زَالَ لِلْمُسْتَضْعِفِينَ مُوَازِرًا
 لَمْ يَدْعُهُ ذُو فَاقَةٍ وَضُرُورَةٍ
 ذَاكَ الَّذِي لَمْ يَدْعُهُ ذُو فَاقَةٍ
 تَبَقَّى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ دَائِمَةٌ فَخُذْ
 وَغَدَابَهُ قَزَائِهِمْ مَقْبُولًا
 وَأُولَى الصَّلَاحِ وَاللِّغْفَاءِ يَذُولًا^(١)
 إِلَّا وَنَالَ بِجُودِهِ الْمَأْمُولَا
 إِلَّا وَكَانَ لَهُ الزَّمَانُ مُبِيلَا
 وَضَفَّ النَّبِيُّ مِنَ الزُّبُورِ مَقُولَا

[قال الناظم:]

ومن بشارة الزبور به ﷺ: «سبحوا الله تسبيحا جديداً، سبحوا الذي هيكله الصالحون، وليفرح إسرائيل بخالقه، صهيون من أجل أن الله اصطفى لهم أمة، وأعطاهم النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، ويسبحون الله على مضاجعهم، ويكبرونه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم التي لا تعبه، ويوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرفهم بالأغلال» وفيه: تقلد أيها الجبار بالسيف، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بيمينك، وسهامك مسنونة، والأمم تجري تحتك.

وفيه: ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار، وتحز له أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحق أعداؤه بالركب، وتأتيه ملوك القرايين وتسجد له، وتدين له الأمم بالطا والانقياد، لأنه يخلص الناس من أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وأنه يعطى ذهباً من بلاد شتى، ويصلى عليه في كل وقت، ويدوم أمره إلى آخر الدهر». وفي الزبور: «أن الله أظهر من صهيون إكليل محمود» والإكليل ضرب مثلاً للرياسة، والمحمود اسم محمد. وفي الزبور: «يقول الله تعالى لداود عليه السلام سيولد لك ولد أدعى له أباً، ويدعى لي ابناً، فقال داود: اللهم ابعث جاعل السنة؛ كيما يعلم الناس أنه بشر». فانظر إلى قول داود حين راعه ذلك، وخاف أن يدعى ولده إلهاً: «اللهم ابعث جاعل السنة، ليعلم الناس أنه بشر، وكذلك قال المسيح في الإنجيل»: «اللهم ابعث الفارقليط، ليعلم أن ابن الإنسان بشر».

(١) الغفاء: جمع العافي: طالب الرزق.

وَكِتَابٌ شَفِيعٌ خَيْرٌ عَنِ رَبِّهِ
عَبْدِي الَّذِي سَرَتْ بِهِ نَفْسِي وَمَنْ
لَمْ أُعْطِ مَا أُعْطِيْنْتُهُ أَحَدًا مِنْ
يَأْتِي فَيُظْهِرُ فِي الْوَرَى عَذْلِي وَلَمْ
إِنْ غَضُّ مِنْ بَصَرٍ وَمِنْ صَوْتٍ فَمَا
فَتَحَ الْعُيُونُ الْعُورَ لَكِنْ الْعِدَا
أَخِيَا الْقُلُوبَ الْغُلْفَ، أَمْنَعُ كُلِّ ذِي
يُوصِي إِلَى الْأُمِّ الْوَصَايَا مِثْلَمَا
لَا تُضْحِكُ الدُّنْيَا لِهَ سِنَا وَمَا
مَنْ غَيْرُ أَحْمَدَ جَاءَ يَحْمَدُ رَبَّهُ
وَكِتَابُهُ مَا لَيْسَ يُطْفَأُ نَوْرُهُ
خَصَمَ الْعِبَادَ بِحُجَّةِ اللَّهِ الَّتِي
فَرَحْتُ بِهِ الْبَرِّيَّةُ الْقُضُوءِ وَمَنْ
فَزَهَتْ وَتَأَلَّتْ حُسْنُ لُبْنَانِ الَّذِي
مُلِئْتُ مَسَاكِينَ آلِ قَيْدَارٍ بِهِ

فَأَسْمَعُهُ يَفْرِخُ قَلْبَكَ الْمَتَّبُولَا^(١)
وَخَبِي عَلَى عِلْيَه مَنَزَلُ تَنْزِيلَا
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَحَسْبُهُ تَخْوِيلَا
يَكُ بِالْهَوَى فِي حُكْمِهِ لِيَمِيلَا^(٢)
غَضُّ الثَّقَى وَالْفَضْلُ مِنْهُ كَلِيلَا^(٣)
عَنْ فَضْلِهِ صَرَفُوا الْعُيُونَ الْخُولا
صَمَمَ وَكَمْ دَاءٍ أَزَالَ دَخِيلَا
يُوصِي الْأَبَ الْبَرَّ الرَّحِيمُ سَلِيلَا
لَمْ يُؤْتَ مِنْهَا عِدَّةٌ تَنْوِيلَا^(٤)
حَمْدًا جَدِيدًا بِالْمَزِيدِ كَفِيلَا
وَالْحَقُّ مُنْقَادٌ إِلَيْهِ ذُلُولَا^(٥)
أَمْسَى بِهَا عَذْرُ الْوَرَى مَتَّبُولَا^(٦)
فِيهَا وَفَاضَلَتْ الْوُعُورُ سُهُولَا
لَوْلَا كَرَامَةُ أَحْمَدٍ مَانِيلَا
عِزًّا وَطَابَتْ مَنَزِلًا وَتَنْزِيلَا

[قال الناظم:]

ذكر ما ورد في كتاب شغيا عليه السلام من البشارة بمحمد ﷺ قوله: «عبدى
الذى سرت به نفسى، أنزل حبي فيظهر فى الأمم عدلى، ويوصيهم الوصايا. لا
يضحك ولا يسمع صوته فى الأسواق، يفتح العيون العور، والآذان الصم، ويحيى
القلوب الغلف، وأعطيه ما لم أعط أحدا، بحمد الله حمداً جديداً، ويأتى من أقصى
الأرض، يفرج البرية، وسكانها يهللون لله على كل مشرف، ويكبرونه على كل رابية، لا

(١) القلب المتبول: السقيم.

(٢) الورى: الخلق.

(٣) كليل: ضعيف.

(٤) تنويل: عطاء.

(٥) ذلول: منقاد.

(٦) متبول: سقيم.

بضعف ولا يغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يدل الصالحين الذين هم كالعصبة الضعيفة، بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفيه، هذه ترجمة السريانيين، وترجمة اليونانيين: على كتفه علامة النبوة، وقوله يسفح هو محمد ﷺ بلسان السرياني، والسفح عندهم: الحمد.

جَعَلُوا الْكِرَامَةَ لِلْإِلَهِ فَأَكْرَمُوا	فَاللَّهُ يَجْزِي بِالْجَمِيلِ جَمِيلًا
وَلَبَّيْتِهِ الْحَرَمِ الْحَرَامِ طَرِيقُهُ	يُثْلُو زَعِيلَ الْمُخْلِصِينَ زَعِيلًا ^(١)
لَا تُخْطَرُ الْأَرْجَاسُ فِيهِ وَلَا يُرَى	لِخُطَاؤِهِمْ فِي أَرْضِهِ تَنْقِيلًا
كَتِفَاهُ بَيْنَهُمَا عِلَامَةُ مُلْكِهِ	لَهُ مُلْكٌ لَا يَزَالُ أَثِيرًا ^(٢)
مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِ الْإِلَهِ فَلَمْ يَزَلْ	مِنْهُ بِخُسْنِ عِنَايَةٍ مَشْمُولًا
هُوَ رَاكِبُ الْجَمَلِ الَّذِي سَقَطَتْ بِهِ	أَصْنَامُ بَابِلَ قَدَاتُكَ دَلِيلًا

[قال الناظم:]

ومن كتاب شغيا عليه السلام: «أتت أيام الاعتقاد، أتت أيام الكمال» ثم قال: لتعلموا يا بني إسرائيل الجاهلين أن الذي تسمونه ضالاً هو صاحب النبوة، تقرأون على كثرة ذنوبكم وعظم فجوركم» ومن كتاب شغيا: «قيل لي قم فانظر ما ترى فأخبر به، فقلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها» ومن كتاب شغيا: «لأرفعن علماً بجميع أهل الأرض يظفرهم في أقاصي البلاد، فإذا هم سراع يأتون» يريد به النبي صلى الله عليه وسلم، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وحجهم البيت الحرام من أقاصي الأرض.

ومن كتاب شغيا عليه السلام يصف أمة النبي ﷺ: «يدوسون الأمم كدياس البيادر بفدان، ليهزموا بين سيوف مسلولة، وقسي موتورة من شدة الملحمة» إشارة لانهمز العرب بيدر، ثم آمنوا بالنبي ﷺ فداسوا به الأمم كدياس البيادر.

(١) الرعيل: القطعة من الخيل قدر العشرين. ويريد هنا الجماعة.

(٢) الأثيل: العظيم.

وَالْعَرَسُ فِي الْبَدْوِ الْمُشَارِ لِفَضْلِهِ
 غَرَسَتْ بِأَرْضِ الْبَدْوِ مِنْهُ دَوْخَةً
 قَاتَتْكَ فَاضِلَةُ الْغُصُونِ وَأَخْرَجَتْ
 دَقَبَتْ بِكَرْمَةٍ قَوْمٍ سَوَاءٍ ذَلَّتْ
 وَسَلَوِ الْمَلَانِكَةَ الَّتِي قَدْ آيَدَتْ
 إِنَّ كُنْتَ تَجْهَلُهُ فَسَلْ حِزْقِيلاً
 لَمْ تَخْشَ مِنْ عَطَشِ الْفَلَاةِ ذُبُولاً
 نَارَ الْمَاغَرَسِ الْيَهُودُ أَكُولاً
 بِيَدِ الْغُرُورِ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً
 قِيدَارُ تُبْدِي الْعِلَّةَ الْمَغْلُولاً

[قال الناظم]:

(١) بشارة حِزْقِيل النبي عليه السلام بمحمد ﷺ: فمن ذلك قصة ذكر فيها ظهور اليهود وكفرانهم النعمة، فشبههم بالكرمة، ثم قال: إني بلوت تلك الكرمة: إن قلعت بالسخطة، ورمى بها على الأرض، فحرقت السماء، فعند ذلك غرس غرسته في البدو، أو في الأرض المهملة العطشى، فخرجت من أغصانها الفاضلة نار، فأكلت تلك الكرمة، حتى لم يوجد فيها قضيب.

ومن كلام حِزْقِيل إخباراً عن الله تعالى: «إني مؤيد قيدار بالملائكة» وقيدار هو ابن إسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

وَسَلَنْ حَبَقُوقُ الْمُصْرُوحَ بِاسْمِهِ
 إِذَا أَوْصَلَ الْقَوْلَ الصَّارِخَ بِذِكْرِهِ
 وَالْأَرْضُ مِنْ تَحْمِيدِ أَحْمَدَ أَضْبَتْ
 رَوَيْتَ سِهَامُ مُحَمَّدٍ بِقَيْسِهِ
 وَيَوْضُفِيهِ وَكَفَى بِهِ مَسْئُولاً
 لِلْسَّامِعِينَ فَأَخْسَنَ التَّوْصِيلاً
 وَيُنُورُهُ عَرْضاً تُضِيءُ وَطُولاً
 وَغَدَا بِهَا مَنْ نَاضَلَتْ مَنْضُولاً

[قال الناظم]:

من كتاب حبقوق النبي عليه السلام يبشر برسول الله ﷺ: «جاء الله من تيمان، وظهر قدس على جبال فاران، وامتلات الأرض من تحميد أحمد وتقديسه، وملك الأرض بيمينه، وأضاءت الأرض بنوره، وحملت خيله في البحر، وملك رقاب الأمم». ومن صحف حبقوق: «يضيء بنوره الأرض وسينزع في قسيك أعراب، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء». ومن كلامه: «إذا جاءت الأمة الأخيرة يسبح صاحب الجمل أو

قال راكب الجمل . تسبيحاً جديداً في الكنائس الجدد . ففرحوا وسيروا في الأرض إلى صهيون يعلنون أمته بأصوات عالية بالتسبيحة الجديدة التي أعطاهم الله في الأيام الأخيرة؛ أمة جديدة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض، وهذا تصريح لا يحتاج إلى تفسير.

وَاسْمَعْ بِرُؤْيَا بُخْتَنْصَرَ وَالتِّمِيسَ مِنْ دَانِيَالٍ لَهَا إِذْ تَأْوِيلًا
وَسَلَوُهُ كَمْ تَمْتَدُّ دَعْوَةُ بَاطِلٍ لِشُرَيْخٍ عَلَّةٌ مُبْطِلٌ وَتُزِيلًا

[قال الناظم]:

كان بختنصر قد رأى رؤيا، فأحضر دانيال النبي عليه السلام وسأله أن يخبره عن منامة رآها ويتأويلها فقال له: رأيت صنماً بارعَ الجمال، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار، فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك، إذ دقه الله بحجر من السماء، فضرب رأس الصنم، فطحنه، حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره، ثم إن الحجر ربا وعظم، حتى ملأ الأرض كلها، فقال له بختنصر: صدقت، فأخبرني بتأويلها، فقال له دانيال: أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره؛ فالرأس من ذهب: أنت أيها الملك [والفضة: ابنك من بعدك، والنحاس: اليوم، والحديد: الفرس، والفخار: أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام، والحجر: هو دين نبي وملك أبدي يكون في آخر الزمان، يغلب الأمم كلها، ثم يعظم، حتى يملأ الأرض كلها، كما ملأها ذلك الحجر].

وفي صحف دانيال عليه السلام، وقد بعث للكذابين «فقال: لا نتم دعوتهم، ولا يتم قربانهم، وأقسم الرب بساعده أن لا يظهر الباطل، ولا يقوم كاذب، ليسرع كاذب، دعوة الرب ثلاثون سنة». وهذا أول دليل على الجاحدين لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وَازِمَ الْعِدَائِ بِبَشَائِرٍ عَنْ أَرْمِيَا
 إِذْ قَالَ قَدْ قَدَّمْتُهِ وَعَصَمْتُهُ
 وَجَعَلْتُ تَقْدِيرِي قُبَيْلَ وَجُودِهِ
 وَحَدِيثُ مَكَّةَ قَدَرُواهُ مُطَوَّلًا
 إِذْ رَاحَ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ مُبَشِّرًا
 وَتَشَرَّقَتْ بِأَنْصَبِ جَدِيدٍ فَادْعُهَا
 فَتَنَّبَهَتْ بَعْدَ الْخُمُولِ وَكُلَّلَتْ

إِذْ كَفَّ نُبْلُ كِنَانِهِ مَثْبُورًا^(١)
 وَجَعَلْتُ لِلْأَجْنَاسِ مِنْهُ زُسُولًا
 وَغَدَا عَلَيَّ كَبَفِيهِ مَفْعُولًا
 شَغِبَافُ خُذْهُ وَجَانِبِ التَّطْوِيلِ
 بِالنُّسْلِ مِنْهَا عَاقِرًا مَفْضُولًا
 حَرَّمَ إِلَهُ بَلَّغَتْ مِنْهُ السُّورَا^(٢)
 أَبْوَابُهَا وَسُقُوفُهَا تَكْلِيلًا

[قال الناظم:]

من كتاب أرميا قوله: «قبل أن أخلقك فقد عصمتك، من قبل أن أصورك في البطن قدمنتك وجعلتك نبياً للأجناس» هذه بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يبعث للأجناس غيره.

وفي الإنجيل من كلام المسيح: «لم أبعث إلى الأجناس ولكن إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل» وقال للحواريين: «لا تسلكوا في سبيل الأجناس ولكن احضروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل».

وَنَأَتْ عَنِ الظُّلْمِ الَّذِي لَا يَبْتَغِي
 حَرَّمَ عَلَى حَمَلِ السُّلَاحِ مُحَرَّمٌ
 وَتَخَالُ مِنْ تَخْرِيمِ حُرْمَتِهِ الْعِدَا
 لَمْ يُتَخَذْ بَيْنَتْ مِوَاهُ قَبْلَةً
 وَيُنَوِّبَايَتْ لَمْ تَزَلْ خُدَامُهَا
 جُمِعَتْ لَهُ أَغْنَامٌ قَيْنَادَارُهَا

لِخَضَابِهِ شَيْبُ الزَّمَانِ نَصُولًا^(٣)
 فَكَأَنَّمَا يَسْقِي السُّيُوفَ فَلُولًا^(٤)
 عُزْلًا وَإِنْ لَيْسُوا السُّلَاحَ وَمِيلًا^(٥)
 فَازْدَدَ بِذَلِكَ لِمَا أَقُولُ قَبُولًا
 لَا تَبْتَغِي عَنْهَا لَهُمْ تَخْوِيلًا
 قَدْ كَانَ مِنْهَا ذَبْحُ إِسْمَاعِيلًا

(١) متبول: سقيم.

(٢) السؤل: السؤل.

(٣) النصول: الخروج.

(٤) فلول السيف: انثلامه.

(٥) الميل: جمع الأميل: الذي لا سلاح له، والجبان.

فَنَمَتْ وَأَمِنْ خَوْفِهَا وَعَدُوُّهَا

قَدَبَاتٍ مِنْهَا خَائِفًا مَهْزُولًا

[قال الناظم]:

ومن كتاب شعيا يذكر مكة شرفها الله تعالى قوله: «فقد أقسمت نفسي كقسمي أبيام نوح: لأغرقن الأرض بالطوفان. كذلك أقسمت لا أسخط عليك ولا بين فضلك، وأن الجبال تزول، والقلاع تنحط، ورحمتي عليك لا تزول، يا مسكينة يا مضطهدة، مبانيك بالحجارة، وتربتك بالجواهر، وملكك باللؤلؤ، وسقفك بالزبرجد وأبوابك، وتبعدين عن الظلم فلا تخافين. وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك. وكل لسان يقوم معك بالخصومة. ويسميك الله اسما جديداً. فقولني واشرفي، فإنه قد دنا نورك، ووقار الله عليك. انظري بعينك فإنهم مجتمعون حولك، يأتون بنيك وبناتك عدواً، فحينئذ تشرقين وتزهرين، ويخاف عدوك، ويشبع قلبك. وكل غنم قيذار تجتمع إليك. وسادات نبايت يخدمونك، وتفتح أبوابك دائماً بالليل والنهار، ويتخذونك قبلة، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب». فهذا خطاب لمكة، وقيدار بن إسماعيل، والاسم الجديد الذي سميت به الكعبة هو البيت الحرام ومدينة الرب حرم الله. وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك، إشارة إلى أمن الحرم. وقوله غنم قيذار تصريح بالهدي المجلوب إليها في الحج والعمرة. وسادات نبايت يخدمونك: يعني سدنة الكعبة، وهم من ولد نبايت بن قيذار بن إسماعيل، واتخاذها قبلة: غاية التصريح.

ومن كتاب شعيا عليه السلام: «أيها العاقر قومي فأضيئي، فإنه قد دنا ضياؤك، وكرامة الرب عليك تظهر، لأن الظلمة قد غطت الأرض، وعليك يتجلى، وكرامة الرب عليك، تجيء الشعوب والملوك، سوءك والنور المنظور عليك مدى نظرك إلى حدودك، فانظري إلى الجميع يتحزبون ويأتون إليك عن بعد هنالك، فتضيئين وتفرحين، من أجل أنه يأتيك أقوياء الشعوب، وقوافل الجمال تغشاك، والأغنياء يأتون بالذهب، والكومان يحملونه بتسبيح الرب، وجميع غنم قيذار تجتمع إليك. هذا قول الرب القوي».

ومن كتاب شعيا عليه السلام: «أيها العاقر افرحي واجهري وانطقي بالتسبيح، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي» إشارة إلى مكة فإنها عاقر، لأنها بواد غير ذي زرع، ولم يخرج منها نبي قبل ذلك غير إسماعيل، ولم يكبر ولد بها.

وَكَلَامُ شَمْعُونِ النَّبِيِّ تَخَالَهُ
وَجَمِيعُ كُتُبِهِمْ عَلَى عِلَاتِهَا
لَمْ يَجْهَلُوهُ غَيْرَ أَنْ سُيُوفُهُ
فَاسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَى
لَوْلَا اسْتِحْأَلْتُهُمْ لَمَّا الْفَيْتَنِي
أَوْ قَدْ جَهِلْتُ مِنَ الْحَدِيثِ رِوَايَةً
فَأَتْرُكُ جَدَالَ أَخِي الضَّلَالِ وَلَا تَكُنْ
مَالِي أَجَادِلُ فِيهِ كُلُّ أَخِي عَمِّي
وَاضْرِفْ إِلَى مَذْحِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَإِذَا حَصَلْتُ عَلَى الْهُدَى بِكِتَابِهِ
ذِكْرُ بِهِ تَرْقَى إِلَى رُتَبِ الْعُلَا
يَذَرُ الْمُعَارِضَ ذَا الْفَصَاحَةِ الْكُنَا
لَا تَنْصِبَنَّ لَهُ جِبَالَ مُعَانِدٍ
إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مُعْجَزَاتِ مُحَمَّدٍ

لِكَلَامِ مُوسَى قِدَانِي تَذْيِيلًا
نُطَقْتُ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَغْلِيلًا
أَبَقْتُ حُقُودًا عِنْدَهُمْ وَذُخُولًا (١)
مَآخِرُ قَوَامِنِ كُتُبِهِمْ تَغْوِيلًا
لَكَ بِالذَّلِيلِ عَلَى الْغَرِيمِ مُجِيلًا
أَمْ قَدْ نَسِيتَ مِنَ الْكِتَابِ نُزُولًا
بِمِرَاءٍ مَنْ لَا يَهْتَدِي مَشْفُوعًا
كَيْفَ مَا أَقِيمَ عَلَى النَّهَارِ ذَلِيلًا
قَوْلًا غَدَا عَنْ غَيْرِهِ مَغْدُولًا
لَا تَبْغِ بَعْدَ لَغِيرِهِ تَخْصِيلًا
فَتَخَالَ حَامِلَ آيَةٍ مَخْمُولًا
فِي قَوْلِهِ وَأَخَا الْجِجَامِ مَخْبُولًا (٢)
فَتَشْرِي بِكَفَّةِ آفَةٍ مَخْبُولًا (٣)
يَوْمَ أَفَكُنْ عَمَّا جَهِلْتُ سَتُولًا

[قال الناظم:]

ومن كتاب شعيا عليه السلام: «بحق أقول لكم، لأعطين البادية كرامة لبنان وبيت المقدس، وتشقها مياه وقصور وإيوان في الأرض الفلاة. وأجعل هناك طريقاً حراماً لا يمر به أنجاس الأمم، ويكون هناك طابق المخلف».

ومن صحف شعيا عليه السلام: «ليفرح أهل البادية العطشى، ولتبتهج البوادي والفلات، لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان، وكمثل حسن الدساكر والرياض».

ومن كلام شمعون: «جاء الله بالبيان من جبال فاران، وامتلات السموات والأرض من تسبيحه وتسييح أمته» يعني حكى موسى في قوله جبال فاران.

(١) الذُّخُول: جمع الدُّخُل: العداوة والحقد.

(٢) الْأَلْكُن: الذي لا يقيم العربية. الجِجَام: العقل.

(٣) مَحْبُول: مربوط بالجبل.

شَهِدَتْ لَهُ الرُّسُلُ الْكِرَامُ وَأَشْفَقُوا
 قَارَتْ نُورُ النُّيُورِينَ بِنُورِهِ
 وَتَسَبَّحَتْ فَضْلَ الْعَالَمِينَ لِفَضْلِهِ
 وَأَرَانِي الزَّمَنَ الْجَوَادَ بِجُودِهِ
 مَا زَالَ يَسْرُقُنِي فِي مَوَاهِبِ رَبِّهِ
 حَتَّى أَتَقَنَّي أَغْنَى الْوَرَى وَأَعَزُّهُمْ
 بَنَتْ الْفَضَائِلُ فِي الْوُجُودِ فَمَنْ يُرِدْ
 فَالْشَّمْسُ لَا تُغْنِي الْكُوكِبُ جُمْلَةً
 سَلَ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ عَنْهُ فَخَيْرُ مَا
 فَمَنْ الْمُخْبِرُ عَنْ عَلَامٍ مِنْ دُونِهَا
 فَلَوْ اسْتَمَدَّ الْعَالَمُونَ عُلُومَهُ
 فَتَلَقَّ مَا تَسْطِيعُ مِنْ أَنْوَارِهِ
 فَلَرُبَّمَا لَقِيَ عَلَيْكَ كِتَابُهُ
 ذَاكَ الَّذِي رَفَعَ الْهُدَى بِبَيْمِينِهِ
 أَوْ مَا تَرَى الدِّينَ الْحَنِيفَ بِسَيْفِهِ
 وَالشُّرَكَاءَ رَجَسَ فِي الْأَنَامِ وَخَيْرُ مَا
 دَاعَى بِأَمْرِ اللَّهِ أَسْمَعَ صَوْتُهُ الثُّ
 لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا لِمَا يُخَيِّبُهُمْ
 تَخَذُوا عَزَائِمُهُ الْعِبَادَ كَأَنَّمَا
 يُهْدِي إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَنْ أَقْبَى
 وَيُظِلُّ يُهْدِي لِلْجَحِيمِ بِسَيْفِهِ
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ أَتَعَبَ مَا لِكَا
 فَاسْمَعْ شَمَائِلَهُ الَّتِي ذَكَرِي لَهَا
 مَنْ خُلِقَ الْقُرْآنُ جَلُّ ثَنَاؤُهُ

مِنْ فَاخِصِلْ يَسْتَقْشِدُ هَذَا الْمَقْضُولَا
 فَرَأَيْتُ نُورَ النُّيُورِينَ ضَمِيلَا
 فَتَسَبَّحَتْ مِنْهُ إِلَى الْكَثِيرِ قَلِيلَا
 لَمَّا وَرَزَتْ بِهِ الزَّمَانَ بِخَيْلَا
 وَيُنَالُ فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ جَزِيلَا
 يَنْقَادُ مُخْتَاجًا إِلَيْهِ ذَلِيلَا
 فَضْلًا يَزِيدُهُ بِفَضْلِهِ تَفْصِيلَا
 فِي الْفَضْلِ مَغْنَاهَا وَلَا تَفْضِيلَا
 سَأَلَ الْخَبِيرُ عَنِ الْجَلِيلِ جَلِيلَا
 تَنَبَّأَ الْبُرَاقُ وَأَخْرَجَتْ جَنِيرَا
 مَدَّتْهُمْ الْقَطَرَاتُ مِنْهُ سَيُولَا
 إِنْ كَانَ رَأَيْكَ فِي الْقَلَاحِ أَصِيلَا
 قَوْلًا مِنَ السُّرِّ الْمَصُورِ ثَقِيلَا
 عَلَمًا وَجَرَدَ صَارِمًا مَضْفُولَا^(١)
 جَعَلَ الطُّهُورَ لَهُ دَمًا مَطْلُولَا^(٢)
 الْقَيْتَهُ بِدَمِ الْعِدَا مَقْسُولَا
 قَلْبَيْنِ حَتَّى ظَنَّ إِسْرَافِيلَا^(٣)
 أَبْدَا كَمَا يَدْعُو الطَّبِيبُ عَلِيلَا
 تَخَذَتْ عَزَائِمُهُ الْفَضَاءَ سَبِيلَا
 وَغَدَا بِنُورِ كِتَابِهِ مَكْخُولَا
 مِمَّنْ عَصَى بَعْدَ الْقَتِيلِ قَتِيلَا
 بِخُسَامِهِ وَأَرَاخَ عِزْرِيَلَا^(٤)
 قَدْ كَادَتْ خَسْبُهُ الْعُقُولُ شُمُولَا^(٥)
 عَنْ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مَمْلُولَا

(١) الصارم: السيف. المصقول: الصقيل. الطهور: الطهر.

(٢) مطلول: مهذر.

(٣) الثقلان: الإنس والجن. إسرافيل: اسم ملك من الملائكة.

(٤) مالك وعزرائيل: ملكان من الملائكة.

(٥) الشماثل: الخصال المحمودة. الشمول: الخمرة.

وَإِذَا أَتَتْ آيَاتُهُ بِمَدِيحِهِ
 إِنَّ أَمْرًا مُتَّبِعًا لِأَيُّهَا
 إِنِّي لَا وَرْدَ ذِكْرُهُ لَتَقَطَّ شِي
 وَالنَّيْلُ يُذَكِّرُنِي كَرِيمَ بَنَانِهِ
 مَنْ لِي بِأَنِّي مِنْ بَنَانٍ مُحَمَّدٍ
 مِنْ رَاحَةٍ هِيَ فِي السَّمَاحَةِ كَوْثَرُ
 سَارَتْ بِطَاعَتِهَا السُّحَابُ كَأَنَّمَا
 أَتَى دَعَاوًا أَشَارَ مُبْتَهَلًا بِهَا
 وَأَظُنُّهُ لَوْلَمْ يُرْدِ أَفْلَاحُهُ
 وَكَمْ أَشْتَكْتُ بَلَدًا أَذَاهُ فَأَلْبَسْتُ
 يَارَ حَمَّةَ لِلْعَالَمِينَ، أَلَمْ يَكُنْ
 إِذْ قَامَ عَمُّكَ فِي الْوَرَى مُسْتَسْقِيًا
 وَرَفَعْتَ عَامَ الْفِيلِ عَنْهُمْ فِتْنَةً
 بِسَحَابِ الطَّنِيرِ الْأَبَابِيلِ الَّتِي
 فَقَدَوْكَ مَوْلُودًا وَقَيْتَ نَفْسَهُمْ
 حَتَّى إِذَا مَا قُمْتَ فِيهِمْ مُنْذِرًا
 فَلَقَيْتَهُمْ فَرْدًا بِعَزْمٍ مَا انْتَنَى
 وَوَكَّلْتَ أَمْرَكَ لِيَلَالِهِ وَيَالِهَا
 وَأَطَلْتَ فِي مَرْضَاةِ رَبِّكَ سُخْطَهُمْ
 وَطَفِقتَ يَلْقَاكَ الصَّدِيقُ مُعَادِيًا
 وَدَعَوْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْهُدَى

رَأَيْتُ مِنْهَا ذِكْرَهُ تَرْتِيلًا
 مُتَّبِعًا لِلْإِلَهِ تَنْبِيْلًا^(١)
 فَأَخَالَ أَنِّي قَدْ وَرَدْتُ النَّيْلًا
 فَأُطِيلُ مِنْ شَوْقِي لَهُ التَّقْبِيلًا^(٢)
 بِاللَّثْمِ نِلْتُ الْمَنْهَلَ الْمَغْسُولًا
 لَكِنْ وَارِدَهُ أَيْزِيدُ غَلِيلًا^(٣)
 أَمَرْتُ بِمَا تَخْتَارُ مِيكَائِيلًا^(٤)
 لِمِيَاهِ مُزْنٍ مَا يَزَالُ هَطُولًا
 لَأَتِي بِسَيْلٍ مَا يُصِيبُ مَسِيلًا
 بِدُعَائِهِ مِنْ صَخْرَةٍ إِكْلِيلًا
 طِفْلًا لِيُضِرَّ الْعَالَمِينَ مُزِيلًا
 كَادَتْ تَجْرُ عَلَى الْبِطَاحِ ذُيُولًا
 أَلْقَيْتَ فِيهَا التَّابِعِينَ الْفِيلًا
 جَادَتْهُمْ مَطَرُ الرَّدَى سَجِيلًا^(٥)
 شَيْبًا وَشَبَّانًا مَعَا وَكُهُولًا
 أَبْدُوا إِلَيْكَ عَدَاوَةً وَذُحُولًا^(٦)
 يَوْمًا وَخُسْنٍ تَصْبُرُ مَا عِيلًا^(٧)
 ثِقَةً بِنُضْرٍ مَنْ اتَّخَذَتْ وَكِيلًا
 فَجَرَعْتَ مِنْهُمْ عُلْقَمًا مَغْسُولًا
 وَالسُّلْمَ حَرْبًا وَالتَّصِيرُ خَذُولًا
 وَهَزَزْتَ فِيهِمْ صَارَ مَا مَسْلُولًا

(١) متبئل: منقطع عن الدنيا إلى الله تعالى.

(٢) البنان: الأصابع أو أطرافها.

(٣) كوثر: كثير جداً. الغليل: العطش.

(٤) ميكائيل: ملك موكل بالأرزاق.

(٥) الردى: الموت. سجيل: حجارة كالمندر. أو السجيل كما في الآية. بمعنى السجل فيكون معنى

قوله «مِنْ سَجِيلٍ»: مما كتب لهم أنهم يعذبون بها.

(٦) الذحول: العداوة.

(٧) عيل الصبر: نفد.

وَأَتَمَّتْ ذَلِكَ الْغَضَبَ فِيهِمْ قَاضِيًا
فَطَفِفْتَ لَا تَنْفُكَ تَشْلُو آيَةً
حَتَّى قَضَى بِالنُّصْرِ دِيْنَكَ دِيْنَهُ
وَعَنْتَ لِسَطْوَتِكَ الْمُلُوكَ وَلَمْ تَزَلْ
لَمْ تَخْشِ إِلَّا اللَّهَ فِي أَمْرٍ وَلَمْ
اللَّهُ أَعْطَى الْمُصْطَفَى خُلُقًا عَلَى
عَمَرِ الْبَرِيَّةِ عَدْلُهُ فَصَدِيقُهُ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ حِفْظَ وَلِيِّهِ
عَرِضَتْ عَلَيْهِ جِبَالُ مَكَّةَ عَسْجَدًا
رَكِبَ الْجِمَارَ تَوَاضَعًا مِنْ بَعْدِ مَا
أَمَعْنَفِي أَنِّي أَطِيلُ مَدِيحَهُ
إِنِّي تَرَكْتُ مِنَ الْكَلَامِ نُخَالَهُ
مَاذَا عَلَى مَنْ مَدَّ حَبْلَ مَدَائِحِ
قَيَّدْتُهُ بِالنُّظْمِ إِلَّا أَنَّهُ
وَأَضَاءَتِ الْأَيَّامُ مِنْ أَنْوَارِهِ
إِنِّي أَمَرْتُ قَلْبِي يُجِيبُ مُحَمَّدًا
أَجِبُّهُ وَأَمَلُ مِنْ ذِكْرِي لَهُ
بِالْيَتْنِي مِنْ مَعَشَرِ شُهَدَا الْوَعَى
فَأَقُومَ عَنْهُ بِمَقُولٍ وَبِصَارِمٍ
طَوْرًا بِقَافِيَةِ يُرِيكَ ثَبَاتُهَا
وَبِضْرَبَةٍ يَدْعُ الْمُدَجَّجَ وَتُرْهَأُ

وَتَضَبَّتْ تِلْكَ الْبَيِّنَاتِ عُذُولًا^(١)
فِيهِمْ وَتَخَسِمُ بِالْخُسَامِ ثَلِيلًا^(٢)
وَعَدَا إِلَيْدِينَ الْكَافِرِينَ مُزِيلًا
بِرًّا رَجِيمًا بِالضَّعِيفِ وَضُولًا
تَمْلِكُ طِبَاعَكَ عَادَةً فَتَخُولًا
حُبَّ الْإِلَهِ وَخُرُوفِهِ مَجْبُولًا
وَعُدْوُهُ لَا يُظْلَمُونَ قَتِيلًا^(٣)
خَرَجَ الْهَوَى مِنْ قَلْبِهِ مَفْزُولًا
فَأَبَى لِفَاقَتِهِ وَكَانَ مُعِيلًا^(٤)
رَكِبَ الْبُرَاقَ السَّابِقَ الْهَذُولًا^(٥)
مَنْ عَدَّ مَوْجَ الْبَحْرِ عَدَّ طَوِيلًا
وَأَخَذْتُ مِنْهُ لِبَابَهُ الْمَنْخُولًا
فِيهِ بِحَبْلِ مَوْدَةٍ مُؤَصُولًا
سَبَقَ الْجِيَادَ إِلَى الْمَدَى مَشْكُولًا^(٦)
وَاسْتَضَحَبَتْ غُرُرًا بِهَا وَحُجُولًا^(٧)
وَيَلُومُ فِيهِ لَا تَمَأْوَ عَذُولًا
لَيْسَ الْمُحِبُّ لِمَنْ يُحِبُّ مَلُولًا
مَعَهُ زَمَانًا وَالْكِفَاحَ طَوِيلًا
أَبْدَاقُ وَلَا فِي رِضَاهُ فَعُولًا^(٨)
كَفَّ الرَّدَى عَنْ عَرْضِهِ مَشْلُولًا
شَفَعَا كَمَا شَاءَ الرَّدَى مَجْدُولًا^(٩)

- (١) السيف الغضب: السيف القاطع.
(٢) الثليل: المتلول أي الذي ألقي على عنقه وخذله.
(٣) الفتيل: حبل دقيق من ليف، وما فتلته بين أصابعك من الوسخ، والشيء القليل وهذا ما أراده.
(٤) العسجد: الذهب.
(٥) الهذول: الطريل الصلب.
(٦) مشكول أي: مقيد.
(٧) غرر: جمع غرة: بياض في الجبهة. حُجول: من جمع حجل: وهو البياض.
(٨) الصارم: السيف القاطع. مقول: يعني قول الشعر.
(٩) مدجج: حامل السلاح. مجدول: مصروع.

وَبَطْنَةٌ جَلَّتْ السُّنَانُ فَمَثَلَتْ
 فِي مَوْقِفِ غَشِي اللَّحَاطِ فَلَا يَرَى
 قَرَشَفَتْ ثَغَرَ الْمَوْتِ فِيهِ أَشْنَبَا
 وَالْخَيْلُ تَسْبَحُ فِي الدِّمَاءِ وَتَتَّقِي
 فَاطْرَبَ إِذَا غَشَى الْحَدِيدُ فُخَيْرَ مَا
 تَالَهُ يُثْنِي الْقَلْبُ عَنْهُ مَا تُثْنِي
 أَيْضُنْ عَنْهُ بِمَالِهِ وَبِنَفْسِهِ
 فَلَا قُطْعَنْ جِبَالُ تَسْوِي فِي النَّبِي
 وَلَا مُنْعَنْ الْعَيْنُ فِيهِ مَنَامَهَا
 وَلَا زَمِينَ لَهُ الْفِجَاجُ بِضُمِّ
 مِنْ كُلِّ دَائِمَةِ الْأَبَاطِلِ زِدْتُهَا
 سَارَتْ تَقِيْسُ ذِرَاعُهَا سَقْفَ الْفَلَا
 حَتَّى تُرِيكَ الْحَرْفَ مِنْ صَلْدِ الصُّفَا
 وَكَأَنَّمَا ضَرَبَتْ بِصَخْرٍ مِثْلَهُ
 قَطَعَتْ جِبَالَ الْبُغْدِ لَمَّا أَغْمَلَتْ
 حَتَّى أَضْمَّ بِطَيِّبَةِ الشُّمْلِ الَّذِي
 وَأَرِيحَ مِنْ نَعْبِ الْخَطَا يَا ذِمَّةَ
 وَيُسْرُ بِالْغُفْرِ إِنْ قَلْبٌ لَمْ يَزَلْ
 وَأَعُوذُ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ مُنَوَّ
 وَإِذَا تَغَسَّرَتِ الْأُمُورُ فَإِنِّي

عَيْنَا الْعَيْنُكَ فِي الْكَمِيِّ كَجِيلَا (١)
 لَحَظْتُ بِهِ الْأَقْنَاءَ مَسِيلَا
 وَلَثَمْتُ خَذَّ الْمَشْرِفِي أُسَيْلَا (٢)
 أَيْدِي الْكُمَاءِ مِنَ النَّجِيعِ وَحَوْلَا (٣)
 سَمِعَ الْمَشُوقُ إِلَى النَّزَالِ صَلِيلَا (٤)
 خَوْفُ الْمَنِيَّةِ عَامِرًا وَسَلُولَا
 صَبَّ يَرَى لَهُمَا الْفَوَاتِ حُصُولَا
 مَنَعَتْ سِرَايَ إِلَى جِمَاهُ وَصُولَا
 وَلَا أَجْعَلَنَّ لَهَا الشُّهَادَ خَلِيلَا (٥)
 كَالثُّبَلِ سَبَقًا وَالْقِسِيِّ نُحُولَا (٦)
 عَنَقَا إِذَا كَلَّفْتُهَا التَّمْهِيلَا (٧)
 فَكَأَنَّمَا قَاسَتْ بِمِيلِ مِيلَا
 أَخْفَأُهَا بِدِمَائِهَا مَشْكُولَا (٨)
 مِنْ مَيْسَمٍ فَتَكَافَتْ تَقْتِيلَا
 شَوْقًا لَطِيْبَةِ سَاعِدَا مَفْتُولَا
 أَنْضَى إِلَيْهَا الْعِزْمِ مِنَ الشُّمْلِيلَا (٩)
 ثَقُلْتُ عَلَيْهَا لِلذُّنُوبِ حُمُولَا
 حِينَ أَبْطُولِ إِسَاءَتِي مَشْكُولَا
 وَكَفَى بِفَضْلِ مِنْهُ لِي تَنْوِيلَا
 رَاجٍ لَهَا بِمُحَمَّدٍ تَنْشِيلَا

-
- (١) الكمي: المدجج بالسلاح.
 (٢) المشرفي: يريد السيف المشرفي. أسيل: أملس مستو.
 (٣) النجيع: الدم.
 (٤) الصليل: صوت السيوف.
 (٥) الشهاد: الأرق.
 (٦) الفجج: جمع الفج: الشق.
 (٧) أياطل: جمع أياطل: خاصرة.
 (٨) الصفا: الصخر. الصلد: الصلب.
 (٩) طيبة: اسم للمدينة المنورة. العزمس: الناقة الصلبة. الشمليلا: السريعة.

يَا رَبِّ هَبْنَا لِلنَّبِيِّ وَهَبْ لَنَا
وَأَسْئُرْ عَلَيْنَا مَا عَلِمْتَ فَلَمْ يُطِيقْ
وَأَعْطَفَ عَلَى الْخَلْقِ الضَّعِيفِ إِذَا رَأَى
يَوْمَ تَضِلُّ بِهِ الْعُقُولُ فَتَشْخَصُ إِلَى
وَيْسَرُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ نَدَامَةً
وَيَظَلُّ مُرْتَادُ الْخَلَاصِ مُقْلَباً
لِنَحَالٍ مِنْ ظَمَرِ الْقِيَامَةِ نَفْسُهُ
وَاجْعَلْ لَنَا اللَّهُمَّ جَاهُ مُحَمَّدٍ
وَاضْرِفْ بِهِ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
وَاجْعَلْ صَلَاتَكَ دَائِمًا مِنْهُلَةً
مَا هَزَّتِ الْقُضْبُ النَّسِيمُ وَرَجَعَتْ

مَا سَوَّلَتْهُ نَفْسُنَا تَسْوِيلاً^(١)
مِثْلًا أَمْرُؤُا لِحَاطِئَةٍ تَخْجِيلًا
هَوَلَ الْمَعَادِ فَأَظْهَرَ التَّهْوِيلًا
أَبْصَارُ خَوْفٍ أَعْنَدَهُ وَذَمُّوْا
حِينًا وَحِينًا يُظْهِرُونَ غَوِيلًا
فِي الشَّافِعِينَ لِحَاظِهِ وَمُجِيلًا
رِيَاوِ مِنْ خَرِّ السَّعِيرِ مَقِيلًا
فَرَطًا تَبَلُّغُنَا بِهِ الْمَأْمُولًا
كَرَمًا وَكُفَّ ضِرَامَهَا الْعَشَقُولًا
لَمْ تُلَفِ دُونَ ضَرِيحِهِ تَهْلِيلًا^(٢)
وَزَقَاءٍ فِي فَنَنِ الْأَرَاكِ هَدِيلًا^(٣)

وقال رضي الله عنه، وتسمى «ذخر المعاد»، في وزن بانت سعادة^(٤): [البسيط]

إِلَى مَتَى أَنْتَ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ تُرَجِّي أَنْ تَثُوبَ غَدَا
أَمَا يُرَى لَكَ فِيمَا سَرَّ مِنْ عَمَلٍ
فَجَرِدِ الْعَزْمَ إِنْ الْمَوْتَ صَارِمُهُ
وَاقْطَعْ حَبَالَ الْأَمَانِي الَّتِي اتَّصَلَتْ
أَتَفَقْتُ عُمْرَكَ فِي مَالٍ تُحْصِلُهُ
وَرُخْتَ تَغْمُرُ دَارَ الْإِبْقَاءِ لَهَا
جَاءَ النَّذِيرُ فَشَمَّرَ لِلْمَسِيرِ بِلَا

وَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا قَدَّمْتَ مَسْئُولُ
وَعَقْدُ عَزْمِكَ بِالتَّسْوِيفِ مَخْلُولُ
يَوْمًا نَشَاطٌ وَعَمَّاسَاءُ تَكْسِيلُ
مُجَرَّدُ بَيْدِ الْأَمَالِ مَسْلُولُ
فَإِنَّمَا حَبْلُهَا بِالزُّورِ مَوْصُولُ
وَمَا عَلَى غَيْرِ إِثْمٍ مِنْكَ تَحْصِيلُ
وَأَنْتَ عَنْهَا وَإِنْ عُمُرْتَ مَنَقُولُ
مَهْلٍ فَلَيْسَ مَعَ الْإِنْذَارِ تَمْهِيلُ

(١) سَوَّلَتْ: زينت.

(٢) مِنْهُلَةً: منصبة. الضريح: القبر.

(٣) رَجَعَتْ: صَوَّتَتْ وَرَدَدَتْ. الْوَرَقَاءُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ. الْأَرَاكِ: شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ الْمَسَاوِيكُ. الْفَنَنْ: الْفَصْنُ. الْهَدِيلُ: صَوْتُ الْحَمَامِ.

(٤) «بانت سعادة»، لكعب بن زهير بن أبي سلمى المتوفى سنة ٢٦هـ، وكان قد أنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم حين أسلم، في المدينة المنورة.

وَصُنْ مَشِيبَكَ عَنْ فِعْلِ ثُشَانُ بِهِ
لَا تُنْكِرْنَهُ وَفِي الْقَوْدَيْنِ قَدْ طَلَعَتْ
فَلِنْ أَزْوَاحِنَا مِثْلَ الثُّجُومِ لَهَا
وَأَنْ طَالِغَهَا مِثْلًا وَغَارِ يَهَا
حَتَّى إِذَا بَعَثَ اللَّهُ الْعِبَادَ إِلَى
تَبْيِينِ الرُّبُحِ وَالْخُسْرَانِ فِي أُمَمٍ
فَأَخْسَرُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ عَقِيدَتُهُ
وَأُمَّةٌ تَغْبُدُ الْأَوْثَانَ قَدْ نُصِبَتْ
وَأُمَّةٌ ذَهَبَتْ لِلْعِجْلِ عَابِدَةٌ
وَأُمَّةٌ زَعَمَتْ أَنَّ الْمَسِيحَ لَهَا
فَتَلُّنَتْ وَاحِدًا فَرَدَّائُو حُدَّهُ
تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا قَالَ جَا حُدَّهُ
وَالْقَوْرُ فِي أُمَّةٍ ضَوْءُ الْوُضُوءِ لَهَا
تَظَلُّ تَتَلَوُ كِتَابَ اللَّهِ لَيْسَ بِهِ
فَالْكَتُبُ وَالرُّسُلُ مَنْ عِنْدَ الْإِلَهِ أَتَتْ
وَالْمَصْطَفَى خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
مُحَمَّدٌ حُجَّةُ اللَّهِ الَّتِي ظَهَرَتْ
تَجَلُّ الْأَكَارِمِ وَالْقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمْ
مَنْ كَمَّلَ اللَّهُ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
وَخَصَّهُ بِوَقَارٍ قَرَّمَنَّهُ لَهُ
بَادِي السَّكِينَةِ فِي سُخْطِهِ وَرِضَا
يُقَابِلُ الْبِشْرَ مِنْهُ بِالْئِدَى خُلِقَ
مِنْ آدَمَ وَلِجَيْنِ الْوَضْعِ جَوْهَرُهُ أَلْ
فَلِلثُّبُوءَةِ إِيْمَامٌ وَمُبْتَدَأٌ

فَكُلُّ ذِي صَبُوءَةٍ بِالشَّيْبِ مَعْدُول
مِنْهُ الثُّرَيَّا وَفَوْقَ الرُّأْسِ إِكْلِيل
مِنْ الْمَنِيَّةِ تَنْسِيرٌ وَتَرْجِيلٌ
جِيلٌ يَمُرُّ وَيَأْتِي بَعْدَهُ جِيلٌ
يَوْمَ بِهِ الْحَكْمُ بَيْنَ الْخَلْقِ مَفْضُولٌ
تَخَالَفَتْ بَيْنَنَا مِنْهَا الْأَقَاوِيلُ
فِي طَيْهَا الشُّورِ الْخَلْقِ تَغْطِيلُ
لَهَا الثُّصَاوِيرُ يَوْمًا وَالثُّمَائِيلُ
فَنَالَهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَغْجِيلُ^(١)
رَبِّ غَدَا وَهُوَ مَضْلُوبٌ وَمَقْتُولُ^(٢)
وَلِلْبَصَائِرِ كَالْبَصَارِ تَخْيِيلُ
وَجَا حُدَّ الْحَقِّ عِنْدَ النَّصْرِ مَخْذُولُ
قَدْ زَانَتْهَا غَرَّرَ مِنْهُ وَتَخْجِيلُ^(٣)
كَسَائِرِ الْكَتُبِ تَخْرِيفٌ وَتَبْدِيلُ
وَمِنْهُمْ فَاضِلٌ حَقًّا وَمَفْضُولُ
لَهُ عَلَى الرُّسُلِ تَرْجِيحٌ وَتَفْضِيلُ
يُسْنَةُ مَالِهَا فِي الْخَلْقِ تَخْوِيلُ
عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ الطُّوْلُ وَالطُّوْلُ^(٤)
فَلَمْ يَفْتَهُ عَلَى الْحَالِينَ تَكْمِيلُ
فِي أَنْفُسِ الْخَلْقِ تَعْظِيمٌ وَتَبْجِيلُ
فَلَمْ يَزَلْ وَهُوَ مَرْهُوبٌ وَمَأْمُولُ
زَالٍ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَجْبُولُ
مَكْنُونٌ فِي أَنْفُسِ الْأَصْدَافِ مَحْمُولُ
بِهِ وَلِلْفَخْرِ تَغْجِيلٌ وَتَأْجِيلُ

(١) يعني اليهود

(٢) يعني النصارى .

(٣) غرر: جمع غرة: بياض في الجبهة . التحجيل: بياض في قوائم الفرس كلها .

(٤) الطول: الغنى والسعة .

أَتَتْ إِلَى النَّاسِ مِنْ آيَاتِهِ جُمْلٌ
 أَتْبَا سَطِيحٌ وَشِيقٌ وَابْنُ ذِي يَزْنَ
 وَعَنْهُ أَتْبَا مُوسَى وَالْمَسِيحُ وَقَدْ
 بَانَهُ خَائِمُ الرُّشْلِ الْمُبَاخُ لَهُ
 وَلَيْسَ أَغْدَلُ مِنْهُ الشَّاهِدُونَ لَهُ
 وَإِنْ سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ فَلَا خَرَجَ
 كَمْ آيَةٌ ظَهَرَتْ فِي حِينِ مَوْلِدِهِ
 عُلُومٌ غَيْبٌ فَلَا أَرْضَادُ حَاكِمَةٌ
 إِذَا هُوَ آتِفٌ وَالْأَنْوَارُ شَاهِدُهَا
 وَنَارُ فَارِسٍ أَضْحَتْ وَهِيَ خَامِدَةٌ
 وَمُذْهَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَبْعَثُهُ
 وَأَنْظُرْ سَمَاءً غَدَتْ مَمْلُوءَةٌ حَرَسًا
 فَزِدَتْ الْجِنَّ عَنْ سَمْعٍ مَلَانِكَةٌ
 كُلُّ غَدَاوَلَةٍ مِنْ جَنْسِهِ رَصْدٌ
 لَوْ أَنْبَى الْهَدَى مَا كَانَ فِي قَلْبِكَ
 لَمَّا تَوَلَّى تَوَلَّى كُلُّ مُسْتَرْقٍ
 إِنْ رُمْتَ أَكْبَرَ آيَاتٍ وَأَكْمَلُهَا
 وَأَنْظُرْ فَلَيْسَ كَمِثْلِ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
 لَوْ يُسْتَطَاعُ لَهُ مِثْلُ لَجْءٍ بِهِ
 اللَّهُ كَمْ أَفْحَمَتْ أَفْهَامُنَا حِكْمُ
 يَهْدِي إِلَى كُلِّ رُشْدٍ حِينَ يَبْعَثُهُ

أَغَيْثٌ عَلَى النَّاسِ مِنْهُنَّ التَّفَاصِيلُ
 عَنْهُ وَقَسٌ وَأَحْبَارٌ مَقَاوِيلُ^(١)
 أَضْعَفَتْ حَوَارِيَهُ الْغُرَّ الْبَهَائِلُ^(٢)
 مِنَ الْغَنَائِمِ تَقْسِيمٌ وَتَنْفِيلُ^(٣)
 وَلَا بِأَعْلَمَ مِنْهُ إِنْ هُمْ سَيَلُّوا
 إِنْ الْمَحْكُ عَنْ الدِّينَارِ مَسْزُولُ
 بِهِ الْبَشَائِرُ مِنْهَا وَالشَّهَائِلُ
 وَلَا التَّقَاوِيمُ فِيهَا وَالتَّحَاوِيلُ^(٤)
 لَدَى الْمَسَامِيعِ وَالْأَبْصَارِ مَقْبُولُ
 وَتَهْرُهُمْ جَامِدٌ وَالصُّرُحُ مَثْلُولُ^(٥)
 دَهَى الشَّيَاطِينِ وَالْأَضْنَامُ تَجْدِيلُ^(٦)
 كَأَنَّهَا الْبَيْتُ لَمَّا جَاءَهُ الْفِيلُ
 إِذْ رَدَّتِ الْبَشَرَ الطَّنِيرُ الْأَبَابِيلُ^(٧)
 لِلْجِنَّ شَهْبٌ وَلِلْإِنْسَانِ سَجِيلُ^(٨)
 عَلَى الشَّيَاطِينِ لِلْأَمْلاكِ تَوْكِيلُ
 عَنْ مَقْعَدِ السَّمْعِ مِنْهَا وَهُوَ مَغْزُولُ
 كِفَاكَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ تَنْزِيلُ
 وَلَا كَقَوْلٍ أَتَى مِنْ عِنْدِهِ قِيلُ
 وَالْمُسْتَطَاعُ مِنَ الْأَعْمَالِ مَفْعُولُ
 مِنْهُ وَكَمْ أَعْجَزَ الْأَلْبَابُ تَأْوِيلُ
 إِلَى الْهِمَسَامِيعِ تَرْتِيبٌ وَتَرْتِيلُ

- (١) شيق وسطيح كاهنان من كهان الجاهلية. وسيف بن ذي يزن ملك من ملوك اليمن. وقس بن ساعدة الإيادي خطيب حكيم من خطباء العرب في الجاهلية. أحبار: جمع خبر: عالم حاذق.
- (٢) الحواري: الناصر. الغر من القوم: الشريف. البهاليل: جمع البهلول: السيد.
- (٣) التنفيل: الإعطاء من الغنائم.
- (٤) التقاويم والتماويل: من اصطلاحات المنجمين.
- (٥) مثلول: مهذم.
- (٦) التجديل: الالتقاء على الأرض. جدله: صرعه.
- (٧) أبابيل: فِرَق، جمع لا واحد له.
- (٨) سجيل: حجارة كالمدر.

تَزْدَادُ مِنْهُ عَلَى تَزْدَادِهِ مِقَّةٌ
وَرَبِّمَا مَجَّةٌ قَلْبٌ بِهِ رَبِّبٌ
مَا بَعْدَ آيَاتِهِ حَقٌّ لِمُتَّبِعٍ
وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَحْمَةٌ بُعِثَتْ
هُوَ الشَّفِيعُ إِذَا كَانَ الْمَعَادُ عُدَا
فَمَا عَلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ مُغْتَمَدٌ
إِنْ أَمَرَ أَشْمَلَتْهُ مِنْ شَفَاعَتِهِ
نَالُ الْمَقَامِ الَّذِي مَانَالُهُ أَحَدٌ
وَأَذْرَكَ السُّؤْلَ لِمَقَامٍ مُجْتَهِدًا
لَوْ أَنَّ كُلَّ غُلَابٍ سَغِي مُكْتَسَبٌ
أَعْلَى الْمَرَاتِبِ عِنْدَ اللَّهِ رَبَّتُهُ
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى لَهُ نُزُلٌ
سَرَعَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَعَادِيهِ
يَا حَبِّذَا حَالُ قُرْبٍ لَا أَكْيَفُهُ
وَكَمْ مَوَاهِبَ لَمْ تَذَرِ الْعِبَادَ بِهَا
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ لَا الدُّنْيَا وَمَا رَجَحَتْ
وَكَمْ أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ بَيِّنَةٌ
نُورٌ فَلَيْسَ لَهُ ظِلٌّ يُرَى وَلَهُ
وَلَا يُرَى فِي الثَّرَى أَثَرٌ لِأَخْمَرِهِ
دَنَا إِلَيْهِ حَنِينُ الْجَذَعِ مِنْ شَغْفِهِ

وَكُلُّ قَوْلٍ عَلَى التَّرْدَادِ مَمْلُولٌ^(١)
كَمَا يُمِجُّ دَوَاءُ الدَّاءِ مَغْلُولٌ^(٢)
وَالْحَقُّ مَا بَعْدَهُ إِلَّا الْأَبَاطِيلُ
لِلْعَالَمِينَ وَفَضْلُ اللَّهِ مَبْذُولٌ
وَاشْتَدَّ لِلْخَشَرِ تَخْوِيفٌ وَتَهْوِيلٌ
وَلَا عَلَى غَيْرِهِ لِلنَّاسِ تَغْوِيلٌ
عِنَايَةٌ لَأَمْرٍ وَبِالْفُوزِ مَشْمُولٌ
وَطَالَمَا مَيَّزَ الْمِقْدَارُ تَنْوِيلٌ^(٣)
وَمَا يَكُلُّ اجْتِهَادٌ يُذْرِكُ السُّؤْلَ
مَا جَازَ حِينَ نُزُولِ الْوَحْيِ تَزْمِيلٌ^(٤)
فَاعْلَمْ فَمَا مَوْضِعُ الْمَخْبُوبِ مَجْهُولٌ
وَحَقٌّ مِنْهُ لَهُ مَثْوًى وَتَخْلِيلٌ
لِيَلْبُرَاقُ يَبَارِي الْبَرْقَ هُذُلُولٌ^(٥)
وَحَبِّذَا حَالُ وَضَلَّ عَنْهُ مَغْفُولٌ
أَتَتْ إِلَيْهِ وَسِثْرُ اللَّيْلِ مَسْدُولٌ^(٦)
بِهِ الْمَوَازِينُ مِنْهَا وَالْمَكَايِيلُ
فِي فَضْلِهَا وَافَقَ الْمَنْقُولُ مَغْفُولٌ
مِنْ الْغَمَامَةِ أُنْثَى سَارَتْ تَظْلِيلٌ
إِذَا مَشَى وَلَهُ فِي الصَّخْرِ تَوْجِيلٌ^(٧)
إِذْنَالُهُ مِنْهُ بَعْدَ الْقُرْبِ تَزْيِيلٌ^(٨)

(١) المِقة: المحبة.

(٢) مَجَّة من فيه: قذفه ورمى به. المعلول: أي المريض.

(٣) التزميل: الإخفاء واللف الثوب.

(٤) الهذلول: السريع الخفيف.

(٥) المسدول: المرخى.

(٦) الثرى: التراب الندي. الأخمص: باطن القدم.

(٧) الشَّغْف: الحب. تزييل: مفارقة، والجذع هو ما كان يقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يتخذ المنبر في المسجد، فلما اتخذه، حنَّ الجذع إليه ولم يهدأ حتى التمسّه وتعهده النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا من معجزاته.

فَلَيْتَ مِنْ وَجْهِهِ حَظِّي مُقَابِلَةً
 بِيض مِيَامِينَ يُسْتَنْقَى الغَمَامُ بِهَا
 مَا إِنْ يَزَالَ بِهَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ
 فَاغْجَبْ لِأَفْعَالِهَا إِنْ كُنْتَ مُذِرْكَهَا
 كَمْ عَاوَدَ الْبُرْءُ مِنْ إَغْلَالِهِ جَسَدًا
 وَرَدَّ الْفَقِينَ فِي رِيٍّ وَفِي شَبَعٍ
 وَرَدَّ مَاءً وَتُورًا بَغْدًا ذَهَبًا
 وَمَتَّبَعَ الْمَاءُ عَذْبًا مِنْ أَصَابِعِهِ
 وَكَمْ دَعَاوُ مُحْيَا الْأَرْضِ مُكْتَتِبٌ
 فَاصْبَحَ الْمَخْلُ فِيهَا لَا مَخْلَ لَهُ
 فَبِالظَّرَابِ ضُرُوبٌ لِلْغَمَامِ كَمَا
 وَأَضَ مِنْ رَوْضِهَا جِيدُ الْوَجُودِ بِهِ
 وَعَسْكَرٌ لَجِبَ قَذَلَجٌ فِي طَلَبِ
 دَعَا نَزَالَ فَوَلَّى وَالْبَوَارِيهِ
 وَاعْتَرَتْ جَيْنَ أَضْحَى الْغَارُ وَهُوَ بِهِ
 كَأَنَّمَا الْمُصْطَفَى فِيهِ وَصَاحِبُهُ الضُّ
 وَجَلَّلَ الْغَارُ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى
 عَنَائَةِ ضَلَّ كَيْدَ الْمُشْرِكِينَ بِهَا
 إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُ هُمَا
 إِنْ يَقْطَعَ اللَّهُ عَنْهُ أُمَّةً سَفِيهَتْ

وَلَيْتَ حَظِّي مِنْ كَفِّهِ تَقْيِيلُ
 لِلشَّمْسِ مِنْهَا وَلِلْأَنْوَاءِ تَخْجِيلُ^(١)
 لِلْقُلِّ كُثْرٌ وَلِلتَّضْعِيبِ تَسْهِيلُ
 وَاطْرَبَ إِذَا ذُكِرَتْ تِلْكَ الْأَفَاعِيلُ
 بِلُغْمِهِ وَاسْتَبَانَ الْعَقْلُ مَخْبُولُ
 إِذْ ضَاقَ بِأَتْنَيْنِ مَشْرُوبٌ وَمَأْكُولُ
 رِيْقُ لَهُ بِكِلَا الْغَيْنَيْنِ مَشْفُوقُ
 وَذَلِكَ صُنْعٌ بِهِ فِينَا جَرَى النِّيلُ
 ثُمَّ انْتَشَى وَلَهُ بِشْرٌ وَتَهْلِيلُ
 وَغَالَ ذِكْرُ الْغَلَامِ مِنْ خَضْبِهَا غُولُ^(٢)
 عَنِ الْبِنَاءِ عَزَا إِلَيْهَا مَعَارِيلُ^(٣)
 مِنْ لَوْلُؤِ الثُّورِ تَرْصِيعٌ وَتَكْلِيلُ^(٤)
 لِسَعْرُوهِ غَرَّةٌ بِأَسْمٍ وَتَرْعِيلُ^(٥)
 مِنَ الصَّبَا وَالْحَصَى وَالرُّعْبِ مَشْرُولُ
 كَمِثْلِ قَلْبِي مَغْمُورٌ وَمَأْمُولُ
 لَدَيْكَ لَيْثَانٌ قَدْ آوَاهُمَا غِيلُ^(٦)
 وَهِنْ فَيَا حَبِذًا نَسْجُ وَتَجْلِيلُ
 وَمَا مَكَائِدُهُمْ إِلَّا الْأَضَالِيلُ
 كَأَنَّ أَبْصَارَهُمْ مِنْ زَيْغِهَا حَوْلُ^(٧)
 نُفُوسَهَا فَلَهَا بِالْكَفْرِ تَغْلِيلُ^(٨)

(١) ميامين: جمع ميمون يعني: مبارك.

(٢) غال: هلك ومصدره غُول.

(٣) الظراب: جمع ظرب: الراية. الغزالي: جمع الغزلاء: مصب الماء من الراوية.

(٤) آض: رجع. الجيد: العنق. الثور: الزهر الأبيض.

(٥) لَج: تمادى. الترعىل: من الرعىل: القطعة من الخيل.

(٦) لَيْثَان: الواحد لَيْث: أسد. الْغِيل: الأجمة.

(٧) زَاغَ الْبَصَرُ: تَلَّى.

(٨) السَّفَه: خِفَّةُ الْجِلْمِ، أَوِ الْجَهْل.

فَلِئَمَّا الرُّسُلُ وَالْأَمْلَاقُ شَافَعُهَا
مَا عَذَرُ مَنْ مَنَعَ التَّضَدِيقَ مُنْطِقَهُ
وَالذُّنْبُ وَالْعَيْرُ وَالْمَوْلُودُ صَدَقَهُ
وَالْبَذْرُ يَادَرُ مُنْشَقًّا بِذَعْوَتِهِ
وَالنُّخْلُ أَثْمَرُ فِي عَامٍ وَسُرْبِهِ
إِنْ أَنْكَرْتَهُ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ عَلَى
فَقَدْ تَكْرَّرَ مِنْهُمْ فِي جُحُودِهِمْ
قُلْ لِلنَّصَارَى الْأَلَى سَاءَتْ مَقَالَتُهُمْ
مِنَ الْيَهُودِ اسْتَفَذْتُمْ ذَا الْجُحُودِ كَمَا
فَإِنْ عِنْدَكُمْ تَوَارِثُهُمْ صَدَقَتْ
ظَلَمْتُمْ نَافِضَ حَوَاطِلِ الْيَمِينِ لَكُمْ
مِنْكُمْ لَنَا وَلَكُمْ مِنْ بَغْضِكُمْ شُغْلٌ
لَقَدْ عَلِمْتُمْ وَلَكِنْ صَدَّقْكُمْ حَسَدٌ
أَمَا عَرَفْتُمْ نَبِيَّ اللَّهِ مَعْرِفَةَ آلِ
هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ
فَلَا تَرْجُوا جَزِيلَ الْآخِرِ مِنْ عَمَلٍ
تَوَدُّنَونَ بِزِقٍ مِنْ جِهَةِ "الْيَكُنْ
مُوتُوا بَغِيظٍ كَمَا قَدِمَاتِ قَبْلَكُمْ

لِوَضْلَةٍ مِنْهُ تَسْأَلُ وَتُطْفِئُ^(١)
وَقَدْ نَبَا مِنْهُ مَخْسُوسٌ وَمَعْقُولٌ
وَالظُّبْيُ أَفْصَحُ نُطْقًا وَهُوَ مَخْبُولٌ^(٢)
لَهُ كَمَا شَقَّ قَلْبٌ وَهُوَ مَثْبُولٌ^(٣)
سَلْمَانٌ إِذْ بَسَقَتْ مِنْهُ الْعِشَاكِيلُ^(٤)
مَا بَيَّنَّتْ مِنْهُ تَوَارِثَهُ وَإِنْ جِيلُ
لِلْكَفْرِ كُفْرٌ وَلِلتَّجْهِيلِ تَجْهِيلٌ
فَمَا لَهَا غَيْرَ مَخْضٍ الْجَهْلُ تَغْلِيلٌ
مِنَ الْغُرَابِ اسْتَفَادَ الدَّفْنَ قَابِيلُ^(٥)
وَلَمْ تُصَدِّقْ لَكُمْ مِنْهُمْ أَنَا جِيلُ
وَذَاكَ مِثْلُ قِصَاصٍ فِيهِ تَغْدِيلُ
وَالنَّاسُ بِالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا مَشَاغِيلُ
أَنْبَاءُ مَا جَاءَ نَاقُومٌ مَقَابِيلُ
أَبْنَاءُ لَكُمْ قَوْمٌ مَنَاكِيلُ^(٦)
لَوْلَا أَهْتَدَى مِنْكُمْ لِلرُّشْدِ ضَلِيلُ^(٧)
إِنَّ الرِّجَاءَ مِنَ الْكُفَّارِ مَخْذُولُ
بِهِ انْتِفَاحٌ وَجَسَمٌ فِيهِ تَرْهِيلُ^(٨)
قَابِيلُ إِذْ قَرَّبَ الْقُرْبَانَ هَابِيلُ^(٩)

-
- (١) التطفيل: أن يُصاب بالتراب، والتطفل: الإتيان إلى الولائم دون دعوة. ويريد أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لذوي الشفاعة في الآخرة.
- (٢) العير: الحمار. المحبول: الذي وقع في الحباله أي الشرك.
- (٣) متبول: سقيم.
- (٤) بسقت النخل: ارتفعت. عشاكيل: جمع عثكول: العذق الذي يحمل البلح.
- (٥) قابيل، من ولد آدم عليه السلام، وهو الذي قتل أخاه، ولم يعرف ماذا يفعل بجثته حتى أتاه الغراب وحفر ليدفن رفيقه فتعلم منه.
- (٦) مناكيل: من النكال، يريد أنهم جبناء. تكل: نكص وجبن.
- (٧) الاستفتاح: الاستنصار. الضليل: الضال.
- (٨) الرِّق: الوعاء. الترهيل: الانتفاخ.
- (٩) قابيل وهابيل: ابنا آدم عليه السلام.

يَا خَيْرَ مَنْ رُوِيَ لِلنَّاسِ مَكْرَمَةٌ
تَمْ قَدَاتَتْ عَنْكَ أَخْبَارُ مُخْبِرَةٍ
تَسْرِي إِلَى النَّفْسِ مِنْهَا كُلَّمَا وَرَدَتْ
مِنْ كُلِّ لَفْظٍ بَلِيغٍ رَاقٍ جَوْهَرُهُ
لَمْ تُبْقِ ذِكْرًا لِذِي نُطْقٍ فَصَاحَتُهُ
جَاهَدَتْ فِي اللَّهِ أَبْطَالَ الضَّلَالِ إِلَى
شَكَا حُسَامُكَ مَا تَشْكُو جُمُوعُهُمْ
لِلَّهِ يَوْمَ حُتَيْنٍ حِينَ كَانَ بِهِ
وَيَوْمَ أَقْبَلَتْ الْأَحْزَابُ وَانْهَزَمَتْ
جَاءَ وَابِأَسْلَحَةٍ لَمْ تَحْمِ حَامِلَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا زَلَزْتَ بِالشُّرْكِ أَبْنِيَّةَ
رَظْنِ كُلِّ امْرِئٍ فِي قَلْبِهِ مَرَضُ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ أَمْلاكًا مُسَوِّمَةً
شَاكِي السَّلَاحِ فَمَا تَشْكُو الْكِلَالَ وَمِنْ
مِنْ كُلِّ مَوْضُوعَةٍ خَضَاءٍ سَابِغَةٍ
وَكُلُّ ابْتِرَالٍ لِحَقِّ الْمُبِينِ بِهِ
لَمْ تُبْقِ لِلشُّرْكِ مِنْ قَلْبٍ وَلَا سَبَبٍ
وَيَوْمَ يَذِرُ إِذَا الْإِسْلَامُ قَدْ طَلَعَتْ
سَيِّئَتْ بِمَا سَرَّنا الْكُفَّارُ مِنْهُ وَقَدْ
كَأَنَّمَا هُوَ عَرَسٌ فِيهِ قَدْ جُلِيَتْ
وَالْخَيْلُ تَرْقُصُ زَهْوًا بِالنُّمَاءِ وَمَا

عَنْهُ وَقُضِلَ تَخْرِيمٌ وَتُخْلِيلُ
فِي حُسْنِهَا أَشْبَهَ الثَّقْرِيعَ تَأْصِيلُ
أَنْفَاسُ وَزِدَسَرَتْ وَالْوَزْدَقُ مَطْلُولُ
كَأَنَّهُ السَّيْفُ مَا خَرَّ وَهُوَ مَضْفُولُ
وَهَلْ تُضِيءُ مَعَ الشُّنْسِ الْقَنَابِيلُ؟
أَنْ ظَلَّ لِلشُّرْكِ بِالشُّوْجِيَّةِ تَبْطِيلُ
فَفِيهِ مِنْهَا وَفِيهَا مِنْهُ تَغْلِيلُ^(١)
كَسَاعَةِ الْبَغْيِ تَهْوِيلُ وَتَطْوِيلُ
وَكَمْ خِيَالُهَا بِالشُّرْكِ مَشْغُولُ
إِنَّ الْكُمَاءَ إِذَا لَمْ يُنْصَرُ وَامِيلُ^(٢)
وَأَبَتْ حَبْلُ بِأَيْدِي الرِّبِّ مَقْشُولُ
بِأَنَّ مَوْعِلَهُ بِالنُّظْرِ مَقْطُولُ
لَبُوسُهَا مِنْ مَكِينَاتِ مَرَابِيلُ^(٣)
صُنْعَ الْإِلَهِ لَهَا تَنْجِجٌ وَتَأْثِيلُ^(٤)
تَرُدُّ حَذَّ الْمَنَآيَا وَهُوَ مَقْلُولُ^(٥)
وَلِلضَّلَالَةِ تَغْدِيلُ وَتَغْمِيلُ
إِلَّا غَدَا وَهُوَ مَشْبُونٌ وَمَشْبُولُ^(٦)
بِهِ بُدُورُهَا بِالنُّصْرِ تَكْمِيلُ
أَقْنَى مَرَاتِهِمْ أَمْرٌ وَتَغْمِيلُ
عَلَى النُّظْبَا وَالنُّقَارُوسِ مَقَاصِيلُ^(٧)
غَيْرَ السَّيْفِ بِأَيْدِيهِ مَنَادِيلُ^(٨)

(١) حسام مغلل : سيف مثلم.

(٢) ميل : جمع أميل : مائل لا يثبت على الخيل.

(٣) مسومة : معلمة. السراويل : جمع السرايل : الدرع.

(٤) الكلال : الضعف والعجز : التأثيل : التأصيل.

(٥) الموضونة : الدرع المنسوجة. درع خضاء : ضيقة الخلق، مُحكمة وسابغة : درع متصلة بالليفة. مغلول : مثلم.

(٦) المتبول : السقيم، الهالك. متبول : مقطوع.

(٧) النُّظْبَا : جمع النظبة : حد السيف.

(٨) الكُماء : جمع الكمبي : المدجع بالسلاح.

ولا مَهْوَرٌ سِوَى الْأَزْوَاحِ تُقْبَلُهَا الْبَيْدُ
 فَلَوْ تَرَى كُلَّ عُضْوٍ مِنْ كُمَاتِهِمْ
 كَأَخْرَفٍ أَشْكَلَتْ خُطُفًا كَثُرَها
 وَكُلُّ بَيْتٍ حَكِي بَيْنَ الْعَرُوضِ لَهُ
 وَدَاخِلَتْ بِالرَّدَى أَجْزَاءُ هُمْ عِلَلُ
 وَكُلُّ ذِي يَرَّةٍ تَغْلِي مَرَا جِلُهُ
 وَكُلُّ جُزْجٍ بِجَنَمٍ يَنْتَهِلُ دَمًا
 وَعَاطِلٌ مِنْ سِلَاحٍ قَدْ غَدَا لَهُ
 وَالْأَرْضُ مِنْ جُثِّ الْقَتْلَى مُجَلَّلَةٌ
 غَضَّتْ قُلُوبٌ كَمَا غَضَّ الْقَلِيبُ بِهِمْ
 فَأَصْبَحَ الْبِئْرُ إِذَا هُلَّ الْبَوَارِبُ بِهِ
 وَأَصْبَحَتْ أَيْمَاتٌ مُخَصَّنَاتُهُمْ
 لَا تُفْسِكُ الدَّمْعُ مِنْ حُزْنٍ عُيُونُهُمْ
 وَصَارَ فَقْرُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ غَنَى
 وَرَدَّ أَوْجُهُهُمْ سُودًا وَأَغْيَيْنَهُمْ
 صَالَتْ وَمَسَاءَتْ عُيُونٌ مِنْهُمْ مَثَلًا
 أَبْغَضَ بِهَا مَقْلًا قَدْ أَشْبَهَتْ لَبْنًا

ضُ الْبِهَاتِيرُ وَالشُّغْرُ الْعَطَائِيلُ^(١)
 مُفَضَّلًا وَهُوَ مَكْفُوفٌ وَمَشْلُولُ^(٢)
 بِالطُّغْنِ وَالضَّرْبِ مَشْقُوطٌ وَمَشْكُولُ
 بِالْبَيْضِ وَالشُّغْرِ تَقْطِيعٌ وَتَفْصِيلُ
 غَدَا الْمُرْقُلُ مِنْهَا وَهُوَ مَجْزُولُ^(٣)
 غَدَا يُقَادُ ذَلِيلًا وَهُوَ مَغْلُولُ^(٤)
 كَأَنَّهُ مَبْسِمْ بِالرَّاحِ مَغْلُولُ^(٥)
 أَسَاوِرٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ خَلَاخِيلُ^(٦)
 وَالتُّرْبُ مِنْ أَدْمَعِ الْأَحْيَاءِ مَبْلُولُ
 لِلْأَمْسَى فِيهِمْ وَالنَّارِ تَأْكِيلُ^(٧)
 مِثْلُ الْوَطِيسِ بِهِ جُزْزَرٌ عَابِيلُ^(٨)
 وَأُمَهَاتُهُمْ وَهِيَ الْمَثَاكِيلُ^(٩)
 إِلَّا كَمَا يُفْسِكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ
 وَفِي الْمَصَائِبِ تَقْوِيَةٌ وَتَخْصِيلُ
 بِيضًا مِنْ اللَّهِ تَنْكِيدٌ وَتَنْكِيلُ
 كَأَنَّمَا كُلُّهَا بِالشُّوكِ مَسْمُولُ^(١٠)
 طَفَا الذُّبَابُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَمْقُولُ^(١١)

- (١) البهاتير: جمع البهتر: القصيرة. عطائيل: جمع عَطْبُول: المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطور العنق. وأراد تورية.
- (٢) مشلول اليد: لا حركة فيها، يابس اليد. مكفوف: ممنوع.
- (٣) الترفيل، في البحر الكامل: أن يُزاد سبب على متفاعلين فيعيد متفاعلاتين. المجزول: هو ما ساء رابعة في متفاعلين وسكن ثانيه في زمان الكامل. ويريد، أنهم ذلوا وصغروا بعد عظمة وقوة.
- (٤) الترة: النار. مغلول: مقيد بالأغلال.
- (٥) الراح: الخمرة.
- (٦) أساور: جمع سوار: خلاخيل: خلخال: حللي كالإسواره توضع في الساق.
- (٧) القلب: البر.
- (٨) البوار: الهلاك. الوطيس: التنور. الرعابيل: جمع الرعبولة: الخرقه المتمزقة.
- (٩) الأيم: من لا زوج لها. مَثَاكِيل: جمع تُكَلَى: الأم التي فقدت ولداً أو حبيباً.
- (١٠) عين مسمولة: مفقوءة.
- (١١) ممقول: مغموس.

وَيَوْمَ عَمَّ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ أَسَى
وَنَالَ إِخْدَى الثَّنَايَا الْكَسْرُ فِي أَحَدٍ
وَفِي مَوَاطِنَ شَتَّى كَمْ أَنْكَابُهَا
وَمَلَكْتَ يَدَاكَ الْيُمْنَى مَلَائِكَةُ
يُسَارِعُونَ إِذَا نَادَيْتَهُمْ لِوَعَى
مِنْ كُلِّ نَضْوٍ نَحُولٍ مَا يَزَالُ بِهِ
بَنَانُهُ بِدَمِ الْأَبْطَالِ مُخْتَضِبٌ
آلُ النَّبِيِّ يَمَنْ أَوْ مَا أَشْبَهُكُمْ
وَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى مَذْحٍ يَكُونُ بِهِ
يَا قَوْمُ بَايَعْتُكُمْ أَنْ لَا شَبِيهَ لَكُمْ
جَاءَتْ عَلَى تِلْكَ آيَاتِ النَّبِيِّ لَهُمْ
مَعَاشِرٌ مَا رَضُوا إِنْ لَمْ يَنْتَهِجْ
وَإِنْ مَنْ بَاعَ فِي الدُّنْيَا مَحَبَّتَهُمْ
وَحَسِبُ مَنْ تَكَلَّتْ عَنْهُمْ خَوَاطِرُهُ
إِنَّ الْمَوَدَّةَ فِي قُرْبَى النَّبِيِّ غِنَى
وَكَمْ لِأَضْحَايَةِ الْغُرِّ الْكَرَامِ يَدُ
قَوْمٍ لَهُمْ فِي الْوَعَى مِنْ خَوْفِ رَبِّهِمْ
كَأَنَّهُمْ فِي مُحَارِبٍ مَلَأَتْكُمْ
حَكَى الْعِبَاءَةَ قَلْبِي حِينَ كَانَ بِهَا

يَفْقِدُ عَمَّكَ وَالْمَفْقُودُ مَجْدُولٌ (١)
وَجَاءَ يَجْبُرُ مِنْهَا الْكَسْرُ جَبْرِيْلُ
نَضْرُ مِنْ اللَّهِ مَضْمُونٌ وَمَكْفُولُ
غُرِّ كِرَامٍ وَأَبْطَالُ بِهَالِيْلُ (٢)
إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا نَادَوْا هَذَا إِلِيلُ (٣)
إِلَى الْمَكَارِمِ جَدُّهُ هُوَ مَهْزُولُ (٤)
وَطَرْفُهُ بِسَنَاءِ الْإِيمَانِ مَكْحُولُ (٥)
لَقَدْ تَعَذَّرْتُ شَبِيهَةً وَتَمَثَّلْتُ
لَأَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ تَأْهِيلُ
مِنَ الْوَرَى فَاسْتَقْبِلُوا الْبَيْعَ أَوْ قِيلُوا (٦)
دَلَائِلُ هِيَ لِلتَّارِيخِ تَذْيِيلُ
بِهِمْ وَمَا سَخَطُوا إِنْ لَمْ تُكُولُ (٧)
بِبُغْضِهِ اللَّهِ فِي الْآخِرَى لَمْ رَدُّوْ
إِنْ مَاتَ أَوْ عَاشَ تَنْكِيلُ وَتَشْكِيلُ (٨)
لَا يَسْتَمِيلُ فُؤَادِي عَنْهُ تَمْوِيلُ
عِنْدَ الْإِلَهِ لَهَا فِي الْفَضْلِ تَخْوِيلُ (٩)
حُسْنُ ابْتِلَاءٍ وَفِي الطَّاعَاتِ تَبْيِيلُ
وَفِي حُرُوبٍ أَعَادِيهِمْ رَأْيِيلُ (١٠)
لِلَّالِ تَغْطِيَةٌ وَالصُّخْبُ تَخْلِيلُ (١١)

(١) مجذول: مسرور.

(٢) الغرُّ البهاليل: يعني الأشراف السادة.

(٣) هذاليل: جمع هذلول: مسرع.

(٤) النضو: المهزول.

(٥) البنان: الأصابع أو أطرافها. السنا: الضوء.

(٦) بايعتكم: عاهدتكم يقبل البيع: يفسخه.

(٧) منكول من الثكل: فقدان ولد أو حبيب.

(٨) التكنيل: أن تصنع به ما يحذر غيره.

(٩) التخويل: التمليك.

(١٠) محارب: جمع محراب: صدر الغرفة. الرأيل: جمع الرئبال: الأسد.

(١١) الآل: الشخص. التخليل: الدخول في الخل. تخلصهم: دخل بينهم.

وَلِي قُوَادٍ وَنُطَقٍ بِالْوِدَادِ لَهُمْ
فَإِنْ ظَنَنْتُ بِهِمْ خِثْلًا لِبَغْضِهِمْ
أَيُّمَةُ الدِّينِ كُلِّ فِي مُحَاوَلَةٍ
لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ قَدَرُهُ
حَسْبِي إِذَا مَا مَنَحْتُ الْمُضْطَفَى مَدْحِي
مَذْحٍ بِهِ ثَقُلْتُ مِيزَانُ قَائِلِهِ
وَكَيْفَ تَأْبَى جَنَى أَوْ صَافِيهِ هَمِّمْ
وَلَيْسَ يُذْرِكُ أَذْنَى وَضْفِهِ بَشَرٌ
كُلُّ الْقَصَاحَةِ عِيٌّ فِي مَنَاقِبِهِ
لَوْ أَجْمَعَ الْخَلْقُ أَنْ يُخْصُوا مَحَاسِنُهُ
عُذْرًا إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كَلِمِي
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْطِقِي فِي طَيْبِهِ عَسَلًا
هَاحِلَةٌ بِخِلَالٍ مِنْكَ قَدَرُ قِمَتِ
جَاءَتْ بِحُبِّي وَتَضْدِيقِي إِلَيْكَ وَمَا
الْبَسْتُهُا مِنْكَ حُسْنًا فَازْدَهَتْ شَرَفًا
لَمْ أَنْتَحِلْهَا وَلَمْ أَغْصِبْ مَعَانِيَهَا
وَمَا عَلَيَّ قَوْلٍ كَغِبٍ أَنْ تُوَازِنَهُ
وَهَلْ تُعَادِلُهُ حُسْنًا وَمَنْطِقُهَا
وَحَيْثُ كُنَّا مَعًا نَرْمِي إِلَى غَرْضِ
إِنْ أَقْفَ آثَارَهُ إِنِّي الْغَدَاةُ بِهِ
لَمَّا غَفَرْتُ لَهُ ذَنْبًا وَضُنْتُ دَمًا
رَجَوْتُ غُفْرَانِ ذَنْبٍ مُوجِبٍ تَلْفِي

وَبِالْمَدَائِحِ مَشْغُوفٌ وَمَشْغُولٌ
إِنِّي إِذْ بَغُرُّوهُ النَّفْسُ مَخْشُولٌ^(١)
إِلَى صَوَابِ اجْتِهَادٍ مِنْهُ مَوْكُولٌ
وَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولٌ
فِي الْحَشْرِ تَرْكِيبُهُ مِنْهُ وَتَعْدِيلٌ
وَخَفٌّ عَنْهُ مِنَ الْأَوْزَارِ تَشْقِيلٌ
يَرُوقُهَا مِنْ قُطُوفِ الْعِزِّ تَذْلِيلٌ
أَيْقُطِعُ الْأَرْضَ سَاعٍ وَهُوَ مَكْبُولٌ^(٢)
إِذَا تَفَكَّرْتَ وَالتَّكْثِيرُ تَقْلِيلٌ
أَغْيَشَهُمْ جَمَلَةً مِنْهَا وَتَفْصِيلٌ
إِنَّ الْكَرِيمَ لَدِينَهُ الْعُذْرُ مَقْبُولٌ
فَإِنَّهُ بِمَدْيَحِي فِيكَ مَغْسُولٌ
مَا فِي مَحَاسِنِهَا لِلْعَيْبِ تَخْلِيلٌ
حُبِّي مَشُوبٌ وَلَا التَّضْدِيقُ مَذْخُولٌ^(٣)
بِهَا الْخَوَاطِرُ مَنَاوِلٌ^(٤) وَتَنَاقِيلٌ^(٥)
وَعَبْرٌ مَذْحِكٌ مَغْصُوبٌ وَمَنْحُولٌ^(٦)
فَرُبَّمَا وَازَنَ الدُّرَّ الْمَثَاقِيلُ^(٧)
عَنْ مَنْطِقِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءُ مَعْدُولٌ
فَحَبَّذَا نَاضِلٌ مَنَا وَمَنْضُولٌ
عَلَى طَرِيقِ نَجَاحٍ مِنْكَ مَذْلُولٌ
لَوْلَا ذِمَامُكَ أَضْحَى وَهُوَ مَطْلُولٌ^(٨)
لَهُ مِنَ النَّفْسِ إِمْلَاءٌ وَتَسْوِيلٌ^(٩)

(١) مختول: مخدوع.

(٢) مكبول: مقيد.

(٣) مدخول: أي: دخله عيب.

(٤) المناويل: جمع منوال، يقال: هم على منوال واحد، إذا استوت أخلاقهم.

(٥) انتحله: دعاه لنفسه وهو لغيره.

(٦) مثاقيل: جمع ميثقال الشيء: ميزانه من مثله.

(٧) الذمام: العهد.

(٨) التسويل: التزيين.

وَلَيْسَ غَيْرَكَ لِي مَوْلَى أَوْ مَلَّةٌ
وَلِي قُودًا مُجِبُّ لَيْسَ يُقْنِعُهُ
بِمِيلٍ بِي لَكَ شَوْقًا أَوْ يُخِيلُ لِي
بِهِمْ بِالسُّعْيِ وَالْأَقْدَارُ تُنْسِكُهُ
مَتَى تَجُوبُ رَسُولَ اللَّهِ نَحْوَكَ بِي
فَأَنْتَ بِي وَيَدِي بِالْفَوْزِ ظَافِرَةٌ
فِي مَغْشَرٍ أَخْلَصُوا اللَّهَ دِينَهُمْ
شَغِبَ لَهُمْ مَنْ تَرَى الْبَيْتَ الَّذِي شَرَفَتْ
مُحَلَّقِي أَرْوُسٍ زِيدَتْ وَجُوهُهُمْ
فَدَرَحَبَ الْبَيْتِ شَوْقًا وَالْمَقَامُ بِهِمْ
نَذَرْتُ إِنْ جَمَعْتَ شَمْلِي بِبَابِكَ أَوْ
أَبْلُ مِنْ طَيِّبَةٍ بِالدَّمَاعِ طَيِّبَ ثَرَى
دَامَتْ عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ يَكْفُلُهَا
مَا لَاحَ ضَوْءُ صَبَاحٍ فَاشْتَرَبَهُ

بَعْدَ الْإِلَهِ وَخَسْبِي مِنْكَ تَأْمِيلُ
غَيْرُ الْقَلَاءِ وَلَا يَشْفِيهِ تَغْلِيلُ
كَأَنَّ مَا بَيْنَنَا مِنْ شُقَّةٍ مِيلُ
وَكَيْفَ يَغْدُو جَوَادٌ وَهُوَ مَشْكُورُ
تِلْكَ الْجِبَالُ تُجِيبَاتُ مَرَايِيلُ^(١)
وَتُوبُ ذَنْبِي مِنَ الْآثَامِ مَغْسُورُ
وَقَوْضُوا إِنْ هُمْ نَالُوا وَإِنْ نِيلُوا
بِهِ النَّبِيُّونَ تَطْيِيبُ وَتَكْجِيلُ
حُسْنَابِهِ فَكَأَنَّ الْخَلْقَ تَرْجِيلُ^(٢)
وَالْحَجَرُ وَالْحَجَرُ الْمَلْثُومُ وَالْمِيلُ^(٣)
شَفَتْ قُودًا وَي بِهِ قُودَاءُ شَمْلِيلُ^(٤)
لِغُلَّتِي وَغَلِيلِي مِنْهُ تَبْلِيلُ^(٥)
مِنْ الْمَهْيَمِ مِنْ إِبْلَاحٍ وَتَوْصِيلُ
مِنْ الْكَوَاكِبِ قَنْدِيلُ فَقَنْدِيلُ

وقال: ^(٦) [الطويل]

الحسود

تَجَنَّبَ أَحَادِيثَ الْحَسُودِ فَوَاجِبُ
وَكُلُّ حَسُودٍ مَاعَدٌ لَهُ مَلَامَةٌ
مَتَى قَالَ عَنِّي الشُّوءُ عِنْدَكَ إِنَّهُ
تَجَنَّبَهُ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ
وَكُلُّ لَيْمٍ مَاعَلٍ عَلَيْهِ مُعَوَّلُ
كَذَاكَ يَقُولُ الشُّوءُ عَنْكَ وَيَنْقُلُ

(١) الناقة النجبية: الكريمة. مراسيل: أي النوق السهلة القيادة.

(٢) الترجيل: تسريح الشعر.

(٣) الحجر المثلث: الحجر الأسود.

(٤) القوداء: يعني الناقة الطويلة. الشمليل: السريعة.

(٥) طيبة: اسم للمدينة المنورة. الغلة: العطش.

(٦) نسب البوصيري: ١٨٧.

وقال يمدحه صلى الله عليه وسلم: [البسيط]

مَذْحُ النَّبِيِّ أَمَانُ الْخَائِفِ الْوَجِلِ
وَلَا تُشْجِبُ بِأَوْطَانٍ وَلَا دِمْنٍ
وَصِفْ جَمَالَ حَبِيبِ اللَّهِ مَنْفَرْدًا
رِيحَانَتَاهُ عَلَى زَهْرِ الرُّبَا زَهْتًا
رِيحَانَتَاهُ مِنَ الزُّهْرَاءِ فَاطِمَةً
إِذَا امْتَدَّحْتَ نَسِيبًا مِنْ سُلَالَتِهِ
مُحَمَّدًا أَفْضَلَ الرُّسُلِ الَّذِي شَهِدَتْ
لَمْ يَغْدُهُ الْحُسْنُ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَقِفْ عَلَى سُنَنِ الْمَرْضِيِّ مِنْ سُنَنِ
وَنَزْهِ الْفِكَرِ فِي رَوْضَاتِ فِكْرَتِهَا
فَلَمْدَحُهُ مُرْتَجِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَجِلٍ
وَلَا تُعْرِجْ عَلَى رُبْعٍ وَلَا طَلَلٍ^(١)
بِوصْفِهِ خَيْرُ الْوَصْفِ وَالْفَزْلِ
فَمَا لِقَلْبِي وَذِكْرِ الْبَيَانِ وَالْأَثْلِ^(٢)
خَيْرِ النِّسَاءِ وَمِنْ صُنُوهِ إِمَامٍ عَلِيٍّ^(٣)
فَهُوَ النَّسِيبُ لِمَذْجِي سَيِّدِ الرُّسُلِ
بِفَضْلِهِ أَنْبِيَاءُ الْأَغْصَانِ الْأَوَّلِ
وَلَمْ يَزَلْ حُبُّهُ شُغْلًا لِكُلِّ خَلِيٍّ
فَإِنْ فِيهَا شِفَاءُ الْخَبْلِ وَالْخَبْلِ^(٤)
وَاجْنِ الْبَلَاغَةَ مِنْ أَغْصَانِهَا الدُّلِّلِ

وقال رضي الله تعالى عنه [من الكامل]

حُكْمُ الْهَوَى

الْيَوْمَ قَدْ حَكَمَ الْهَوَى بِالْمَغْدَلَةِ
وَتَبَدَّلَتْ مِنِّي الصَّبَابَةُ سَلْوَةً
مَالِي وَلِلْعُشَّاقِ أَتْبَعُ مِنْهُمْ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَشْكُو جُنَايَةَ نَفْسِهِ
إِنِّي أَمْرُؤٌ أُعْطِيَ السُّلُوكِيَادَةَ
وَدَعَا جَمِيلُ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَدِيحَهُ
مَوْلَى عَرَفْتُ بِجَاهِهِ وَبِمَالِهِ
وَأَرَاخُ قَلْبِي مِنْ مُكَابَدَةِ الْوَلَةِ^(٥)
صَيَنْتُ بِهَا عِبْرَاتِي الْمُتَبَدِّلَةَ
أَمَّا تَضِلُّ عَنْهُ الرِّشَادُ مُضِلَّةً
وَيَرُومُ مِنْ أَحْبَابِهِ مَا لَيْسَ لَهُ
وَأَرَاخُ مِنْ تَعَبِ الْمَلَامَةِ عُذْلَةً
فَأَطَاعَهُ وَعَصَى الْهَوَى وَتَغَزَّلَهُ^(٦)
عِزَّ الْغَنَى وَجَهِلْتُ ذُلَّ الْمَسْأَلَةِ

(١) دِمْن: جمع دِمْنَة: آثار الدار والناس، وما سَوَّدُوا. الرُّبْع: الدار بعينها حيث كانت. الطَّلَل: الشاخص من آثار الدار.

(٢) الرُّبَا: جمع الربوة: التلة. البَيَان: ضربان من الشجر.

(٣) الصُّنُو: الأخ، والابن، والعم.

(٤) الْخَبْل: فساد الأعضاء والجنون.

(٥) الْوَلَة: الشوق.

(٦) الْجَمِيل: الصنيع الحسن. ابن الزبير: هو صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، وكان نول

الوزارة أيام الظاهر بيبرس من سنة ٦٥٦ هـ. ٦٥٩ حيث عُزِل، كان جواداً، أديباً شاعراً مكنى
٦٦٨ هـ.

وَأَنْتُمْ خَطِيئَةٌ بِغَدُّثِ أَنْفُسَانِ فَكُنْ
 زَجَبْتُ عَلَيَّ لَهُ حُفُوقٌ لَمْ أَقُمْ
 لَا أَنْتَ طَيْعٌ جَحُودُهَا، وَشُهُودُهَا
 مَا طَالَ صَمْتُ مَدَائِحِي عَنْ مَجْدِهِ
 فَمَتَى هَمَمْتُ بِشُكْرِ سَالِفِ نِعْمَةٍ
 مَنْ مِثْلُ زَيْنِ الدِّينِ يَغْفُوبُ الَّذِي
 عَمَّ الْخَلَائِقُ جُودُهُ فَكَأَنَّمَا
 حَكَمْتُ أَنَا مِلْهُالَهُ بِالرُّفْعِ مِنْ
 وَأَحْلَهُ الشُّرْفَ الرَّفِيعَ ذَكَوُهُ
 سَلَّ عَنْهُ وَاسْأَلْ عَنْ أَبِيهِ وَجَدِهِ
 إِنْ صَالَ كَانَ اللَّيْثُ مِنْهُ شَفْرَةٌ
 كَمْ أَظْهَرْتَ أَقْلَامُهُ مِنْ مُعْجَزِ
 مَلَأَتْ بِإِمْلَاءِ الْخَوَاطِرِ كُتُبَهُ
 وَبَدَتْ قَوَاصِلُهُ خِلَالَ سَطُورِهَا
 مَا صَانَهَا نَقْصُ الْكِمَالِ وَلَمْ تَفُتْ
 قَدْ أَغْنَتْ الْفُقَرَاءُ وَافْتَقَرَتْ لَهُمْ
 مِنْ مَغْشَرِ شَرَعُوا الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى
 آلَ الزُّبَيْرِ الْمُزْتَجَى إِسْعَادُهُمْ
 الْمَكْثُرُونَ طَعَامُهُمْ وَطِعَانُهُمْ
 قَوْمٌ لِكُلِّهِمْ عَلَى كُلِّ الْوَرَى
 إِنْ يُسْأَلُوا كَرَمًا وَعِلْمًا أَعْجَزُوا
 أَنْفُودُ نُوبًا وَذِكْلُ مُقْبِلِ
 لَوْلَا مَنَاقِبُكُمْ لَكَانَتْ هَذِهِ الدُّنَى

مِنْ عَائِدِلِي مَنْ نَدَاهُ وَمِنْ صِلَةٍ
 مِنْهَا بِمَا ضِيَّةٌ وَلَا مُسْتَقْبَلَهُ
 عِنْدِي بِمَا أَوْلَتْ يَدَاهُ مُعْدَلَهُ
 إِلَّا لَأَنْ صِلَاتِهِ مُسْتَرْسِلَهُ
 الْفَيْثُ سَالِفَتِي بِأَخْرَى مُثْقَلَهُ
 أَضَحْتُ بِهِ رُتْبُ الْفَخَارِ مُؤْتَلَهُ (١)
 يَدُهُ بِأَزَاقِ الْوَرَى مُتَكَفَّلَهُ
 أَفْعَالِهِ الْحُسْنَى بِخُمْسَةِ أَمْثِلَهُ
 فَرَأَيْتُ مِنْهُ عَطَارِدَ أَفِي السُّنْبِلَةِ (٢)
 تَسْمَعُ أَحَادِيثَ الْكِرَامِ مُسَلْسَلَهُ
 أَوْ جَادَ كَانَ الْبَحْرُ مِنْهُ أُنْمَلَهُ (٣)
 لِلطَّرْسِ لَمَّا أَنْ رَأَتْهُ مُزْسَلَهُ
 حَكَمًا عَلَى وَفْقِ الصَّوَابِ مُنْزَلَهُ
 تُهْدِي لِقَارِئِهَا الْعُقُودَ مُفْصَلَهُ
 فِي الْحُسْنِ بِسَمَلَةِ الْكِتَابِ الْحَمْدَلَهُ
 هَمُّ الْمَلُوكِ فَمَا تَزَالُ مُؤَمَّلَهُ
 وَتَبَوُّءُ وَامِنْ كُلِّ مَجْدٍ أَوْلَهُ
 فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تُثُوبُ وَمُغْضِلَهُ
 يَوْمَ النِّزَالِ وَفِي السِّنِينَ الْمُمَجِلَهُ
 أَبْدَايَ دَمْرُ هَوْبَةٍ وَمُتَوَّلَهُ (٤)
 بِبَدِيعِ أَجْوِبَةٍ لَتَلِكِ الْأَشْئِلَهُ
 لَوْ أَنَّهَا أَحْسَنَاتُهُ الْمَتَقَبِّلَهُ
 يَا مَنِ الذُّكْرِ الْجَمِيلِ مُعْطَلَهُ

(١) المؤنث: المؤنث.

(٢) عطار: من الكواكب.

(٣) الليث: الأسد. الأنملة: الإصبع أو طرفها.

(٤) الوري: الخلق.

العدل

إِنْ خُلِقَ الشُّهُودُ وَالْعُمَمَالُ مِثْلُ خُلُقِ الْعُشَّاقِ وَالْعُدَّالِ (١)
 كُلُّ عَدْلٍ مُضَايِقٍ فِي رُصُولٍ كَعَدُولٍ مُضَايِقٍ فِي وَصَالٍ
 لَسْتُ أَذْرِي مَعْنَى الثَّبَاغُضِ مَا بَدَّ بِنَ الْفَرِيقَيْنِ غَيْرَ حُبِّ الْعَمَالِ
 فَلِذَا زَالَتِ الْمَطَامِيعُ مِنْهُمْ أَذُنَ الْخُلُفَ بَيْنَهُمْ بِالزُّوَالِ
 سَأَلْتَنِي الْمُسْتَحْدُمُونَ وَكَأَنُّوا قَدْ أَعَدُّوا سِلَاحَهُمْ لِقِتَالِي
 وَرَأَيْتُ بَغْضَهُمْ لِبَغْضِي وَقَدْ بَا نَ لَكَ الْآنَ شِدَّةُ الْأَمْرِ وَالِ
 وَرَأَى ابْنُ الْأَشَلِّ قَدْ كَانَ يَبْقَى كَاتِبًا مِثْلَ جَدِّهِ بِالشَّمَالِ
 فَالْتَّجَالُ الْعَفَافُ مَنْ كَانَ يَوْمًا لَالَهُ يَخْطُرُ الْعَفَافُ بِبِالِ
 وَلَهُمْ أَغْيُنٌ تَغْضُ عَنْ الْعَيْنِ بِنَ وَأَيْدٍ تُمِدُّ عِنْدَ الْغِلَالِ
 يَا بِي خَزْمُكَ الَّذِي طَرَّقَ الْأَتَدَ لِمَا لَمْ مِنْهُمْ طَرَائِقُ الْأَنْدَالِ
 لَا تُوْطِنُ قُلُوبَهُمْ بِهَجَاءٍ إِنِّهَا مِنْ سَطَاكَ فِي بَلْبَالِ (٢)
 مَا اسْتَوَى السِّيفُ وَاللِّسَانُ مَضَاءً أَتَسَاوَى حَقِيقَةً بِمُحَالِ
 إِنِّ قَوْلِي مَزَلًا وَفَعْلَكَ جَدًّا مِثْلُ نَبْلِ الْحَصَى وَرَشَقِ النَّبَالِ
 وَلِلْهَفِي وَلِغَثٍ بِالضَّرْبِ فِي الرُّمِ لِي لِأَحْظَى بِأَسْعَدِ الْأَشْكَالِ
 فَحَمِذْتُ الطَّرِيقَ إِذَا أَشْهَدْتُ لِي حِينَ عَايَنْتُهَا بِحُسْنِ مَالِ (٣)
 وَعَدَدُ الْاجْتِمَاعِ لِي عِنْدَ كَبُلُوعِ الرَّجَاءِ وَالْأَمَالِ
 أَتَبَّتَ الْعِزُّ مِنْكَ فِي بَيْتِ نَفْسِي وَالْغِنَى مِنْ يَدَيْكَ فِي بَيْتِ مَالِي
 وَإِذَا كُنْتُ نُضْرَةً لِي فِيمَا أَرْتَجِيهِ فَذَاكَ عَيْنُ سُؤَالِي

وقال يهجو النصارى واليهود، لعنهما الله : [الكامل]

النجارى واليهود

إِنَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ مَعَاشِرُ جُبِلُوا عَلَى التَّخْرِيفِ وَالتَّنْبِيلِ
 لَوْ أَنَّ فِيهِمْ عَوْرَ عَنْ بَاطِلٍ أَبْقُوا عَلَى التَّوَرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

(١) الْعُدَّالُ : جمع العاذل : اللانم .

(٢) الْبَلْبَالُ : الرسواس وشدة الهم .

(٣) الْمَالُ : مصدر آل أي : رجع .

وقال لما استعار منه جمال الدين حمارة وأبى أن يعيدها إليه، بحكم أنه كان له عند صاحب الحمارة مبلغ من الدراهم: [المنسرح]

أنت لي كافل

بأيتها السَّيِّدُ الَّذِي شَهِدْتُ
حاشاكُ مِنْ أَنْ أَجُوعَ فِي بَلَدٍ
أَلَمْ تَكُنْ قَدْ أَخَذْتَ عَارِيَّةً
وَكَانَ عَزَمِي عِنْدَ الْوَصُولِ بِكُمْ
مَا كَانَ مِثْلِي يُعِيرُهُ أَحَدٌ
لَوْ جَرَّ سُوءُهُ عَلَيَّ مِنْ سَفْهِ
طَالَ بِي شَوْقٌ إِلَى وَطَنِي
وَيُغْفِيَنِي أَنْ أَكُونَ سَائِبَةً
لَأُظْمَعُوا أَنْ أَكُونَ عِنْدَكُمْ
وَيَغْدَهُذَا فَمَا يَجِلُّ لَكُمْ
أَلْفَاظُهُ لِي بِأَنَّهُ فَاخِلٌ
وَأَنْتَ بِالرُّزْقِ فَبِي لِي كَافِلٌ
مِنْ شَرْطِهَا أَنْ تُرَدَّ فِي الْعَاجِلِ
أَجْمَلٌ مِنْ أَنْ أُسَاقَ لِلْحَاصِلِ
قَطُّ وَلَكِنْ سَيِّدِي جَاهِلٌ
لَقُلْتُ غَنَظًا عَلَيْهِ يَسْتَاهِلُ^(١)
وَالشُّوقُ دَاءٌ لَا دُقْتُهُ قَاتِلٌ
مِنْ بَلَدِي فِي جَوَانِبِ السَّاحِلِ^(٢)
فَذَاكَ مَا لَا يَرُومُهُ الْعَاقِلُ
مَلَكِي فَإِنِّي مِنْ سَيِّدِي حَامِلٌ

قافية الميم

وقال يمدح النبي، صلى الله عليه وسلم؛ وهي من أشهر شعره. وهذه القصيدة تعرف بالبزدة أو بالبزاة. وقد وفد بها على النبي، صلى الله عليه وسلم، وهو مريض، فعرفى من وقته وساعته: [البسيط]

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِبْرَانَ بِلَدِي سَلَمٍ
مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ^(٣)
فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَاهُمَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِيقُوا يَهُمَّ^(٤)
أَيَحْسَبُ الصُّبُّ أَنَّ الْحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍّ^(٥)

(١) الشَّغْه: الجهل.

(٢) السَّائِبَةُ: المهمل، والعبد يُعْتَقُ عَلَى أَنْ لَا وِلَاءَ لَهُ.

(٣) إِضْمٌ: الوادي الذي فيه المدينة النبوية.

(٤) هَمَّتِ الْعَيْنُ: صَبَّتْ دُمْعَهَا.

(٥) الْمُنْسَجِمُ: السائل من الدمع. اضْطَرَمَّ الْقَلْبُ: اشتعل حبًّا.

لَوْلَا الْهَوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
وَأَثَبْتَ الْوَجْدَ خَطِيئَةً وَضَعْتَ
نَعْمَ سَرَى طَيْفٍ مِنْ أَهْوَى فَأَرْقَنِي
يَا لَا تُجِئِي فِي الْهَوَى الْعُذْرِي مَعْدِرَةً
عَذَّتْكَ حَالِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِيرٍ
مَحْضَتْنِي النُّضْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ
فَلِإِنْ أَمَارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظْتُ
وَلَا أَعَدْتُ مِنَ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ قَرَى
لَوْ كُنْتُ أَغْلَمُ أَنِّي مَا أَوْقَرُهُ
مَنْ لِي يَرُدُّ جِمَاحَ مِنْ غَوَايَتِهَا
فَلَا تُزِمُ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا
وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى
فَاضْرَفَ هَوَاهَا وَحَاذِرًا أَنْ تُؤْلِيَهُ
وَرَاعِيَهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ
كَمْ حَسُنَتْ لَذَّةُ الْمَرْءِ قَاتِلَةٌ
وَإِخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شَبَعٍ
وَاسْتَفْرِغِ الدَّمَاعَ مِنْ عَيْنٍ قَدَامَتَا

وَلَا أَرَيْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَالْعَلَمِ (١)
بِهِ عَلَيْكَ عَدْوُلُ الدَّمَاعِ وَالسَّقَمِ
مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَذَنِكَ وَالْعَنَمِ (٢)
وَالْحُبِّ يَغْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
مِنْ نِي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتُ لَمْ تَلَمْ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْخَسِمِ (٣)
إِنَّ الْمُجِبَّ عَنْهُ الْعُدَالِ فِي ضَمَمِ
وَالشَّيْبِ أَنْعَدْتُ فِي نَضْحٍ عَنِ التَّهْمِ
مِنْ جَهْلٍ لَهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالْهَزَمِ (٤)
ضَيْفِ أَلَمٍ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَسِمِ
كَتَمْتُ سِرًّا بَدَلِي مِنْهُ بِالْكُتَمِ (٥)
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الْخَيْلِ بِاللُّجَمِ
إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهْمِ (٦)
حُبُّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمَهُ يَنْفُطِمِ
إِنَّ الْهَوَى مَا تُؤْلَى يُضْمُ أَوْ يَضْمُ (٧)
وَإِنْ هِيَ اسْتَخَلَّتِ الْمَرْعَى فَلَا تُسِمِ (٨)
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذَرِ أَنَّ السُّمَّ فِي النَّسَمِ
قَرُبٌ مَخْمَصَةٌ شَرٌّ مِنَ الثُّخَمِ (٩)
مِنْ الْمَحَارِمِ وَالزَّمِّ جَمِيَّةُ النَّدَمِ (١٠)

- (١) الطَّلَلُ: الشاخص من آثار الدار. البان: ضرب من الشجرة.
- (٢) البهار: نبت طيب الريح. العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء.
- (٣) عَذَّتْكَ: تجاوزتكَ.
- (٤) الأماراة بالسوء، أي النفس.
- (٥) الكتم: نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر، فيبقى لونه.
- (٦) لا تُزِم: لا تطلب.
- (٧) يَضْمُ: يعجب. يُضْمُ: يرمي فيقتل.
- (٨) السائمة: الإبل الراعية.
- (٩) المخمصة: المجاعة. الثُّخَم: جمع الثُّخْمَة: الداء يصيبك من الطعام لا يُسْمَرَأ.
- (١٠) الجمية عن الشيء: الامتناع عنه.

وخالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِمَا
وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمَا خَضَمًا وَلَا حَكَمًا
لَتَتَغَيَّرَ اللَّهُ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ
لَمَزْتِكَ الْخَيْرَ لَكِنْ مَا اثْمَرْتَ بِهِ
وَلَا تَزَوَّدْتَ قَبْلَ الْمَوْتِ نَافِلَةً
فَلَمَتُ مُنْتَهَى مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى
وَشَدِيدِ مَنْ سَقَبَ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى
وَرَاوَدَتْهُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
وَأَكْثَرَتْ زَهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ
وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةٌ مِنْ
مُحَمَّدَ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْنِ
نَبِيِّنَا الْأَمِيرِ النَّاهِي فَلَا أَحَدَ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شِفَاعَتُهُ
دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
فَذُوقِ الشَّيْبَيْنِ فِي خُلُقِي وَفِي خُلُقِي
وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُلْتَمِسُ
وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ خَدِّهِمْ
فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ
مُنْزَعَةٌ عَنْ شَرِيكِ فِي مَحَاسِنِهِ
ذُوقِ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي رَبِّهِمْ
وَأَنْسُبِ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ

وَأَنْ هُمَا مُحَضَّاكَ التُّضَخَ فَأَتَاهُم
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الْخَضَمِ وَالْحَكَمِ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلًا لِيَذِي عُنُقٍ
وَمَا اسْتَقْنَتْ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلَمْ أَضِلْ بِسُوءِ فَرْضٍ وَلَمْ أَضِمِ
أَنْ اسْتَكْثَرْتُ قَدْ مَا الضَّرْمِ مِنْ وَرَمِ
تَحْتَ الْحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الْأَدَمِ^(١)
عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيُّ مَا شَمَمِ^(٢)
إِنَّ الضَّرُورَةَ لَا تَعْدُو عَلَى الْعِصَمِ^(٣)
لَوْلَاهُ لَمْ تُخْرِجِ الدُّنْيَا مِنَ الْعَدَمِ
بِالْفَرِيقَيْنِ مِنْ غُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ^(٤)
أَبْرَفِي قَوْلٍ «لَا» مِنْهُ وَلَا «نَعَمْ»
لِكُلِّ هَوًى مِنَ الْأَهْوَالِ مُفْتَحَمِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْقَصِمِ
وَلَمْ يُدْأِئُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمِ
غَرَفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ^(٥)
مِنْ نُقْطَةِ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الْحَكَمِ
ثُمَّ اضْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِيءَ النَّسَمِ^(٦)
فَجَزَاهُ الْحُسْنَ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ
وَأَحْكَمَ بِمَا شِئْتَ مَذْحَافِيهِ وَاحْتَكَمِ
وَأَنْسُبِ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ
حَدِّ غُرْبٍ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

(١) السغب: الجوع. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف. الأدم: باطن الجلد الذي يلي

الحم.

(٢) الشمم: الارتفاع.

(٣) العصم: جمع العصمة: المنع.

(٤) الثقلان: الإنس والجن.

(٥) الرشف: المعص. الديم: جمع الديمة: المطر يدوم في سكون بلا رعد أو برق.

(٦) النسَم: جمع النَسمة: الإنسان.

لَوْ نَسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظْمًا
لَمْ يَمْتَحِنَا بِمَا تَغْيَا الْعُقُولُ بِهِ
أَعْيَا الْوَرَى فَهُمْ مَغْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَى
كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدِ
وَكَيْفَ يُذَكِّرُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
فَمَبْلَغُ الْعِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَكَلُّ آيٍ أَتَى الرُّسُلَ الْكِرَامُ بِهَا
فَإِنَّهُ شَمْسٌ فَضْلُهَا كَوَاكِبُهَا
أَكْرَمُ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقُ
كَالزَّهْرِ فِي تَرْفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرْفٍ
كَأَنَّهُ وَهُوَ قَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ
كَأَنَّمَا اللَّوْلُؤُ الْمَكْنُونُ فِي صَدَفٍ
لَا طِيبَ يَغْدِلُ تُرْبًا ضَمُّ أَعْظَمَهُ
أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُصْرِهِ
يَوْمَ تَفْرَسَ فِيهِ الْفُرْسُ أَنَّهُمْ
وَبَاتَ إِيوَانُ كَسْرَى وَهُوَ مُنْصَدِعٌ
وَالنَّارُ خَامِدَةٌ الْأَنْفَاسُ مِنْ أَسْفٍ
وَسَاءَ سَاوَةٌ أَنْ غَاضَتْ بِخَيْرُهَا
كَأَنَّ النَّارَ مَاءً مَاءً مِنْ بَلَلٍ

أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى ذَا رَمٍ الرَّمَمِ (١)
حِزْصَاءٌ عَلَيْنَا فَلَمْ تَزْتَبْ وَلَمْ نَبْهِمْ (٢)
فِي الْقُرْبِ وَالبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَعِمٍ (٣)
صَفِيرَةٌ وَتُكِلُ الطَّرْفُ مِنْ أَمٍّ (٤)
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسْلُوْا عَنْهُ بِالْحُلُمِ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ (٥)
فَإِنَّمَا اتَّصَلْتُ مِنْ نُورِهِ بِهِمْ
يُظْهِرُنْ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلُمِ
بِالْحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالبَشْرِ مُتَّسِمٍ (٦)
وَالْبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي مَتَمٍ
فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي خَشَمٍ
مِنْ مَعْدِنِي مَشْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسِمٍ
طَوْبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَمِمْ (٧)
يَا طِيبَ مُبْتَدِئٍ مِنْهُ وَمُخْتَمِمْ
قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ الْبُؤْسِ وَالتَّقَمِ
كَشْمَلٍ أَصْحَابِ كَسْرَى غَيْرَ مُلْتَمِمْ (٨)
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي الْعَيْنِ مِنْ سَدَمٍ (٩)
وَرُدُّوْا رِدْهَا بِالْغَيْظِ حِينَ ظَمِي (١٠)
حُزْنًا وَبِالْمَاءِ مَاءً بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ

(١) الرَّمَم: جمع الرَّمَّة: العظام البالية.

(٢) لم نَبْهِمْ: لم نضل.

(٣) أَعْيَا الْوَرَى: أتعب الخلق. المنفعم: الساكت عجزاً في المناظرة.

(٤) تَكُلُّ: تتعب.

(٥) مَبْلَغُ الْعِلْمِ: يعني غاية العلم.

(٦) مُتَّسِمٍ: مرصوف.

(٧) مُنْتَشِقٍ: الذي ينتشق. مُلْتَمِمْ: من اللثم: التقبيل.

(٨) إشارة إلى تصدع إيوان كسرى وقت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٩) السَّدَم: الحزن.

(١٠) سَاوَةٌ: مدينة في بلاد فارس. ويشير إلى بحيرتها التي غاضت.

وَالْجِنُّ تَهْتِفُ وَالْأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
فَعُمُوا وَصَمُوا فَاغْلَاغْلَانِ الْبَشَائِرَ لَمْ
مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الْأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الْأَفْقِ مِنْ شَهَبٍ
حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ مُتَهَزِمٌ
كَأَنَّهُمْ قَرِيبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةَ
تَبْدَأُ بِهِ بَعْدَ تَنْسِيحِ بَبْطَنِهِمَا
جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الْأَشْجَارُ سَاجِدَةٌ
كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرَ الْمَا كَتَبَتْ
مِثْلَ الْغَمَامَةِ أُنْثَى مَارَ سَائِرَةٌ
اِقْسَمْتُ بِالْقَمَرِ الْمُتَشَقِّقِ إِنَّ لَهُ
وَمَا حَوَى الْغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
فَالصُّدُقُ فِي الْغَارِ وَالصُّدُيقُ لَمْ يَرِمَا
ظَنُّوا الْحَمَامَ وَظَنُّوا الْعَنْكَبُوتَ عَلَى
وَقَايَةُ اللَّهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةِ
مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
وَلَا التَّمَسُّتُ غَنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
لَا تُنْكِرُ الْوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
وَذَلِكَ حِينَ بُلُوغِ مِنْ نُبُوتِهِ
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا وَخِيَ بِمُكْتَسَبٍ
كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِيلاً لِمَنْ رَاحَتْهُ

وَالْحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَفْنِنٍ وَمِنْ كَلِمٍ
تُسْمَعُ وَيَارِقَةُ الْإِنْذَارِ لَمْ تُسْمَعُ^(١)
بِأَنَّ دِيْنَهُمُ الْمَفْجُوعُ لَمْ يَقُمْ
مُنْقَضَةً وَفَقَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ صَنَمٍ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُوا إِثْرَ مُتَهَزِمٍ^(٢)
أَوْ عَشْكَرَ بِالْحَصَى مِنْ رَاخَتِيهِ زُمِي^(٣)
تَبْدَأُ الْمُسْبِيحُ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمٍ
تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمٍ
قُرُوعُهَا مِنْ يَدِيعِ الْخَطْفِ فِي اللَّقْمِ
تَقِيهِ حَرٌّ وَطَيْسٌ لِلْهَجِيرِ حَمِي^(٤)
مِنْ قَلْبِهِ نَسْبَةُ مَبْرُورَةِ الْقَسَمِ
وَكُلُّ طَرَفٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالْغَارِ مِنْ أَرَمٍ^(٥)
خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحْمِ
مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الْأَطْمِ^(٦)
إِلَّا وَنَلْتُ جَوَارِ أَمْنَهُ لَمْ يُضَمَّ^(٧)
إِلَّا أَمْتَلَمْتُ التَّدَى مِنْ خَيْرٍ مُسْتَلَمٍ
قَلْبًا إِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ لَمْ يَنْسَمِ
فَلَيْسَ يُنْكِرُ فِيهِ حَالُ مُخْتَلِمٍ
وَلَا تَسِيَّ عَلَى غَنِيْبٍ بِمُتَّهِمٍ
وَأَضَلَّقْتُ أَرِيَامَ مِنْ رَيْقَةِ اللَّمَمِ^(٨)

(١) لم تُسْمَعُ: لم تُنظر.

(٢) يقفوا: يمشي على الأثر.

(٣) أبرهة: هو أبرهة الحبشي الذي هاجم الكعبة ليهدمها في السنة التي وُلد فيها النبي صلى الله عليه وسلم.

(٤) الرطيس: الثور.

(٥) أرم: علم وأثر، وأخذ.

(٦) الأطم: الحصون.

(٧) الضيم: الظلم والانتقاص.

(٨) الوصب: المريض. الأرب: العاقل. اللمم: الجنون، وصغار الذنوب. الرَيْقَةُ: العروة.

وَأَخْبَتَهُ السَّنَةُ الشُّهُبَاءَ دَعْوَتُهُ
بِعَارِضٍ جَاذِبٍ أَوْ خَلَّتِ الْبُطَاحُ بِهَا
دُعْبِي وَوَضَعِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
فَالدُّرُ يُزَادُ أَحْسَنًا وَهُوَ مُنْتَظَمٌ
فَمَا تَطَاوَلَ آمَالُ الْمَدِيحِ إِلَى
آيَاتِ حَقٍّ مِنَ الرُّخْمِ مُخَدَّعَةٌ
لَمْ تُفْشِرْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا
دَامَتْ لَدَيْنَا فِئَاقَتْ كُلِّ مُعْجِزَةٍ
مُعْكَمَاتٍ فَمَا تُبْقِيَنَّ مِنْ شُبِّهِ
مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبٍ
رَدَّتْ بِلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا
قُرْتُ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
إِنْ تَشْلُهَا خَيْفَةٌ مِنْ حَرِّ نَارٍ لَطَى
كَأَنَّهَا الْحَوْضُ تَبْيَضُّ الْوُجُوهُ بِهِ
وَكَالصُّرَاطِ وَكَالْمِيزَانِ مَعْدِلَةٌ
لَا تَعْجَبَنَّ لِحُسُودِ رَاحٍ يُنْكِرُهَا
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
يَا خَيْرَ مَنْ يَمُومُ الْعَافُونَ سَاحَتَهُ
وَمَنْ هُوَ الْآيَةُ الْكُبْرَى لِمُغْتَبِرٍ
سَرَرْتِ مِنْ حَرَمٍ لَيْلًا إِلَى حَرَمٍ

حَتَّى خَكَّتْ غُرَّةً فِي الْأَغْصَرِ الدُّهُمِ (١)
سَنِبَ مِنَ الْيَمِّ أَوْ سَنِلَ مِنَ الْغَرَمِ (٢)
ظَهَرَ نَارُ الْقِرَى لَيْلًا عَلَى غَلَمٍ
وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرَ أَغْيَرٍ مُنْتَظَمٍ
مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالشُّبِّ
قَدِيمَةٍ صِفَةُ الْمُوصُوفِ بِالْقَدَمِ
عَنْهُ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِزْمِ (٣)
مِنَ الشُّبِّيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَلَمْ
بِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِيَنَّ مِنْ جُحْمٍ
أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلَمِ
رَدَّ الْغَيُورِ نِدَ الْجَانِي عَنِ الْحَرَمِ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقَبْلِ
وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ
لَقَدْ ظَفِرَتْ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاغْتَنِمِ
أَطْفَافَ نَارِ لَطَى مِنْ وَرْدِهَا الشُّجَمِ
مِنَ الْعَصَاةِ وَقَدْ جَاءَ وَهُوَ كَالْحَنَمِ
فَالْقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمْ (٤)
تَجَاهِلًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ الْفَهْمِ
وَيُنْكِرُ الْقَمَّ طَغَمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ
سَغِيًّا وَفَوْقَ مُثُونِ الْإَيْتِقِ الرُّسْمِ (٥)
وَمَنْ هُوَ النُّعْمَةُ الْعُظْمَى لِمُغْتَنِمِ
كَمَا سَرَى الْبَذْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

(١) السنة الشهباء: لا خضرة فيها، ولا مطر. غرة: بيضاء. الدُّهُم: السواد.

(٢) العارض: السحاب المعترض في الأفق. البطاح: جمع البطحاء: مسيل واسع فيه دُقاق الحصى. الشَّيب: العطاء. اليم: البحر. الغرم: الوادي.

(٣) إزم وعاد: من العرب البائدة، كما أخبر تعالى بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرَمَ ذَا النُّعْمِ﴾ سورة الفجر آية ٧.

(٤) القسط: العدل.

(٥) العافون: جمع العافي: طالب الرزق. الأيتق: النوق. الرُّسْم: أي التي ترسم الأرض فتترك التراب.

وَبِئْسَ تَرْقَى إِلَى أَنْ نَزَلَتْ مَنَزِلَةً
وَقَدْ مَثَلَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ بِهَا
رَأَيْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطَّبَاقَ بِهِمْ
حَتَّى إِذَا لَمْ تَدْعُ شَاوًا أَلْمُسْتَبِقِ
خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالْإِضَافَةِ إِذْ
كُنِمَاتُ فُورٍ بِوَضَلِ أَيْ مُسْتَبِرٍ
فَحَزَتْ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرِكٍ
وَجَلَّ بِمَقْدَارِ مَا وَلِيَتْ مِنْ رُتَبٍ
بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
لَمَادَعًا لِلَّهِ دَاعِيَنَا لِطَاعَتِهِ
رَاعَتْ قُلُوبَ الْعِدَّةِ أَنْبَاءُ بِعَثَّتِهِ
مَا زَالَ يَلْقَاهُمْ فِي كُلِّ مُغْتَرِكٍ
وَدُّوا الْفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ
تَمَضِي اللَّيَالِي وَلَا يَذُرُونَ عِدَّتَهَا
كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ
يَجْرُبُ بَخْرَ خَمِيرٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ لِلَّهِ مُخْتَسِبٍ
حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ
مَكْفُولَةٌ أَبَدًا غَنَمٌ بِخَيْرِ أَرْبَ

مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُذَرَ وَلَمْ تُزَمِ (١)
وَالرُّسُلُ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمٍ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتُ فِيهِ صَاحِبَ الْعِلْمِ (٢)
مِنْ الدُّنُوِّ وَلَا مَرْقَى لِمُسْتَبِقِ (٣)
تُودِيَتْ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ
عَنِ الْعُيُونِ وَسِرَّ أَيْ مُكْتَنِمِ
وَجَزَتْ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمٍ
وَعَزَّ إِذْ رَأَى مَا أُولِيَتْ مِنْ نِعَمٍ
مِنْ الْعِنَايَةِ زُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ
بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ
كُنْبَاءَةً أَجْفَلْتُ غَفْلًا مِنَ الْعَنَمِ
حَتَّى حَكَّوْا بِالْقَنَالِ خَمًا عَلَى وَضَمِ (٤)
أَشْلَاءَ شَالَتْ مَعَ الْعُقْبَانِ وَالرُّخَمِ (٥)
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لِيَالِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ الْعِدَا قَرِمِ (٦)
يَزْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الْأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ (٧)
يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكَفْرِ مُصْطَلِمِ (٨)
مِنْ بَغْدِ غُرَبَاتِهَا مَوْضُولَةَ الرَّجَمِ
وَحَيْرَ بَعْلِ فَلَمْ تَيْتَمِ وَلَمْ تَتِمِ (٩)

(١) لم تُزَمِ: لم تُطلب.

(٢) السبع الطباق: السماوات السبع.

(٣) الشاو: السبق.

(٤) الرُّضَم: ما وَقِيتَ به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير. وقولهم: تركهم لحماً على وضَمٍ يعني: أوقعهم فذلَّلهم وأوجعهم.

(٥) العُقْبَان: جمع العُقَاب: طائر جارح. والرُّخَم: طائر.

(٦) القَرَم: السيد. القَرِم: الذي يشتهي اللحم.

(٧) الخميس: الجيش. السابحة: الخيل.

(٨) الاصطلام: الاستئصال.

(٩) البعل: الزوج. لم تتم أي لم تصر إيمًا والأيَم: التي لا زوج لها.

هُم الْجِبَالُ فَسَلَّ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ
وَسَلَّ حُتَيْنَا وَسَلَّ بَذْرَا وَسَلَّ أَحَدَا
الْمُضْطَرِّدِ الْبَيْضِ حُمْرًا بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
وَالْكَاتِبِينَ بِسُفْرِ الْخَطِّ مَا تَرَكَتْ
شَاكِي السَّلَاحِ لَهُمْ يَسْمَى تُمَيِّزُهُمْ
تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاخَ النَّصْرِ تُشْرِهُمُ
كَانَهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ تُبَيِّنُ رُبَا
طَارَتْ قُلُوبُ الْعِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقَا
وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللَّهِ تُضَرِّثُهُ
وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيِّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ
أَحْلَ أُمَّتُهُ فِي حُرُوزِ مَلَّتِهِ
كَمْ جَدَلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ مِنْ جَدِلٍ
كَفَاكَ بِالْعِلْمِ فِي الْأُمِّيِّ مُعْجِزَةٌ
خَدَمَتْهُ بِمَدِيحِ اسْتَقْبِيلِ بِهِ
إِذْ قُلْدَانِي مَا تُخَشَى عَوَاقِبُهُ
أَطَعْتُ غِيَّ الصُّبَا فِي الْحَالَتَيْنِ وَمَا
فِيَا خَسَارَةً تُفْسِدُ فِي تَجَارَتِهَا
وَمَنْ يَبِغْ أَجْلَامَهُ بِعَاجِلِهِ
إِنْ آتَ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ

مَا ذَا رَأَى مِنْهُمْ فِي كُلِّ مُصْطَلَمٍ
فُصُولٌ حَثَفَ لَهُمْ أَذْهَى مِنَ الْوَحْمِ (١)
مِنْ الْعِدَا كُلِّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللَّسَمِ (٢)
أَقْلَامُهُمْ حَزَفَ جِسْمٍ غَيْرِ مُنْتَعِمٍ
وَالْوَرْدُ يَخْتَارُ بِالسَّيْمِيِّ عَنِ السَّلَمِ (٣)
فَتَخَسَّبُ الزُّهْرُ فِي الْأَكْمَامِ كُلِّ كَفِي (٤)
مِنْ شِدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزْمِ (٥)
فَمَا تَفَرَّقَ بَيْنَ الْبُهِمِ وَالْبُهِمِ (٦)
إِنْ تَلَقَّه الْأَسَدُ فِي آجَامِهَا تَجَمَّ (٧)
بِهِ وَلَا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْتَعِمٍ
كَالْلَيْثِ حَلَّ مَعَ الْأَشْبَالِ فِي أَجَمٍ
فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانُ مِنْ خَصِمٍ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي الْبُيُوتِ
ذُنُوبَ عُفْرِ مَضَى فِي الشُّغْرِ وَالْخُدَمِ
كَأَنِّي بِهِمَا هَذِي مِنَ الثَّغَمِ (٨)
خَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الْأَنَامِ وَالنَّدَمِ
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسْمِ (٩)
يَبْنُ لَهُ الْعَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ (١٠)
مِنْ النَّبِيِّ وَلَا حَبْلِي بِمُنْتَصِرٍ

(١) الْوَحْمُ: يعني الداء، ويقال: أرض وخيمة: لا ينجع كلاًهما.

(٢) اللَّسَمُ: جمع اللمة: الشعر المجاوز شحمة الأذن.

(٣) السَّيْمِيُّ: العلامة.

(٤) الكمي: المدجج بالسلاح.

(٥) الْحَزْمُ: الثبات، والحُزْمُ: جمع الحزام.

(٦) الْبُهِمُ: جمع البهمة: أولاد الضأن والمعز: والبُهِمُ: جمع البهمة: الشجاع.

(٧) الْأَجَامُ: جمع الأجمة: الشجر الكثيف الملتف.

(٨) الْهَدْيُ: ما يهدي إلى الحرم ليدبح.

(٩) يُقَالُ سُمْتُ بِالسَّلْعَةِ وَسَاوَمْتُ بِهَا فِي الْبَيْعِ.

(١٠) السَّلَمُ: السِّلَفُ.

فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي
 إِن لَّمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي
 حَاشَاءُ أَنْ يَخِرَّ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ
 وَمُنْذُ الْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
 وَلَنْ يَفُوتَ الْغِنَى مِنْهُ يَدَا تَرِيثَ
 وَلَمْ أَرِ ذُرَّةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَضَتْ
 يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا لِي مِنْ أَلُودِهِ
 وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولُ اللَّهِ جِوَاهِرُكَ بِي
 فَإِنْ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضُرَّتْهَا
 يَا نَفْسُ لَا تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
 لَعَلَّ رَحْمَةً رَبِّي حِينَ يَفْضُمُهَا
 يَا زَبُّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
 وَالطُّفَّ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
 وَائِذْنًا لِحُجْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
 مَا رُحْتُ عَذَابَاتِ الْبَانِ رِيحُ صَبَاً

مُحَمَّدًا أَوْ هُوَ الْخَلْقُ بِالدُّمِّ
 فَضْلًا وَلَا أَقْضِلُ بِأَزَلَّةِ الْقَدَمِ
 أَوْ يَرْجِعَ الْجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمٍ
 وَجَدْتُهُ لِبَغْلَامِي خَيْرَ مُلْتَزِمٍ
 إِنَّ الْحَيَاءَ يُثَبِّتُ الْأَزْهَارَ فِي الْأَكْمِ^(١)
 يَدَا زَهْرٍ بِمَا أَتَى عَلَى هَرَمٍ
 سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الْحَادِثِ الْغَمِّ^(٢)
 إِذَا الْكَرِيمُ تَحَلَّى بِأَنْفِ مُنْتَقِمٍ
 وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ^(٣)
 إِنَّ الْكِبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ كَاللُّمِّ^(٤)
 تَأْتِي عَلَى حَسْبِ الْعِضْيَانِ فِي الْقِسَمِ
 لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُتَخَزِمٍ
 صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الْأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ
 عَلَى الشَّيْءِ بِمُنْهَلٍ وَمُنْسَجِمِ^(٥)
 وَأَطْرَبَ الْعَيْسِ حَادِي الْعَيْسِ بِالثَّغَمِ^(٦)

القصيدة المحمدية للإمام البوصيري^(٧): [البسيط]

مُحَمَّدٌ أَشْرَفُ الْأَعْرَابِ وَالْعَجَمِ
 مُحَمَّدٌ بِأَسْطِ الْمَعْرُوفِ أَمْعَةٌ
 مُحَمَّدٌ نَاجُ رُسُلِ اللَّهِ قَاطِبَةٌ
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ
 مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ وَالْكَرَمِ
 مُحَمَّدٌ صَادِقُ الْأَقْوَالِ وَالْكَلَمِ

(١) تريت: افتقرت. الأكْم: جمع الأكمة: الربوة.

(٢) الود: أحتمي. الحادث المغم: يعني يوم القيامة.

(٣) ذرة الدنيا يعني الآخرة.

(٤) اللمم: صفار الذنوب: م

(٥) منهل: منصب. منسجم: سائل برفق.

(٦) البان: شجر لحب ثمره دهن طيب. العذبات: الأغصان. العيس: الإبل البيض. راحلة:

(٧) المعجمة الكبرى ٧٠.

مُحَمَّدٌ طَيْبُ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيَمِ
 مُحَمَّدٌ لَمْ يَزَلْ نُورًا مِنْ الْقِدَمِ
 مُحَمَّدٌ مَقْدِنُ الْإِنْعَامِ وَالْحِكَمِ
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ رُسُلِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
 مُحَمَّدٌ مَجْمَلُ حَقِّهِ عَلَى عِلْمِ
 مُحَمَّدٌ شُكْرُهُ قَرَضٌ عَلَى الْأُمِّ (١)
 مُحَمَّدٌ كَاشِفُ الْغُمَاتِ وَالظُّلَمِ (٢)
 مُحَمَّدٌ صَاغَةُ الرَّحْمَنِ بِالنُّعْمِ
 مُحَمَّدٌ طَاهِرُ سَائِرِ الشُّهُمِ
 مُحَمَّدٌ جَارُهُ وَاللَّهُ لَمْ يُضْمِ
 مُحَمَّدٌ جَاءَ بِالْآيَاتِ وَالْحِكَمِ
 مُحَمَّدٌ نُورُهُ الْهَادِي مِنَ الظُّلَمِ
 مُحَمَّدٌ خَاتِمُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ

مُحَمَّدٌ ثَابِتُ الْمِيثَاقِ حَافِظُهُ
 مُحَمَّدٌ خَبِيثُ الثُّورِ طَيِّبُهُ
 مُحَمَّدٌ حَاكِمٌ بِالْعَدْلِ ذُو شَرَفٍ
 مُحَمَّدٌ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُضَرٍ
 مُحَمَّدٌ دِينُهُ حَقُّ التَّذْيِيرِ بِهِ
 مُحَمَّدٌ ذِكْرُهُ رُوحٌ لَا تُفْسِنَا
 مُحَمَّدٌ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا
 مُحَمَّدٌ سَيِّدُ طَابَتْ مَنَاقِبُهُ
 مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ الْبَارِي وَخَيْرَتُهُ
 مُحَمَّدٌ ضَاحِكٌ لِلضَّيْفِ مَكْرَمَةٌ
 مُحَمَّدٌ طَابَتْ الدُّنْيَا بِبَغْتَتِهِ
 مُحَمَّدٌ يَوْمَ بَغَتْ النَّاسُ شَافِعُنَا
 مُحَمَّدٌ قَائِمٌ لِلَّهِ ذُوهِمَمٍ

وبات مرةً بالقرافة في رفقة فيهم رجل اسمه مسافر، فدب ليلاً على صبي، اسمه
 النجم . فقال البوصيري: (٣) [السريع]

سأله

مُسَافِرٌ سَارَتْ أَحَادِيدُهُ
 سَرَى عَلَى النُّجْمِ وَلَا غَرْوَ فِي
 مَا بَيْنَ كُلِّ الْعُزْبِ وَالْعَجَمِ
 مُسَافِرٌ يَسْرِي عَلَى النُّجْمِ

وقال عفا الله عنه: [من الكامل]

دُرُ الْمَدَائِحِ

غَرَجَ بِرَامَةٍ إِنْهَا لَمَرَامِي
 وَبِحَيْرَةٍ فِيهَا عَلَيَّ كَرَامِي (٤)

(١) الروح: ما به حياة الأنفس. والزوج: الراحة.

(٢) الغمات: جمع الغمة: الكرب، والأمر المبهم.

(٣) المقفى للمقريزي: ٢٣٢.

(٤) رامة: موضع.

نَزَلُوا الْعَقِيقَ فَأَذْمَعِي شَوْقًا إِلَى
 مَالِ الدِّيَارِ وَلِلْمُحِبِّ كَأَنَّمَا
 عَهْدِي بِهَا وَكَأَنَّمُنْهَلُ الْحَيَا
 وَشَدَّ الْحَمَامُ عَلَى الثَّمَامِ وَمَا لِمَنْ
 وَذَهَلْتُ لَا أَذْرِي بِمَا أَنَا مَائِلٌ
 نَمُّ الْوُشَاةِ بِنَا إِلَّا أَنْ الْهَوَى
 وَتَحَدَّثُوا أَنِّي سَلَوْتُ هَوَاكُمُ
 وَضَرَبْتُمْ بَيْنِي وَبَيْنَ جَمَالِكُمْ
 وَقَضَيْتُمْ مَهَابَتَكُمْ بِتَرْكِ زِيَارَتِي
 وَلَوْ أَنِّي حَاوَلْتُ نَقْضَ عَهْدِكُمْ
 مَا ضَرَّكُمْ جَبْرُ الْكَسِيرِ وَخَسْبُهُ
 وَلَقَدْ خَلَوْتُ بِذِكْرِكُمْ وَلَعَبَرَتِي
 وَقَرْتُ سُلُوكَ السَّلَامِ فَلَيْسَ مِنْ
 قَسَمٍ بِخُسْنِكُمْ الْمَصُونِ وَإِنَّهُ
 لَا عَفْرُونَ بَأَرْضِكُمْ خَدْيِي مِنْ
 وَلَا بَكِيْنٌ عَلَى زَمَانٍ فَاتَنِي
 وَلَا هُدَيْنَ إِلَى الْوَزِيرِ وَالْإِلَهِ
 هُدْيَ الْأَنَامِ بِهِمْ إِلَى طُرُقِ الْعُلَا
 صَانَ التَّدْيِ أَغْرَضَهُمْ وَزَهَتْ بِهِمْ

يَلُوكَ الرُّبَا مِثْلُ الْعَقِيقِ دَوَامٌ (١)
 مُزِجَتْ حَمَائِمُهَا لِبُحْمَامٍ (٢)
 دَمَعِي وَمُضْفَرُ الْبَهَارِ سَقَامِي (٣)
 مَرُّ الصُّبَا وَخَكْنُهُ عَوْدُ ثَمَامٍ (٤)
 بِشَدَائِيسِي أَوْ بِشَدَوِ حَمَامٍ
 لَمْ يَخْلُ مِنْ وَاشٍ وَلَا نَمَامٍ
 كَيْفَ السُّلُوكُ مِنَ الزُّلَالِ الطَّامِي
 حُجْبًا مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ
 مَنْ ذَا يَزُورُ الْأَسْدَ فِي الْأَجَامِ
 لِأَبْسِ جَمَالِكُمْ وَحِفْظِ دِمَامِي
 مَا يَلْتَقِي فِي الْجَبْرِ مِنَ الْآلَامِ
 بِتَسْهُدِي الْجَفْنِ أَيْ زِحَامِ
 رُومٍ لَهُ مِئْنِي وَلَا إِشْمَامٍ (٥)
 عِنْدَ الْمُحِبِّ لَا تُكْبِرُ الْأَقْسَامِ
 مَمْشَى الْمَهَا وَمَرْتِعِ الْأَرَامِ (٦)
 مِثْلُكُمْ بَعَيْنِي عُرْوَةَ بَنِي حِزَامٍ (٧)
 دَرَّ الْمَدَائِحُ فِي أَجَلِ نِظَامِ
 لَمَّا عَدَوْتُ فِي الْفَضْلِ كَالْأَغْلَامِ
 فَكَأَنَّمَا الْأَزْهَارُ فِي الْأَكْمَامِ

(١) العقيق: موضع بظاهر المدينة. . العقيق الثانية: خرز أحمر.

(٢) الجمام: الموت.

(٣) منهل: منصب. الحيا: المطر. .

البهار: نبت طيب الريح.

(٤) الثمام: ضرب من الشجر.

(٥) الروم: الطلب، وفي اصطلاح القراء الروم حركة مختلصة مختلفة، وهي أكثر من الإشمام لأنها تُسمع. والإشمام في الحروف: أن تذيقيها الضمة أو الكسرة بحيث لا تُسمع ولا يُعتد بها، ولا تكسر وزناً.

(٦) أفر: أرمغ. المها: جمع المهاة: البقرة الوحشية. الأرام: جمع رثم: ظبي خالص البياض.

(٧) عروة: هو عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة، شاعر متيم غزل أحب ابنة عمه عفراء، مات سنة ٣٠هـ.

وَتَأْتَلَتْ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا بِهِمْ
وَحَمَى الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ
لَمَّا أَصَابَ بِهَا مَقَاتِلُ الْعِدَا
اللَّهُ وَقَفَّهَ فَوْقَ كُلِّ مَا
فَكَانَ مَا الْأَقْدَارُ فِي تَضَرُّفِهَا
وَصَلَ النَّهَارُ بِلَيْلِهِ فِي طَاعَةٍ
كُجِلَتْ بِتَقْوَى اللَّهِ مُقْلَتُهُ الَّتِي
يُنْمِيسِي وَيُضْبِحُ طَاوِيًا أَخْشَاءُ
عَجْبَالُهُ يَطْوِي حِشَاءَ عَلَى الطَّوَى
نَزَعَتْ وَمَا مُمَّتْ بِهِ النَّفْسُ الَّتِي
فَتَنَعُمُ الْأَرْوَاحُ لَيْسَ بِمُذْرَكٍ
قَرَنَ الْوِزَارَةَ بِالْوِلَايَةِ فَهُوَ فِي
فَاقَتْ مَنَاقِبُهُ الْعُقُولَ فَوَضَّفَهُ
فَقَرَّانِي فِي مَا أَتَتْ مِنْ مَذْجِهِ
أَوْ مَا تَرَاهَا رِقُّهَا يُحْلِي الْجَنَى
وَإِذَا رَعَتْ كَرَمَ الْمَكَارِمِ أَخْرَجَتْ
تَكْسُومَ حَاسِنَةِ الْمَدِيحِ جَلَالَةَ
يَهْتَزُّ لِلْمَجْدِ اهْتِزَّازَ مُثَقِّفٍ
كَلِيفَ بِإِسْدَاءِ الصَّنَائِعِ مُغْرَمٍ
يَزْتَاحُ إِنْ سُئِلَ النُّوَالُ كَأَنَّمَا
تَفْدِيهِ أَقْوَامُ كَأَنُّ وَجُوهُهُمْ
كَمْ بَيْنَ ذِكْرِ الصَّاحِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ
شَوْقًا لِمَا مَسَّتْ أَنَامِلُهُ فَيَا

عَلِيًّا تَخْلُقُ جِدَّةَ الْأَيَّامِ (١)
جَنَّبَاتِهَا مِنْ رَأْيِهِ بِحُسَامِ (٢)
عَلِمُوا بِأَنَّ الْقَوُوسَ فِي يَدِي
يَتَوَرَّعُ مِنْ تَقْضِي وَمِنْ إِبْرَامِ (٣)
مُنْتَقِذَةً لِمُرَادٍ وَبِزِمَامِ
وَصَلَاتِهِ مَوْضُولَةً بِصِيَامِ
لَمْ تَكُنْ تَجِلْ أَجْفَانُهَا بِمَنَامِ
كَرَمًا عَلَى سَغَبٍ وَخَرَّ أَوَامِ (٤)
وَتَحْضِيهِ التَّقْوَى عَلَى الْإِطْعَامِ
نَزَعَتْ عَنِ الشَّهَوَاتِ نَزْعَ مُهَامِ
إِلَّا بَتْرَكَ تَنَعُّمِ الْأَجْسَامِ
جَلَّ مِنَ التَّقْوَى وَمِنْ إِخْرَامِ
مَا لَيْسَ يُذْرَكَ فِي قَوَى الْأَفْهَامِ
كَالْتَّخْلِ يَأْتِي الزُّهْرُ بِالْإِلْهَامِ
وَبِنَاؤُهَا فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ
شَهْدَ الْمَدَائِحِ فِيهِ سُكْرُ مُدَامِ
فَيَجِلُّ فِيهَا قَدْرُ كُلِّ كَلَامِ
كَرَمًا وَيُنْتَدِبُ انْتِدَابَ حُسَامِ (٥)
لَا زَالَ ذَاكَ لَفٍ بِهَا وَغَرَامِ (٦)
وَرَدَتْ عَلَيْهِ بِشَارَةَ بَغْلَامِ
عِنْدَ السُّؤَالِ صَحَائِفُ الْآثَامِ
فَيُنَاوِذُ كِرَآوَلُنَاكَ الْأَقْوَامِ
هُوَ النَّضَارُ وَعِزَّةُ الْأَقْلَامِ (٧)

(١) تأمل: تأمل: تخلق: تلي.

(٢) الحسام: السيف.

(٣) الإبرام: الإحكام. والتقضي في البناء والعهد: ضد الإبرام.

(٤) طاوي: جاع. السغب: الجوع. الأوام: شدة العطش.

(٥) المثقف: الرمح المستوي. ينتدب: يدعى.

(٦) الصنائع: جمع الصنعة: المعروف.

(٧) النضار: الذهب.

أَكْرَمَ بِأَقْلَامِ عِدَا قَسَمِي بِهَا
فَكَمْ أَتَزَلَّتْ بِغَيْرِهَا لُضْرُورَةٌ
وَكَفَفْتُ أَمَالِي عَلَيْهَا جَاهِلًا
وَرَجَعْتُ عَنْهَا آيِسًا فَكَأَنَّمَا
زَانَ الْوُجُودَ بِخُمْسَةِ سَمَاهُمْ
فَتَشَابَهَتْ أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ
فَتَنَاءُ وَاجِدَهُمْ تَنَاءُ جَمِيعِهِمْ
مِثْلُ الثَّرَيَّا وَهِيَ عِدَّةُ أَنْجُمِ
أَبْنِي عَلِيٍّ كُلُّكُمْ حَسَنٌ أَتَى
فَتَحَثَّ بِهِ سُنَنُ الْعُلَاوِ فَرُوضُهَا
وَكَأَنَّكُمْ فِي فَضْلِكُمْ رَكَعَاتُهَا
إِنَّ الْعُلَا لَمْ تَسْتَقِمِ إِلَّا بِكُمْ
أَنْتُمْ أَنَامِلُهَا وَلَيْسَ لَهَا غِنَى
أَنْتُمْ قُورَى الْإِذْرَاكِ مِنْ إِخْسَاسِهَا
وَلَكُمْ بِأَصْحَابِ الْعِبَاءَةِ نِسْبَةٌ
حَامِيَتُهُمْ عَنْهُمْ وَحَامُوا عَنْكُمْ
فَاللَّهُ حَسْبُكَ يَا مُحَمَّدُ صَاحِبًا
يَا مَنْ أَعَارَ الْبَذَرَ مِنْ أَوْصَافِهِ
جَعَلَ الْإِلَهُ بِكَ الْخَمِيسَ مُبَارَكًا لَمْ
مُتَنَقِّلًا مِثْلَ الْبُذُورِ - أَرَا
جَاذَتْ عَلَى سُكَّانِ مِضَرَ غَيُومُهُ
صَدَقَتْ سِوَا جِلْهِمْ بُرُوقُ سُيُوفِهِمْ
وَعَقَدَتْ رَأْيَكَ فِيهِمْ فَلَقِيَتَهُمْ

مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَوْفَرَ الْأَقْسَامِ
فَكَأَنَّمَا اسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ (١)
فَكَأَنَّمَا عَكَفْتُ عَلَى الْأَصْنَامِ
رَجَعْتُ الرُّضْبُوعَ مُرَّوَعًا بِفِطَامِ (٢)
مِنْ أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ بِأَسَامِي
وَعَنُوعٍ الثَّغْرِ يَفِي بِالْأَغْلَامِ
فِي الْفَضْلِ لِلتَّفْخِيمِ وَالْإِذْغَامِ
يَدْعُونَهَا بِالنُّجْمِ لِلْإِعْظَامِ
فِي الْفَضْلِ مَنُشُوبٌ لِخَيْرِ إِمَامِ
فَكَأَنَّهُ تَكْبِيرُهُ الْإِخْرَامِ
مَخْتُومَةٌ بِتَحِيَّةٍ وَسَلَامِ
يَا خُمْسَةَ كَدَعَائِمِ الْإِسْلَامِ
عَنْ خُنْصِرٍ مِنْكُمْ وَلَا إِيْهِامِ
لَمْ تَفْتَقِرْ مَعَكُمْ إِلَى اسْتِفْهَامِ
تَبَعِيَّةٍ بِتَنَاسُبِ الْإِفْدَامِ (٣)
إِنَّ الْكَرِيمَ عَنِ الْكَرِيمِ يُحَامِي
وَمُؤَاوِزٍ أَفِي رِخْلَةٍ وَمُقَامِ
حُسْنِ الْمُحَيَّاوِ الْمَحَلِّ السَّامِي
حَرَكَاتٍ فِي الْإِنْجَادِ وَالْإِثْهَامِ (٤)
بِنْدَاكَ فِي الْأَفَاقِ سَيْرَ غَمَامِ
وَدَهَتْ صَوَاعِقُهُ فَرْنَجَ الشَّامِ
وَتَعَاهَدَتْ مِنْهَا حِصَادَ الْهَامِ (٥)
فَرْدًا بِجَيْشٍ لَا يُطَاقُ لُهَامِ (٦)

(١) الْأَزْلَامُ: جمع الزَّلم: القُدح. والسهم من السهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية.

(٢) أَيْس: قنط.

(٣) يريد بأصحاب العباءة: النبي صلى الله عليه وسلم، والإمام علي، والحسن والحسين وفاطمة.

(٤) الخميس: الجيش. الإنجاد: أن تأتي نجداً. والإثهام: أن تأتي بهامة.

(٥) الهام: جمع الهامة: القامة، أو الرأس.

(٦) لُهام: عظيم.

أطفأت نيران الوغى بدمائهم
وأذقت بالرمح الصميم كماتها
ولبست فيها سابغات عزائم
فتحت بهمتك القلاع وخصنت
لله أعلام الوزير فإلها
تسجت برود بلاغتيه وأبدت الـ
فالنظم مثل جواهر بقلائد
وإذا نظرت إلى مواقع نفشها
ورثت مكارمه بنوءه فحبذا
ما كان إلا الشمس فضلا أغقبت
أوليس أحمد بفعده ومحمد
فليهن هذا أن هذا صثورة
ضاهتكمافي المكر مات بنوهم
بأبيه كل يقتدي ويعمه
مولاي زين الدين يامن جودة
أمامقامك في الصلاح فإنه
بم زاده عنك أبو يزيد وقد عثت
لما عملت بما علمت مراقباً
طوحت بالدينا وقلت لها الحقي

ولها بقرع السنبع أي خصرام
طعم الرذی والصارم الصنصام^(١)
تغني الكماة عنه أذراع اللام^(٢)
فأبى تناولها على المستام
نظم العلأ ومهاتج الإظلام
إبداع في الأساد والآجام^(٣)
والنشر مثل أزهري بكرم
في الطرس قلت أخله الرمام^(٤)
كرم السجايامن ثراث كرام^(٥)
من وارثيه بكل بذر تمام
بلغا من العلواء كل مرام
وكلاهما لأبيه حد حسام^(٦)
والشبل فيما قيل كالضرغام^(٧)
من أكرم الأباء والأغمام
كنز العفاة ومهلك الإعدام^(٨)
فيما علمناه أجل مقام
مضر مفضلة على بسطام^(٩)
لله في الإقدام والإخجام
بمعاشير الوزراء والحكام^(١٠)

(١) الصميم: الخالص. الكماة: جمع الكمي: المدجج بالسلاح. الصمصام: السيف لا يشي.

(٢) سابغات: جمع سابعة: زائدة وافية. أذرع: لبس الدرع. اللام: جمع اللامة: الدرع.

(٣) الآجام: جمع الأجمة: الشجر الكثيف.

(٤) الطرس: الصحيفة. أخله: جمع خلال: ما خلّه به أي ثقبه ونقّده. الرمام: من قولك رم برم: أصلح يصلح.

(٥) السجايامن: جمع السجاية. الطبيعة.

(٦) الصنو: الأخ الشقيق، والابن، والعم.

(٧) الشبل: صغير الأسد. الضرغام: الأسد.

(٨) العفاة: جمع العافي: طالب الرزق. الإعدام: الحاجة.

(٩) أبو يزيد البسطامي هو طيفور بن عيسى، ولد في بسطام من أعمال خراسان، كان زاهداً متصوفاً مات سنة ٢٦١ هـ.

(١٠) طوحت بالدينا: قذفت بها.

وَتَحَبَّبْتُ مَا لَمْ يُنَسِّنْ مِنْ لَذَائِهَا
مَوْلَايَ عُنْدَ رَأْفِي الْقَرِيبِ فَلَيْسَ لِي
لَوْلَمْ أَرْضْ عَقْلِي بِمَكْتَبِ صَبِيَّةٍ
مَا زِلْتُ أَرْغَبُ أَنْ أَكُونَ مُعَلِّمًا
فَذَصَارُ كُتَّابِي وَتَبَيَّنِي مِنْ بَنِي
أَعْطَيْتُهُمْ عَقْلِي وَأَخَذُوا عَقْلَهُمْ
لَوْ أَنَّ لِي عَنْ كُلِّ طِفْلٍ مِنْهُمْ
لَضَرَبْتُ لِلْأَمْثَالِ لَابْنِ نَفَايَةِ
وَتَلَبَّيْتُ عِزَّ بُلَيْثٍ بِمَقَاتِلِهَا
جَعَلْتُ بِإِفْلَاسِي وَشَيْبِي حُجَّةَ
بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ الْعِتِي وَتُكَّسْتُ
إِنْ زُرْتُهُا فِي الْعَامِ يَوْمًا أَتَتْجَتْ
أَوْ هَذِهِ الْأَوْلَادُ جَاءَتْ كُلُّهَا
وَأُظِنُّ أَنَّهُمْ لِعُظْمِ بَلِيَّتِي
أَوْ كُلُّ مَا حَلِمْتُ بِهِ
يَا لَيْتَهَا كَانَتْ عَقِيمًا آيِسًا
أَوْ لَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجِي بِهَا
أَوْ لَيْتَنِي بَعْضَ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ
كَيْفَ الْخَلَاصُ مِنَ الْبَنِينَ وَمِنْهُمْ
لَمْ يُرْزَقِ الرِّزْقَ الْمُقِيمُ بِأَهْلِهِ
فَارْقَتْهُمْ طَلَبُ الرِّزْقِ قِهِمْ فَلَا
مَنْ كَانَ مِثْلِي لِلْعِيَالِ فَإِنَّهُ
أَضْبَحْتُ مِنْ حَمْلِي هُمُومُهُمْ عَلَى
فَإِنْ اغْتَدَزْتُ لَهُمْ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي
كَالشَّيْبِ يُغْدِقُ بِالْهُمُومِ ذُنُوبَهُ

وَعَدَدْتُهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَثَامِ
فِي النُّظْمِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنَ الْعَمَامِ
حَمِيَّتُ عَلَيَّ عَوَارِضُ الْبِرْسَامِ^(١)
فَيَكُونُ فَضْلِي مُكْمِلُ الْإِعْلَامِ
غَيْرِي وَأَبْنَائِي كَبُرْجِ خَمَامِ
فَأُبَيِّعُ نَوْرِي مِنْهُمْ بِظِلَامِ
أَوْ طِفْلَةٍ شَاءَ مِنَ الْأَنْعَامِ
مِنْ كَثْرَةِ الْأَبْقَارِ وَالْأَغْنَامِ
وَالْبَغْلُ مَمْقُوتٌ بِغَيْرِ قِيَامِ^(٢)
إِذَا صِرْتُ لِأَخْلَفِي وَلَا قُدَامِي
فِي الْخَلْقِ وَهِيَ صَبِيَّةُ الْأَرْحَامِ
وَأَتَتْ لِسِيَّةَ أَشْهُرٍ بِغُلَامِ
مِنْ فِعْلِ شَيْخٍ لَيْسَ بِالْقَوَامِ
حَمَلْتُ بِهِمْ لِأَشْكَ فِي الْأَحْلَامِ
مَنْ لِي بِأَنَّ النَّاسَ غَيْرُ نِيَامِ
أَوْ لَيْتَنِي مِنْ جُمْلَةِ الْخُدَامِ
لَوْ كُنْتُ بِغَتْ حَلَالَهَا بِحَرَامِ
مِمَّنْ يُحْصَنُ دِينَهُ بِغُلَامِ
قَوْمٍ وَرَائِي وَآخِرُونَ أَمَامِي
فَشَكُّوا عَنَابُغْدِي وَفَقَرُ مَقَامِي
صَرَفِي يَسُرُّهُمْ وَلَا اسْتَبْخَدَامِي
بَعْلُ الْأَرَامِلِ أَوْ أَبْوَالِ الْيَتَامِ^(٣)
هَرَمِي كَأَنِّي حَامِلُ الْأَهْرَامِ
مَدْحِي الْوَزِيرُ فَحُجَّةُ الْأَقْدَامِ
وَالذُّنْبُ فِيهِ لَكَثْرَةُ الْأَغْوَامِ

(١) البرسام: حيلة يهذى فيها.

(٢) البرس: امرأة الرجل. المقت: الكره.

(٣) البعل: الزوج، ومالك الشيء.

لَا يَلْزَمُكَ لَهْمُ جَوَادٍ خَلَاةٍ مَا زَالَ يَجْمَعُ بِي بَغِيرَ لَجَامٍ^(١)
 إِنِّي أَمَرْتُ مَا مَدَّ عَيْنٌ خَلَاةً نِي طَمَعٌ لِي بِبَنَارٍ وَلَا دِزْمَامٍ
 وَإِذَا مَدَّ حَتَّ الْأَكْرَمِينَ مَدَّ حَتَّهُمْ يَجْوِيزُ الْإِفْرَازَ وَالْإِكْرَامَ
 فَاصْفَحْ بِجَلْمِكَ عَنْ لَوَائِي الشَّيْ حَظِيثٌ لَدَيْكَ بِأَوْفَرِ الْأَقْسَامِ
 إِنَّ يُخَيِّرِي جُودَكَ لِي أَبَا ذَلْفٍ هَذَا خِيَالُهُ فَضْلِي أَبَا ثَمَامٍ
 وَقَالَ يَهْجُو جَمَاعَةَ سَرَقُوا حِمَارَهُ :

مستخدمون وشياطين

أَرَى الْمُسْتَخْدَبِينَ مَشَوْا جَمِيعاً عَلَى غَيْرِ الصُّرَاطِ الْمُسْتَفِيمِ
 مَعَاشِرُ لَوْ لَوَاجِعَاتٍ عَذِينَ لَصَارَتْ مِنْهُمْ نَارُ الْجَحِيمِ
 فَمَا مِنْ بَلَدَةٍ إِلَّا مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ أَكُلُ شَيْطَانٍ رَجِيمِ
 فَلَوْ كَانَ لِلْجُودِ لَهَا جُورُماً إِنَّ خَلَّتِ السَّمَاءُ مِنَ الْجُودِ^(٢)

وقال أيضاً لما دخل إلى المَعْلَةَ وَعَزَمَ^(٣) عليه بنو هَرَامٍ على دخول الحمام فأدخلوه . فقال : [السريع]

لا تخذلوني

كُونُوا مَعِيَ غَوْنًا عَلَى الْأَيَّامِ لَا تَخْذُلُونِي يَا بَنِي عَرَامٍ
 إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ وَحَاشَا فَضْلَكُمْ ضُرِّي فَحَسْبِي زَلَقَةُ الْحَمَامِ^(٤)

وقال وكتب بها للجناب العالي السابقي، ييسر له في حق القاضي عماد الدين أبي طلحة رحمهم الله أجمعين : [المجتث]

ما في الزمان

مَا فِي الزُّمَانِ جَوَادٌ يُزَجِّي لِذَقِّ الْعِظَانِ

(١) يجمع الفرس : يعتز فارسه ويغلبه .

(٢) الرُّجُوم : جمع الرُّجْم : اسم ما يرجم به . والرُّجْم : القذف ، والقتل .

(٣) لي الأصل : وعزموا .

(٤) الضَّر : الضَّرر .

وَلَا إِلَهَ إِلَّا نِيْلُ مُرَادٍ
 سِوَاكَ يَا خَيْرَ رَوَالٍ
 انْظُرْ بِحَقِّكَ حَالِي
 إِنَّ السَّيِّئَ مَا ذَارَانَا
 وَلَيْسَ يَرْجُو ثَوَابًا
 وَلَيْسَ يَخْشَى عَلَيْهِ
 وَضُوءُ مُنَافِي أَتْبَاعٍ
 فَخُذْ لَنَا الْيَوْمَ مِنْهُ

وَلَا إِلَهَ إِلَّا السَّمَكَارِمُ
 يُدْعَى وَيَا خَيْرَ حَاكِمِ
 فَأَنْتَ بِالسَّحَالِ عَالِمُ
 بِأَنْتَ الْيَوْمَ صَائِمُ
 وَلَا يَخَافُ مَائِمُ
 أَنْ لَا يَصِيَامَ لظَالِمِ
 لَهُ صِيَامُ الْبَهَائِمِ^(١)
 غَدَاءُ نَاوُفٍ وَرَاغِمِ

ومن قوله يمدح الأمير سنجر الشجاعني الذي أشرف على بناء المدرسة المنصورية
 والمارستان المنصوري سنة ٦٨٤هـ^(٢) : [الكامل]

قافية النون

أَنْشَأَتْ مَدْرَسَةً وَمَارِسْتَانَا لِتُصَحِّحَ الْأَجْسَامَ وَالْأَبْدَانَا

وقال : [الرَّمْل]

أشرقت الأكوان

سَارَتْ الْعَيْسُ يُرْجَعْنَ الْحَنِينَا
 دَامِيَاتٍ مِنْ خَفَى خَفَافُهَا
 وَعَلَى طُولِ طَوَاهَا حُرْمَتْ
 كُلَّمَا جَذَبَهَا الْوَجْدُ إِلَى
 قُلْتُ لِلْحَادِي أَعِذْ أَشْوَاقَهَا
 وَجَاذِبْنَ مِنَ الشُّوقِ الْبُرِينَا^(٣)
 تَقَطَّعَ سُهُولًا وَحُرُونَا^(٤)
 عُشْبَهَا الْمُخَضَّرُ وَالْمَاءُ الْمَعِينَا^(٥)
 غَايَةً لَمْ تَذَرِهَا إِلَّا ظُنُونَا
 بِالسُّرَى إِنَّ مِنَ الشُّوقِ جُنُونَا^(٦)

(١) يريد أنه جوع فقط.

(٢) المقفى للمقريزي : ٢٥٠. والمارستان والمدرسة بناهما السلطان قلاوون.

(٣) العيس : جمع العيساء : الناقة البيضاء. البُرين : جمع البرة وهي حلقة توضع في أنف البعير ويشد بها الزمام.

(٤) البيند : جمع البيداء : القلاة.

(٥) الماء المعين : الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض.

(٦) السرى : السير عامة الليل. الحادي : الذي يسوق الإبل.

أَوْ مِنْ يَزُومُ بِهِ ابْنُ كَيْ دَمًا
 اسْرَتْ أَلْبَابُنَا لِمَا سَرَتْ
 كُلُّ سَمَرٍ وَمَا أَنْصَفَتْهَا
 أَغْدَتِ الْقَلْبَ فُتُورًا وَضَنَى
 تُغْرِهَا الدُّرَى مِنْ أَنْفَاسِهِ
 أَخَذَتْ قَلْبِي وَصَبْرِي وَالْكَرَى
 لَا أَقَالَ اللَّهُ لِي مِنْ حُبِّهَا
 صَاحِبِي قَفَاسِي فَإِنِّي لَمْ أَجِدْ
 وَسَلِ الرَّبْعَ الَّذِي سَكَّاهُ
 نَسَخَتْ آيَاتِهِ أَيْدِي الْبِلَى
 وَجَنُوبٌ وَشِمَالٌ جَعَلَا
 فَتَرَاهُ وَخَصَاهُ أَبَدًا
 سَحَبَتْ فِيهِ الصُّبَا أَذْيَالَهَا
 أَخَمَدَ الْهَادِي الَّذِي أَمَّتُهُ
 كَانَ سِرًّا فِي ضَمِيرِ الْغَيْبِ مِنْ
 تُشْرِقُ الْأَنْكُوانُ مِنْ أَنْوَارِهِ
 أَسْجَدَ اللَّهُ لَهُ أَمْلَاكُهُ
 وَدَعَا آدَمَ الْمُضْطَفَى
 فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
 وَبِهِ جَنَّاتٌ عَذْنٌ رُفِعَتْ
 وَدُعُوا أَنْ تَلُكُمُ الدَّارُ لَكُمْ

إِنَّ لِلْمَجِيسِ وَلِي فِيهِ شُرُونَا
 تَحْمِلُ الْخُسْنَ بُدُورًا وَغُصُونَا
 فَضَحَتْ سُمُرَ الْقَنَا لُونَا وَلِينَا
 لَيْتَهَا مِنْ وَسَنٍ تُعِيدِي الْجُفُونَا ^(١)
 مِسْكُ دَارِينَ وَخُمْرُ الْأَنْدَرِينَا ^(٢)
 يَوْمَ بَيْعِي النَّفْسَ مِنْهَا أَرْبُونَا ^(٣)
 بَيْعَةٌ يَوْمًا وَلَا فَكَّ رَهُونَا ^(٤)
 لِي عَلَى الْوَجْدِ وَلَا الصَّبْرُ مُعِينَا
 رَحَلُوا عَنْهُ عَسَاهُ أَنْ يُبِينَا
 فَارَتْ عَيْنِي مِنْهُ الصَّادِشِينَا
 تُزِنُهُ فِي جَنْبَةِ الدُّهْرِ غُضُونَا ^(٥)
 يَفْضُلَانِ الْمِسْكَ وَالذُّرَّ الثَّمِينَا ^(٦)
 بِمَدِيحِي لِإِمَامِ الْمُزْ سَلِينَا ^(٧)
 رَضِيَ اللَّهُ لَهَا الْإِسْلَامَ دِينَا
 قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ كَوْنٌ أَوْ يَكُونَا
 كُلَّمَا أَوْدَعَهَا اللَّهُ جَبِينَا
 يَوْمَ خَرُّوا لِأَبِيهِ سَاجِدِينَا ^(٨)
 دَعَا قَالَتْ لَهَا الصُّدُقُ آمِينَا
 كَلِمَاتٍ هُنَّ كَنْزُ الْمُذْنِبِينَا
 عَلَمًا أَبْوَابُهَا لِلْمُسْلِمِينَا
 فَادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَا

(١) الوسن: النعاس.

(٢) الأندرين: موضع بالشام. دارين: موضع بالبحرين.

(٣) الكرى: النعاس. الأربون: العربون.

(٤) أقال البيع: فسخه.

(٥) غُضُونُ الْأَذْنِ: مَثَانِيهَا.

(٦) الثرى: التراب الندي.

(٧) الصُّبَا: رِيحٌ مَهَبُهَا مِنْ مَطْلَعِ الثَّرِيَا إِلَى بَنَاتِ نَعَشٍ.

(٨) يريد حين خلق الله آدم وأمر الملائكة أن يسجدوا له.

وَبِهِ نُوحٍ دَعَا فِي فُلْكَهِ
 وَأَغَاثَ اللَّهُ ذَا النُّونِ بِهِ
 وَشَفَى أَيُّوبَ مِنْ ضُرِّ كَمَا
 وَخَلِيلَ اللَّهِ هَمَّتْ قَوْمُهُ
 وَيُثِيرُ الْمُضْطَفَى إِطْفَاءً مَا
 وَجَدْتُهُ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ فِي
 مَضْرُ الرُّحْمَةِ لِلْخَلْقِ فَلَا
 خَتَمَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ بِهِ
 فَهُوَ فِي آبَائِهِمْ خَيْرُ آبٍ
 قَدْ غَلَا بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ غُلًّا
 وَرَأَى مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ الَّذِي
 وَوَجَّهًا كَانَ مُوسَى عِنْدَهُ
 صَلَوَاتُ اللَّهِ ذِي الْفَضْلِ عَلَى
 أَكْرَمِ الْخَلْقِ هُمُ الرُّسُلُ لَنَا
 فَتَعَالَى مَنْ بَرَأ صُورَتَهُ
 رَاضٍ طَفَى مَخْتِدَهُ مِنْ دَوْحَةِ
 مِنْ أَنْسِ جَائِبَتْ أَخْسَابُهُمْ
 مَا زَأَيْنَا كَرَمَ الْأَخْلَاقِ فِي
 يَغْضَبُ الْمَوْتُ إِذَا مَا غَضِبُوا
 مَفْشَرُ صَانَهُمُ الْآلُ لَأَنَّ
 هَذَبَ السُّؤْدُودُ أَخْلَاقَهُمْ
 عَجَبًا وَالْمُضْطَفَى الشَّمْسُ الَّذِي
 شَهِدَ الْكُفَّارَ بِالْغَيْبِ لَهُ

فَأَغَاثَ اللَّهُ نُوحًا وَالسُّفِينَا
 بَعْدَ مَا أَغْرَى بِهِ فِي الْبَحْرِ نُونًا
 سَرَّ يَعْقُوبَ وَقَدْ كَانَ حَزِينًا
 أَنْ يَكِيدُوهُ فَكَانُوا الْأَخْسَرِينَ^(١)
 أَوْقَدُوهُ وَتَوَلَّوْا مُذْبِرِينَ
 كُلُّ فَضْلٍ وَاجِدًا مَا يَجِدُونَا
 عَجَبٌ أَنْ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
 قَبْلَ أَنْ يَجْبُلَ مِنْ آدَمَ طِينًا
 وَهُوَ فِي أَبْنَائِهِمْ خَيْرُ الْبَنِينَ
 رَجَعَتْ مِنْ دُونِهَا الرُّوحُ الْأَمِينَا^(٢)
 رَدُّ مُوسَى دُونَهُ مِنْ طُورِ سِينَا^(٣)
 مِثْلَمَا قَدْ كَانَ جَبْرِيلُ مَسْكِينَا
 رُسُلَ اللَّهِ إِلَيْنَا أَجْمَعِينَ
 وَأَبُو الْقَاسِمِ خَيْرُ الْأَكْرَمِينَ
 مِنْ جَمَالِ أَوْدِغِ الْمَاءِ الْمِهِينَا^(٤)
 أَنْبَتَتْ أَفْنَانُهَا عِلْمًا وَدِينَا^(٥)
 طَرُقَ الدَّمُ شِمَالًا وَيَمِينَا
 غَيْرَ مَا يَأْتُونَهُ أَوْ يَدْعُونَا
 وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَا
 يُودِعُونَا مِنْ أَحَمَدِ السُّرِّ الْمَصُونَا
 فَلَهُمْ مِنْ شَرَفٍ مَا يَدْعُونَا^(٦)
 ظَهَرَتْ أَنْوَارُهُ لِلْمُبْصِرِينَ
 وَأَنَاهُمْ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسونَا^(٧)

(١) ذو النون: يعني النبي يونس عليه السلام. والنون: الحوت.

(٢) خليل الله: يعني النبي إبراهيم عليه السلام.

(٣) الروح الأمين: جبريل عليه السلام.

(٤) يريد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى الله تعالى بقلبه.

(٥) المحتد: الأصل. الدوحة: الشجرة الكبيرة.

(٦) السؤدد: السيادة.

(٧) مبلسون: منكسرون.

أَعْلَمُوا بِأَبَابِ الْهُدَى مِنْ دُونِهِمْ
وَعَمُوا عَنْهُ فَلَا وَاللَّهِ مَا
وَأَتَانَهُمْ بِكِتَابٍ أَخْبَرَهُمْ
سَمِعْتُهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ فَمَا
عَجَزُوا عَنْ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ
قَالَ لِلْكَافِرِ إِذَا فَعَمَهُمْ
قَصُّ مَا يَأْتِي عَلَيْهِمْ مِثْلَمَا
وَأَنْتَ أَخْبَارُهُ فِي حُكْمِ
قَسَمِ الرَّخْمَةِ فِي قُرَائِهِ
مَالَهُ مِثْلٌ وَفِي أَمْثَالِهِ
رَجِمَ اللَّهُ بِهِ الْخُلُقَ وَكَمِ

بَعْدَ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَفْتِحُونَا
تَنْفَعُ الشَّمْسُ لَدَى الْقَوْمِ الْعَمِينَا
مِنْهُ آيَاتُ الْقَوْمِ يَعْقِلُونَا
أَنْكُرُوا مِنْ فَضْلِهِ الْحَقُّ الْمُبِينَا
فَهُمْ الْيَوْمَ لَهُ مُسْتَسْلِمُونَا
بِالتَّحْدِي مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَا^(١)
قَصُّ أَخْبَارِ الْقُرُونِ الْأُولِينَا
فَتَأْمَلْهَا ثَمَّ أَوْ فُتُونَا
وَعَذَابُ الْخِزْيِ فِي الْمُسْتَقْسِمِينَا^(٢)
أَبْدَامُوعِظَةٍ لِلْمُتَّقِينَا
أَمَلَكَ اللَّهُ بِآيَاتٍ قُرُونَا^(٣)

وقال على لسان مسجد الشيخ عبد الظاهر، إلى الملك الصالح؛ وكان قد أخرج
ثلاثة آلاف دينار صدقة على طلبة المدارس، وفرض أمرها إلى الفقيه بهاء الدين
المسردى، فقوض أمرها إلى والده الشهاب رحمه الله تعالى؛ [الخفيف]

يد الخيانة

لَيْتَ شِغْرِي مَا مُفْتَضَى جِزْمَانِي
أَتَرَانِي لَا أَسْتَجِيقُ لِكُونِي
أَمْ لِكُونِي فِي إِثْرِكُلْ صَلَاةٍ
وَيَأِيَّ الْأَسْبَابُ يُغْطِي ۚ كَانُ
حُمِلْتُ مِنْ عَطَائِهِ أَلْفُ دِينَارٍ
مَا أَتَانِي مِنْهَا وَلَا الدُّزْهَمُ الْفَرْ
زَعَمَ ابْنُ الْبَهَاءِ أَنْ عَطَايَا الْمَم
مَا كَفَتْ سَائِرَ الْمَدَارِسِ أَوْضُ

دُونَ غَيْرِي وَالْإِلْفُ لِلرَّحْمَنِ
جَامِعًا شَمْلَ قَارِنِي الْقِرَانِ
بِي يُدْعَى لِدَوْلَةِ السُّلْطَانِ
صَدَقَاتِ السُّلْطَانِ دُونَ مَكَانِ
رِأْسِنَا مِنْ بَعْدِهَا أَلْفَانِ
دُوهُدَا حَقِيقَةُ الْعُذْوَانِ
لِمَلِكِ الصَّالِحِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
مُ إِلَيْهَا مِنْ مَالِهَا دِزْهَمَانِ

(١) أفحمهم: أسكتهم.

(٢) المستقسمون: يعني كفار قريش، إذ كانوا يستقسمون بالقداح والسهم.

(٣) القرون: جمع القرن: الأمة التي هلك.

وَلَعَمْرِي لَقَدْ تَوَقَّرْتُ نَصْفَ الْإِنْكَارِ مَا أَقُولُهُ مِنْهُ دَعْوَى
أَوْ مَا كَانَ عِدَّةَ الْفُقَهَاءِ أَلَمْ
فَاخْبُوهَا بِمُقْتَضَى الصُّرْفِ دِينَا
تَجِدُوهَا أَلْفًا وَخَمْسَ مِثَالٍ
وَالْبَخَّاسِ الَّذِي أُضِيفَ إِلَى الدُّنْيَا
أَنَّهُ لَا أَنْسَبَ الْبَهَاءِ عَلَى ذَا
هُوَ وَلِي أَهْلُ الْخِيَانَةِ فِيهَا
كُلَّمَا جَاءَتِ الدُّنْيَا نِيرَانُ
مَدْفِيهَا يَدُ الْخِيَانَةِ فَا مَتَّ
وَلَعَمْرِي لَوِ اتَّقَى اللَّهُ فِي السُّرِّ
وَعَلَى كُلِّ حَالَةٍ أَخَمَدُ اللَّهَ
فَلَقَدْ خَلَّ فِي الْمَدَارِسِ فِي الْأَخْذِ
وَأَزِيلَتْ بِالسُّبِّ أَغْرَاضُ مَنْ فِيهَا
كَيْفَ أَنْسَى قَوْلَ الشَّهَابِ جَهَاراً
خَدَعُونَا وَاللَّهُ مِمَّا يُمْدُو
أَوْ أَضْيَعَةُ الْمَسَاكِينِ إِنْ وَلِي

حَالٍ مِنْهَا وَزَاخٍ فِي التَّنْصِيانِ
فَاطْلُبُونِي عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
فَقِيهِ مِنْ بَعْدِهَا مَائَتَانِ
رَأَوْنِي لِنَجْلَةِ الْأَغْيَانِ
غَيْرَ مَا خَصَّهَا مِنَ الثَّقَافَانِ
مَقَّةً وَالْبَخْسِ مِنْ يَدِ الْوَزَانِ^(١)
لِسْكَ إِلَّا لِقَلَّةِ الْإِيمَانِ
وَتَوَلَّى الْجَوَادُ كَالْخَوَانِ
مَقْضٍ عَلَيْهَا الْبَهَاءُ كَالشَّيْطَانِ
مَدَّ إِلَيْهِ بِالذَّمِّ كُلَّ لِسَانٍ
أَتَقَشَّهَ الْأَنَامُ فِي الْإِغْلَانِ
الَّذِي مِنْ سُؤَالِهِ أَغْفَانِي
كَثْرَةُ الْأَذَى وَالْهَوَانِ
فَمَا قَامَ الرِّبْحُ بِالسُّخْرَانِ
قَبَّحَ اللَّهُ كُلَّ ذِي طَيْلَسَانِ^(٢)
نَ أَكْفَأَكَ كِفَّةَ الْمِيزَانِ
أَمْرَ الطَّعَامِ فِي رَمَضَانِ

وكان له صديق يعرف بالحشاء، له غلام حبشي ملبح الصورة. وكان شخص
بدمي، سليمان المفتش يحب ذلك العبد، فحذره البوصيري من سليمان المذكور، وقال
له ما بلغه من خبر حبه للعبد. فقال له: أنا عبدي شيطان، ما أخاف عليه؛ فقال
البوصيري: ^(٣) [البسيط]

كم قلت

كَمْ قُلْتُ لِلْأَكْرَمِ الْحَشَاءِ أَنْصَحُهُ
فَقَالَ عَبْدِي عَقْرِيْتُ فَقُلْتُ لَهُ
بَأَنَّ عَبْدَكَ مُخْتَاJ لِقَانِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهِ مِنْ سُلَيْمَانِ

(١) البَخْسُ: التَّنْقِصُ.

(٢) الطَيْلَسَانُ: هَرَبٌ مِنَ الثِّيَابِ أَسْوَدَ.

(٣) الْمُقْلَى لِلْمَقْرِزِيِّ: ٢٣٢.

ومن قوله ؛ وكان الملك الظاهر قد أمر بكسر أوعية الخمر ، وشده لبها ^(١) : [الوالد]

خوف الجن

نَهَى السُّلْطَانُ عَنْ شُرْبِ الْحُمَيَّا وَصَيَّرَ خَدْمَهَا خَدَّائِي
فَمَا جَسَرَتْ مُلُوكُ الْجِنِّ مِثْلَهُ لِيُخَوِّبَ الْقَتْلُ تَدْخُلَ فِي الْفَتَايِي

وقال يهجو عامل أسوان : [البسيط]

حُب المناصب

انْظُرْ بِحَقِّكَ فِي أَمْرِ الدَّوَاوِينِ فَالْكُلُّ قَدْ غَيَّرُوا وَضَعَ الْقَوَانِينِ
لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ إِلَّا تَقْيِيرٌ مِنْ عَالٍ إِلَى دُونِ
الكَاتِبُونَ وَلَيْسُوا بِالْكَرَامِ فَمَا مِنْهُمْ عَلَى الْمَالِ إِنْسَانٌ بِمَا مُونِ
وَالْكُلُّ جَمْعًا يَبْدُلُ الْمَالَ قَدْ خَدَمُوا وَمَا سَمِعْنَا بِهِذَا غَيْرَ ذَا الْجِينِ
فَهُمْ عَلَى الظَّنِّ لَا التَّحْقِيقِ بَذَلُهُمْ وَمَا تَحَقَّقَ أَمْرٌ مِثْلَ مَظْهُونِ
نَالُوا مَنَاصِبَ فِي الدُّنْيَا وَآخِرَ جَهَنَّمَ حُبُّ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا عَلَى الدِّينِ
قَدْ طَالَ مَا طَرِدُوا عَنْهَا وَمَا انْطَرَدُوا إِلَّا وَقَوْمٌ عَلَيْهَا كَالذُّبَابِ
وَطَالَ مَا قَطَعَ أَذْنَابُ الْكِلَابِ لَهُمْ فَاسْتَخْدِمُوا بَعْدَ تَقْطِيعِ الْمَصَارِينِ
قَدْ يَنْفَعُ النَّاسَ حَتَّى الْحَشُّ مِنْ غَرَضٍ وَغَيْرُهُ مِنْ رِيَا جِينٍ وَبَشِينِ ^(٢)
ضُمَّانُ رِيحٍ يَطِيرُ فَوْقَ طَائِرِهِمْ يَطِيرُ وَالرَّيْحُ شَيْئًا بِمَضْمُونِ
لَوْ أَمَكَنَّ الْقَوْمَ وَزَنَ الْمَالَ لَاتَّخَذُوا لَهُ الْمَوَازِينَ مِنْ بَعْدِ الْقَبَائِينِ
وَمَسَحَهُمْ لِلْسَّمَوَاتِ الْعُلَى افْتَعَلُوا فِيهَا كَمَا يَفْعَلُ الْمَسَاحُ لِلطَّيْنِ
وَلَمْ يُبَالُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ مِنْ أَحَدٍ كَلَّا وَلَا يَرْجُمُ لِلشَّيَاطِينِ ^(٣)
عَزَّوَأَكْرَمَهُمْ قَوْمٌ لِحَاجَتِهِمْ مَا نَالَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْعِزُّ مِنْ هُونِ ^(٤)
وَطَاعُوا النَّاسَ بِالْأَقْلَامِ وَاسْتَلَبُوا مِنْهُمْ بِهَا كُلَّ مَعْلُومٍ وَمَكْنُونِ ^(٥)

(١) المقفى للمقريزي : ٢٥٠ .

(٢) الحش : الودى من النخل . بشين : ضرب من الأزهار .

(٣) الرجوم : جمع الرجم : ما يُرجمُ به ، والرجم : الظن .

(٤) الهون : الهوان .

(٥) مكنون : مستور .

وَمِنْ زُرُوعٍ وَمَكْيُوسٍ وَمَزُونٍ
 حَزْبُ الْبَسُوسِ وَحَزْبُ يَوْمٍ صَفِينٍ^(١)
 مُقْصَلَاتٍ بِأَسْمَاءٍ وَتَنْبِيِينِ
 مِنَ الْحَقُوقِ وَمَاذَا وَقَّتْ تَغْيِيِينِ
 فَلَسْتُ أَوْلَ مَقْهُورٍ وَمَقْبُورٍ
 بِهَا يَسْفُونَ أَمْوَالَ السَّلَاطِينِ^(٢)
 لِلشَّيْخِ يُوْسُفَ أَبِي هَبْنِصِ بْنِ لَطْمِينِ
 يَجْلُو الْعُقَارَ بِأَجْناسِ الرِّيحِ حِينِ^(٣)
 وَلِلْخُرُوقِ الْكَثِيرَاتِ الثَّلَاوِينِ
 غِلْمَانُهُمْ خَلْفُهُمْ فَوْقَ الْبِرَازِينِ^(٤)
 وَلِلْمَنَاطِقِ فِيهَا وَالْهَمَائِينِ^(٥)
 وَلِلْبَسَاتِينِ تُنْشَأُ وَالذَّكَائِينِ
 يَارِ الدُّجَاجِ وَأَنْوَاعِ السَّمَائِينِ^(٦)
 تَمْوَرُ فَوْقَ رُخَامٍ فِي الْأَوَائِينِ^(٧)
 وَلِلطَّنَافِسِ فِي أَيَّامِ كَأُونِ^(٨)
 تَفْنُنُ الْقَرْمُ فِيهَا كُلُّ تَفْنِينِ
 فِيهَا الْعِرَاقِي مَعَ الْهِنْدِيِّ وَالْبُونِي
 مِثْلُ فَمِنْ مُودَعٍ سَقْفًا وَمَذْقُونِ

وَمِنْ مَواشٍ وَأَطْيَارٍ وَأَنْيَّةٍ
 لَهُمْ مَوَاقِفُ فِي حَزْبِ الشُّرُورِ كَمَا
 لَا يَكْتُبُونَ وَصُولَاتٍ عَلَى جِهَةٍ
 إِلَّا يَقُولُونَ فِيمَا يَكْتُبُونَ لَهُ
 فَاسْمَعْ وَكَاسِرُ وَحْسِ الرِّيحِ يَافِطْنَا
 هُمُ اللَّصُوصُ وَمِنْ أَقْلَامِهِمْ عُثْلُ
 وَكُلُّ ذَلِكَ مَضْرُوفٌ وَمَضْرُفُهُمْ
 وَلِلشَّرَابِ وَتَنْبِيِثِ الْخَطَائِبِ
 وَلِلْعُلُوقِ وَأَنْوَاعِ الْفُسُوقِ مَعَا
 وَلِلْبَغَالِ الْوُطِيَّاتِ الرُّكَابِ تَرَى
 وَلِلْمَنَادِيلِ فِي أَوْسَاطٍ مَنْ مَلَكُوا
 وَلِلرِّيَّاعِ الْعَوَالِي الْأَزْتِفَاعِ بِنَا
 وَلِلْفَجَاجِ وَحُمَلَانِ النُّعَاجِ وَأَطِ
 وَلِلشَّبَازِي وَلِلْأَنْطَاعِ تُفْرَشُ فِي
 وَلِلْمَجَالِسِ فِي أَوْسَاطِهَا خَرَكُ
 وَلَسْتُ أَخْصُرُ أَلْوَانًا لَا طَعِمَةَ
 وَلِلْمَلَابِسِ كَمْ ثُوبٌ مُلَوَّنَةٌ
 وَكَمْ ذَخَائِرُ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ لَهَا

(١) حرب البسوس: في الجاهلية بين بكر وتغلب. بسبب ناقة لجار البسوس، والبسوس امرأة. يوم صفين: حيث اقتتل المسلمون أهل الشام وأهل العراق سنة ٣٧هـ.

(٢) عُثْل: جمع عَتْلَة: حديدة كأنها رأس فأس.

(٣) العقار: مؤخر الحوض أو مقام الشارب منه.

(٤) البراذين: جمع البرذون: الدابة.

(٥) المناطق: جمع المنطقة: ما ينتطق به، وكان النصارى يشدون على أوساطهم بمناطق. ونطقه: شقة تلبس وتشد الوسط وليس لها حُجْزَة ولا تُفَق ولا ساقان. الهَمَائِين: جمع الهيمان: التَّلَة، والمنطقة وكيس للنفقة يُشد في الوسط.

(٦) الفججاج: جمع الفَجَج: الطريق الواسع بين جبلين.

(٧) أوارين: جمع إِيوَان وهو الصُّفَة العظيمة كالأَرْج. الأنطاع: جمع النُّطْع: بساط من الأديم.

(٨) خَرَك: كلمة تركية، تعني نوعاً من البسط، الطنافس: جمع الطَنْفَسَة من البسط والثياب والحصير، من سعف عرضه ذراع.

وَكَمْ مَجَالِسٍ أَنْسَ عُيُتَتْ لَهُمْ
وَكَمْ حُلِيِّ نِسَاءٍ لَا يَثْمُنُهُ
فَقُلْ لِسُلْطَانٍ مَضَرٍ وَالشَّامَ مَعَا
وَمَنْ يُخَوِّفُ مِنْ سَيْفٍ بِرَاحَتِهِ
اكَثِفْ بِنَفْسِكَ أَسْوَأًا وَمَنْ مَعَهَا
عُمَالُهَا قَدْ سَبَوْهُمْ مِنْ تَطْلُبِهِمْ
كُلُّ تَرَى كَاتِبًا لِلْسُّوءِ يُنْظَرُهُ
سَبَّو الرُّعِيَّةَ لَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ
لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى الْأَمْوَالِ سَارِقُهَا
وَحُلَّ غَزْوُهُ هَلَاكُ وَالْفَرَسِ مَعَا
وَاعْرِضْ غَامِلَ أَسْوَانٍ تَسَالُ بِهِ
وَكُلُّ أَمْثَالِهِ فِي الْقَبْطِ أَغْزُهُمْ
وَاسْلُبْهُمْ نَعْمًا قَدْ شَاطَرُوا كَيْهَا
فَقَدْ تَوَاطَوْا عَلَى الْأَمْوَالِ أَجْمَعِهَا
وَصَانَعُوا كُلُّ مُسْتَوِفٍ إِذَا رَقَعُوا
وَرَبَّحُوا فَقَالَ الشَّيْخُ وَالذُّنَا
مِثْلَهُ الْعُذْرُ فِيمَا حُلَّ يَقْبَلُهُ
وَلِلزُّيُوتِ وَلِإِقَادِ الْكُنَائِسِ كَمْ
فَذَاكَ فِي الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَاتِ بِهِ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ بِرَأْيٍ مُصَانَعَةٍ
وَكَيْفَ يَقْبَلُ مِنْهَا مِنْ مُصَانَعَةٍ
كَمْ هَكَذَا سَرَقُوا كَمْ هَكَذَا ظَلَمُوا
اتْرَكَ ذَنْبٌ وَسُؤَالٌ لِمَغْفِرَةٍ

تُنْسِي الْهُمُومَ وَتُسْلِي كُلَّ مَخْزُونٍ
مُقُومٌ قَطُّ فِي الدُّنْيَا بِتَشْمِيمِ
يَا قَاهِرًا غَيْرَ مَخْفِي الْبَرَاهِمِ
ذَوِي السُّيُوفِ وَأَصْحَابِ السَّكَامِ
مِنْ الصُّعِيدِ بِلَا قَوْمٍ مَسَاكِينِ
مَا لَا يَكُونُ بِمَفْرُوضٍ وَمُسْتَوْنِ
لِنَهْيِهِمْ كَمْ كَذَاعَامٍ وَكَمْ جِينِ
وَلَا أَمَانَةً لِلْقَبْطِ الْمَلَاعِينِ^(١)
وَلَا تُقَرِّبْ عَدُوَّ اللَّهِ وَالسُّلَيْنِ
وَأَنْهَضْ بِفُرسَانِكَ الْغُرَّ الْمِيَامِينِ^(٢)
جَنَاتٍ عَذَنَ بِإِحْسَانٍ وَتَمْكِينِ
فَالْغَزْوُ فِيهِمْ خِلَالِ الدَّهْرِ وَالْحِينِ
كَمَا يُشَاطِرُ قِلَاحَ الْقَدَادِينِ^(٣)
وَفَذَلِكُوا كُلُّ تَسْعِينَ بِعِشْرِينَ^(٤)
لَهُ الْحِسَابُ بِسُخْتٍ كَالطَّوَاعِينِ^(٥)
قَسَّ الْقُسُوسِ وَمُطْرَانِ الْمَطَارِينِ^(٦)
إِمَّا بِرَنَمٍ مِدَادٍ أَوْ لَصَائِبُونِ
وَلِلدَّقِيقِ الْمُهَيَّا لِلْقَرَابِينِ
يُسْحَبُ عَلَى الْوَجْهِ أَوْ يُقَلَّبُ بِسُجُونِ
وَمِنْ سَحَابٍ بِتَخْرِيكِ وَتَسْكِينِ
مِنْ كُلِّ مَسْكِينَةٍ فِيهِ وَمَسْكِينِ
كَمْ هَكَذَا أَخَذُوا مَالَ السُّلَاطِينِ
عِنْدَ الْإِلَهِ لِقَوْمٍ كَالْمَجَاتِينِ

(١) القبط: نصارى مصر.

(٢) هولاء: هو قائد المغول الذين اجتاحت المناطق العربية الإسلامية سنة ٦٥٦هـ.

(٣) الفلادين: جمع الفدان: وهو من وحدات قياس الأراضي في مصر.

(٤) لذلك حسابه: أنهاء وفرغ منه.

(٥) السخت: الخرام، أو ما خبث من المكاسب فلزم عنه العار.

(٦) المطران وجمعه المطارين: رتبة دينية عند النصارى.

وَقَامَ فِيهَا بِمَقْرُوضٍ وَمَسْنُونٍ
فِيمَا يَقُومُ بِهِ شَرْجِي وَتَبْيِينِي
وَطَاقَتِي فِي جِجَانَاتِ الثُّعَابِينَ

وَقَالَ قَوْمٌ لَقَدْ أَخَصَى مَنَا لَهُمْ
فَقُلْتُ وَاللَّهِ مَا وَضَعِي لَأَنْشُرَهَا
وَأُنْمَا ذَاكَ مَجْهُودِي وَمَقْدَرَتِي

وقال: [الوافر]

لم ار مستخدماً أميناً

فَلَمْ أَرِ فِيهِمْ رَجُلًا آمِينًا^(١)
وَأَنْظِرْنِي لِأَخْبِرَكَ الْيَقِينَا^(٢)
مَعَ التَّجْرِيبِ مِنْ عُمْرِي سِينِينَا
عَدَلْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مِئِينَا^(٣)
أَبَا يَقْطُونَ وَالتَّشْوِعَ السُّمِينَا^(٤)
فَلَا صَحَبَتْ شِمَالَهُمُ الْيَمِينَا
كَمَا سَرَقَتْ بَنُو سَيْفٍ الْجُرُونَا
إِذَا خَانَتْ عُدُولُ الْمُسْلِمِينَا
أُنَاسٌ مِنْهُمْ لَا يَسْتُثْرُونَا
وَلَا شَرِبُوا خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا^(٥)
كَأَغْصَانٍ يَقْمَنَ وَيَنْحَنِينَا^(٦)
وَلَكِنْ بَعْدَ مَا نَتَّقُوا ذُقُونَا
أَرْدَعْنَاهُ الْخِيَانَةَ فَاسْقِينَا
وَلَا بَيْتَنَا وَضَعْتَ عَلَيْهِ طِينَا
كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي لَا عِيبِينَا

فَكَلْتُ طَوَائِفَ الْمُسْتَخْدَمِينَا
فَخُذْ أَخْبَارَهُمْ مِثِّي شِفَاهَا
فَقَدْ عَاشَرْتُهُمْ وَلَبِثْتُ فِيهِمْ
خَوْتُ بُلْبَيْسٍ طَائِفَةً لُصُوصَا
فَرَنْجِي وَالصَّفِيَّ وَصَاحِبِيهِ
فَكُتَّابُ الشَّالِ هُمْ جَمِيعَا
وَقَدْ سَرَقُوا الْغِلَالَ وَمَا عَلِمْنَا
وَكَيْفَ يَلَامُ فُسَّاقُ النَّصَارَى
وَجُلُ النَّاسِ خَوَانٌ وَلَكِنْ
وَلَوْ لَا ذَاكَ مَا لَبِسُوا خَرِيرَا
وَلَا رَبُّوَا مِنَ الْمُزْدَانِ قَوْمَا
وَقَدْ طَلَعْتَ لِبَغْضِهِمْ دُقُونُ
بِسَائِي أَمَانَةٍ وَبِسَائِي ضَبْطِ
وَلَا كَيْسَا وَضَعْتَ عَلَيْهِ شَمْعَا
وَأَقْلَامَ الْجَمَاعَةِ جَائِلَاتُ

(١) النكل: فقدان ولد أو حبيب.

(٢) أنظرني: أمهلني.

(٣) بُلْبَيْس: اسم بلد بمصر.

(٤) فرنجي، والصفي، وأبو يقطون، والنشوع: أسماء أعلام.

(٥) الأندرين: قرية جنوب حلب.

(٦) المردان: جمع الأورد: الشاب طرّ شاربِه ولم تنبت لحيته.

فإن سارقتهم خرفاً بحرف
ولأن خست حسابهم صحيحاً
التم تر بغضهم قد خان بغضاً
ولم يتقاسموا الأسفال إلا
أقاموا في البلاد لهم جباة
وإن كتبوا الجندي وضولاً
ومائتيه السلطان إلا
فكم ركبو الخدمتهم نهاراً
وكم وقفوا أبواب النصاري
ولم ينفعهم البرطيل شيئاً
كانهم نساء مات بفعل
وقد تعبت خيول القوم مما
عذرتهم إذا باعوا حوالا
وأعطوهم بها عوضاً فكأثوا
أمولنا الوزير غفلت عما
أطلق جامكيات لقوم
فلا تهميل أمور الملك حتى
فهل ملكوا بأقلام قلاعاً
ومن قتل القرنج أشد غل
ومن خض الهواجر وهو ظام
ولا قوا الموت دون حريم مضر
ولم تؤخذ كما أخذت دمشق
وما أخذ أحق بأخذ مال

فكل اسم يخطوا يملأ بسينا^(١)
فإن بخضيه الداء الدفين
وعن فعل الصفا سئل المكي
لأن الشيخ ما احتمل القبرونا
لقبض مغلها كالمقطعين
على بلد أصاب به كميننا
مع المستخدمين مجرديننا
ولئلا يسألون ويضر عونا
على أسيا فيهم متوكميننا
وما أزدادوا به إلا دينا^(٢)
له ولد فورث الثميننا^(٣)
يطوفون البلاد ويرجعونا
يهم بالربع للمستخدميننا
لنصف الربع فيه خاسريننا
يهم من الكلاب الخائنيننا
وتنفق في قوم آخريننا^(٤)
يذل الجندي للمتعلميننا
وهل فتحوا بأوراق حصونا
ومن أسر القرئيس العيينا
إلى أن أوزت التتر المئوننا^(٥)
وصانوا المال منهم والبنينا
ولا حصرت كمياً فارقيننا
من الأتراك والمتجنديننا

(١) قوله: يخطوا خطأ وصوابه يخطون، ولكنه حذف النون لإقامة الوزن.

(٢) البرطيل: الرشوة.

(٣) البنل: الزوج. الثمين: يعني حصة الزوجة من ميراث زوجها.

(٤) الجامكيات: كلمة فارسية تعني الرواتب. والفيء: الغنيمة.

(٥) الهواجر: جمع الهاجرة: شدة الحر. التتر: المغول الذين اجتاحت المنطقة منذ سنة ٦٥٦ هـ.

وَمَنْ لَمْ يَدْخِرْ فَرَسًا جَوَادًا
فَبَغَدَ الْمَوْتُ قُلُوبَ أَيِّ شَيْءٍ
إِذَا أَمْنًا وَتَأَقَّبُوا الْهَدَايَا
فَلِمَ لَا شَاطِرٌ وَافِي مَا اسْتَفَادُوا
وَكَانَهُمْ عَلَى مَالِ الرِّعَايَا
تَحِيلَتِ الْقَضَاءُ فَخَانَ كُلُّ
وَكَمْ جَعَلَ الْفَقِيهَ الْعَدْلَ ظُلْمًا
وَمَا أَخْشَى عَلَى أَمْوَالٍ مُضَرٍ
يَقُولُ الْمُسْلِمُونَ لَنَا حَقُّوْكَ
وَقَالَ الْقَبْطُ إِنَّهُمْ بِمُضَرٍ أَلِ
وَحَلَّتِ الْيَهُودُ بِحِفْظِ سَبَبٍ
فَلَا تَقْبَلُ مِنَ الثُّوَابِ عُذْرًا
فَلَا تَنْتَاصِلُ الْأَمْوَالِ حَتَّى
وَالْأَيُّ مَنَاقِبَةٍ يَقُومُ
الْبَيْتَ الْأَخْذُونَ بِغَيْرِ حَقِّ
وَأَنَّ الْكَاتِبِينَ الْمَالَ مِنْهُمْ
تَوَزَّعَ مَغْشَرُ مِنْهُمْ وَعُدُّوا
وَقِيلَ لَهُمْ دُعَاءُ مُنْتَجَبٍ
فَلَا تَقْبَلُ عَفَافَ الْمَدَنِى
وَلَا تُنْفِثَ لَهُمْ عُشْرًا إِذَا مَا
فَبِإِنْ الْأَضْلَ يَغْرِى عَنْ ثَمَارِ
فَبِإِنْ قَاطِعَ الْعُزْبَانِ صَرَتْ
قَوْلِي أَمْرَهَا ابْنُ أَبِي مُلَيْحٍ
وَنَاطَحَ وَهُوَ أَقْرَعُ كُلُّ كَبِشٍ

لِوَاقِعَةٍ وَلَا سِيْفًا أَمِينًا
لَهُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ
وَصَارُوا يَتَجَرَّوْنَ وَيَزْرَعُونَ
كَمَا كَانَ الصُّعَابَةُ يَفْعَلُونَ
وَمَالِ رِعَايَتِهِمْ يَتَحَيَّلُونَ
أَمَانَتُهُ وَسَمُوهُ الْأَمِينَا
وَصَيَّرَ بَاطِلًا حَقًّا مِينَا
مِوَى مِنْ مَغْشَرٍ يَتَأَوَّلُونَ^(١)
بِهَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى الْأَخْذِينَ
مُلُوكُ وَمَنْ سِوَاهُمْ غَاصِبُونَ
لَهُمْ مَالُ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَ
وَلَا تُنْظَرُ فِي مَا يَنْهَمِلُونَ
يَكُونُوا كُلُّهُمْ مُتَوَاطِئِينَ
إِذَا اسْتَحْفَظْتَهُمْ لَا يَحْفَظُونَ
لِمَا فَوْقَ الْكِفَايَةِ خَائِنِينَ
أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
مِنَ الزُّهَادِ وَالْمُتَوَرِّعِينَ
وَقَدْ مَلَّوْا مِنَ السُّخْتِ الْبُطُونَا
تَرَى أَتْبَاعَهُ مُتَعَفِّفِينَ
عَدَتْ أَلْزَامُهُ مُتَمَوِّلِينَ
وَأُورَاقٍ وَيَكْسُوها الْقُصُونَا
لِعُمَالِ لَهَا وَمُشَارِ فِينَا
فَأَصْبَحَ لَا هَزِيلَ وَلَا سَمِينَا^(٢)
فَكَيْفَ وَقَدْ أَصَابَ لَهُ قُرُونَا^(٣)

(١) يتأولون: يفكرون.

(٢) ابن أبي مليح: أحد المستخدمين الذين يهجوهم الشاعر.

(٣) اقْرَع، يعني: لا قرون له.

فَسَلَّ أَذْنَيْنِ وَالْبَيْرُوقَ عَثَّةً
فَقَدْ نَسَفَ الثَّلَالَ الْحُمْرُ نَسْفًا
وَصَبَّرَ عَيْنَيْهَا جَمْلًا وَلَكِنْ
وَأَضْبَحَ شُغْلُهُ تَخْصِيلَ تَبْرِ
وَقَدَمَهُ الَّذِينَ لَهُمْ وَضُولُ
وَفِي دَارِ الْوِلَايَةِ أَيُّ نَهَبٍ
وَمَا فِرْعَوْنُ فِيهَا غَيْرُ مُوسَى
إِذَا أَلْقَى بِهَا مُوسَى عَصَاهُ
وَفِيهَا غَضَبَةٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ
وَشَاهِدُهُمْ إِذَا اتَّهَمُوا يُوْذِي
وَمَنْ يَسْتَغْطِ بِالْأَقْلَامِ رِزْقًا
وَلَسْتُ مُبَرَّرًا كُتَابَ دَرْجٍ
فَهَاكَ قَصِيدَةٌ فِي السَّرِّ مَنِّي

وَمُنْزِلَ خَاتِمِ وَسَلِّ الْعَرِينَا^(١)
وَلَمْ يَشْرُكَ بِعَزِّهَا جُرُونَا^(٢)
لِمُنْزِلِهِ وَعَلَّتْهَا خَزِينَا
وَكَاثَتْ رَاؤُهُ مِنْ قَبْلِ نُونَا^(٣)
فَتَمَّمْ نَفْصَهُ صَلَّةُ الَّذِينَ
فَلَيْتَكَ لَوْنَهُ بَتِ النَّاهِيْنَا
يَسُومُ الْمُسْلِمِينَ أَذَى وَمُونَا^(٤)
تَلَقَّيْتُ الْقَوَافِلَ وَالسَّافِينَا
عَلَى كُلِّ الْوَرَى يَتَغَضَّبُونَا
عَنِ الْكُلِّ الشَّهَادَةِ وَالْيَمِينَا
تَجِدُهُ عَلَى أَمَانِيهِ ضَمِينَا
إِذَا اتَّهَمْتُ لَدَى النَّاسِ خُونَا
خَوْتُ مِنْ كُلِّ وَاقِعَةٍ فُنُونَا

وقال من قصيدة أولها: ^(٥) [الخفيف]

كيف أعصي

أَهْوَى وَالْمَشِيبُ قَذْحًا دُونَهُ
أَبَتِ النَّفْسُ أَنْ تُطِيعَ وَقَالَتْ
كَيْفَ أَغْصِي الْهَوَى وَطِينَةُ قَلْبِي
سَلَبَتْهُ الرُّقَادُ بَيْضَةً خَذِرَ

وَالْتَصَابِي بَعْدَ الْمَشِيبِ رُعُونَهُ^(٦)
إِنْ حُبِّي لَا يَدْخُلُ الْقَيْنِيَّةُ
بِالْهَوَى قَبْلَ آدَمَ مَعْجُونَهُ
ذَاتُ حُسْنٍ كَالدُّرَّةِ الْمَكْنُونَهُ^(٧)

(١) العرين: خلد الأسد.

(٢) العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء.

(٣) التبر: الذهب، والفضة.

(٤) يسوم: يكلف وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر.

(٥) فوات الوفیات: ٣/ ٣٦٤.

(٦) الرهونة: الهوج.

(٧) بيضة الخدر: كناية عن الجارية. الدرّة: اللؤلؤة العظيمة. مكنونة: مخبوءة.

وَقَدْ شَهِدَتْ بِذَا مَا لَمَّا سَوَّيْدُ
وَكَمْ رَاغَتْ لِبَنَمَلِكُو شِمَالاً
وَلَوْلَا ذَاكَ مَا وَلَّوْا فِرَاراً
إِذَا تَشَرُّوا الدَّرَاهِمَ فِي مَقَامٍ
إِذَا جَبِشَتْ جَمِشَاتِي عُرَاةً
وَإِنْ زَجَعُوا الْأَرْضِيَهُمْ بِخَوْبِ
وَقَدْ تَبَيَّنَتْ عَدَاؤُهُمْ قَمِيرُ
وَلَمَّا أَنْ دَعُوا إِلَيَّ بَابَ قُلْنَا
وَكَاثِرُوا قَدْ مَضَوْا وَهُمْ عُرَاةُ
وَصَارُوا يَشْكُرُونَ السُّجُنَ حَتَّى
فَقُلْتُ لَعَلَّكُمْ فِيهِ وَجَدْتُمْ
فَقَالُوا: لَا وَلَكِنَّا أَنَا
وَقُلْنَا: الْمَوْتُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ
فَلَمْ تَشْرُكْ مِنْ الْأَقْوَالِ شَيْئاً
نَجِيلٌ عَلَى الْبِلَادِ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَإِنْ مَنَعُوا تَقُولُنَا عَلَيْهِمْ
وَجَهَزْنَا وَلَاءَ الْحَرْبِ لَيْلَا
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ إِلَيْهِمْ
فَجِئْنَا بِالنَّهَابِ السَّبَايَا
وَجِنْ مَشَارِفَ بُعِثُوا شُهُوداً
وَمَنْ أَلْفَ الْحَيَاةِ كَيْفَ يُرْجَى
وَمَا بِنُ قُطَيْبَةِ الْأَشْرِيكِ
أَغَارَ عَلَى قَرَى فَا قَوْمِ مِنْهُ
وَجَاسَ خِلَالَهَا طَوْلَا وَعَرْضاً

وَمَلَبَا بِمَجْعَةٍ حَرْباً يُنُونَا^(١)
وَكَمْ رَاغَتْ لِبَنَمَلِكُو شِمَالاً
مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ لَطُورِ سِينَا^(٢)
ظَلَمْتُ بِهِ الدَّرَاهِمَ بِاسْمِ سِينَا
تَرَى كُتَابَهُمْ مُتَبَاثِرِينَ
فَلَمْ تَرَ كَاتِباً إِلَّا حَرْبِينَ
بِعَيْنِكَ مَنْ يَكُونُ لَهُ مُعِينٌ
بِأَنَّ الْقَوْمَ لَا يَشْخُلُ صُونُ
فَجَاءَ وَابَعْدَ ذَلِكَ مُكْتَسِبِينَ
تَمْنَى النَّاسُ لَوْ سَكَنُوا السُّجُونَ
بَطُولِ مَقَامِكُمْ مَا لَا دَفِينَا
بِأَنفُسِنَا وَخَالَفْنَا الظُّلُونَا
فَمَاذَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَا
وَخَاطَرْنَا وَجِئْنَا سَالِمِينَ
أَنَا يَمِينُونَ وَيُظَلِّمُونَا
بِأَنَّهُمْ عُصَاةٌ مُفْسِدُونَ
عَلَى أَنْ يَكْبِسُوهُمْ مُضْجِحِينَ
وَصُلَّتْ صَوْلَةٌ فِيمَنْ يَلِينَا^(٣)
وَجَاءَ وَابِ الرُّجَالِ مُصَفِّدِينَ^(٤)
فَلَمَّا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِمْ جُئُونَا
لَهُ أَنْ يَحْفَظَ اللَّصَّ الْخُثُونَا
لَهُمْ فِي كُلِّ مَا يَشْخَطُ قُونَا
بِجَوْرِ يَمْنَعُ الثُّومَ الْجُفُونَا
وَعَاذَ عَالِيَامُهَا حَزُونَا^(٥)

(١) مَلَبَا سَوَّيْدُ، وَمَلَبَا بِمَجْعَةٍ، قَرِينَانِ فِي مَتَلَفَةِ بَلِيْسَ.

(٢) لَطُور سِينَا: جَبَلُ سِينَاءَ مَعْرُوفٌ، ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ.

(٣) صَالُ صَوْلَةٍ: سَطَا وَاسْتَطَالَ.

(٤) السَّبَايَا: جَمْعُ السَّبْيَةِ: الْأَسِيرَةِ. مَصْفُودُونَ: مَكْبُولُونَ.

(٥) جَاسَ: طَلَبَ الشَّيْءَ بِالْإِسْتِفْصَاءِ. الْحَزُونُ: الْأَرْضُ الْغَالِيظَةُ، وَالْوَاحِدُ: حَزْنٌ.

سَمَنُهَا قَبْلَةَ تُسَرُّ بِهَا التُّفَّ
قُلْتُ لَا بُدَّ أَنْ تَسِيرَ إِلَى الدُّ
قُلْتُ سِيرَ فَلِإِنِّي لَكَ خَيْرُ
أَنَا نِعْمَ الْقَرِيبُ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي
قَالَتْ : اضْرِبْ عَنْ وَضْلٍ مِثْلِي صَفْحاً
لَا أَرَى أَنْ تَمَسُّنِي يَدُ شَيْخٍ
قُلْتُ : إِنِّي كَثِيرُ مَالٍ فَقَالَتْ
مَسِيدِي لَا تَخَفْ عَلَيَّ خُرُوجاً
كُلُّ بَخْرٍ إِنْ شِئْتَ فِيهِ اخْتَبِرَنِي

مَنْ فَقَالَتْ كَذَا أَكُونُ خَزِينَةً
إِذَا فَقَالَتْ : عَسَى أَنَا مَجْثُومَةٌ
مِنْ أَبٍ رَاجِمٍ وَأُمٍّ حَكُونَةٍ
حَلَالاً وَأَنْتِ نِعْمَ الْقَرِيبَةُ
وَاضْرِبِ الْخَلَّ أَوْ يَصِيرَ طَجِينَةً
كَيْفَ أَرْضَى بِهِ لَطَشَتِي مَشِينَةً
هَبْكَ أَنْتِ الْمُبَارِزُ الْقَارُونَ
فِي عَرُوضِي فَيَطْنَتِي مَوْزُونَةً
لَا تُكَذِّبْ فَلِإِنِّي بِقَطِيبَةٍ

وقال، وكتب بها إلى بعض الأصحاب: ^(١) [المنسرح]

جزاك ربي

قُلْ لَعَلِّي الَّذِي صَدَّقْتُهُ
أَخْوَلَكَ قَدْ غَوَّدْتَ طَبِيعَتُهُ
وَالآنَ قَدْ عَفَتْ عَلَيْهِ وَقَدْ
وَعَاوَدَتْ يَوْمَهَا زِيَارَتُهُ
وَعَادَ عِنْدَ الْقِيَامِ يَخْمُلاً
جَثْتُ بِهِ إِلَى طَبِيبٍ مُشْتَكِيّاً
فَقَالَ غَذَلِي إِذَا اخْتَمَيْتُ وَكُلَّ
كَيْفَ وَضُولِي إِلَى الدَّجَاجَةِ وَالْ
جَزَاكَ رَبِّي إِذَا انْسَهَلْتُ بِمَا

عَلَى حُقُوقِ الْإِخْوَانِ مُؤْتَمَةً
بِشَرِّةٍ فِي الرَّبِيعِ كُلِّ سَنَةٍ
هَدَّتْ قُورَاهُ وَجَفَّتْ بَدَنُهُ
وَمَا اغْتَرَاهَا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ سَنَةٍ
بِرَاحَتِيهِ كَأَنَّهَُا زَمَنَةٌ ^(٢)
وَدَمَعَتِي كَالْعَوَارِضِ الْهَيْئَةِ ^(٣)
فِي كُلِّ يَوْمٍ دَجَاجَةٌ دَهْنَةُ
بَيْضَةٌ عِنْدِي كَأَنَّهَُا بَدَنَةُ ^(٤)
شَرِبْتُ عَنْ كُلِّ خَزِينَةٍ حَسَنَةٍ

(١) فوات الوفیات : ٣/٣٦٦.

(٢) زَمِنَةٌ : من الزَّمانَةِ : العاهة.

(٣) العوارض : جمع العارض : السحاب المعترض في الأفق. الهُتُن : انصباب المطر.

(٤) البدنة، من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدى إلى مكة.

وقال لما سُرقت حمارته: [الكامل]

قلت لكم

قُلْتُ لَكُمْ عِنْدَ السُّرَّاقِ مُبَلِّغٌ
لَا تَجْعَلُونِي فِي الْحَمِيرِ كَنَازِمٍ
أَخْذِي عَنِ الْمَذْكُورِ مَا مَغْنَاهُ
سَرَقْتُ يَدَاهُ فَقُطِعَتْ أُذُنَاهُ

الفهرس

٣ المقدمة
٥ ترجمة البوصيري
٩ قافية الهمزة
٣٣ قافية الباء
٥٣ قافية التاء
٥٤ قافية الجيم
٥٤ قافية الحاء
٥٧ قافية الدال
٧٦ قافية الراء
١٠٧ قافية السين
١١٣ قافية الطاء
١١٤ قافية العين
١١٤ قافية الفاء
١١٥ قافية الكاف
١١٦ قافية اللام
١٦٥ قافية الميم
١٨١ قافية النون
١٩٧ الفهرس